شموع الذاكرة



مذكرات المجاهد محمد كشود

تقديم وإشراف د.علي خلاصي

إهـداء

إلى روح من أوصانا الرسول، صلى الله عليه وسلم، بأولويتها وأحقيتها في الطاعة.. إلى من حملتني تسعة أشهر وهنا على وهن، وأرضعتني لبنها حولين كاملين، وعلمتني كيف أواجه الحياة..أمي الحبيبة.. رحمة اللّه عليها.

إلى روح من أمدني بالعزم والعزة، فحملت عبء الحياة طفلا، والتحقت برفاق دربي حدثا..إلى من وجب علي الإحسان إليه وطاعته ..أبي رحمة اللّه عليه.

إلى روح من تحملت أتعابي وسترت عيوبي، وحفظتني في مالي وعرضي، إلى زوجتي الطاهرة، وإلى أبنائي الأعزاء الذين قال الحق فيهم أنهم ..زينة الحياة الدنيا، وأخص بالذكر منهم شهيد الواجب مراد الذي اغتالته أياد آثمة رحمة اللّه عليه.

إلى زملائي الذين ملئوا حياتي حبا للوطن.. و إلى كل مجاهد وفدائي ومسبل ومناضل، ومتعاطف مع الثورة ومؤمن بعدالة القضية، وشرعية الطريقة التي تحقق بفضلها أكبر نصر، واستعادت بفضله الجزائر سيادتها بعد 132 سنة من القهر والبطش والطغيان.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل الذي هو ليس سردا للوقائع والأحداث، بقدر ما هو خطوات ثابتة على درب الحرية، تروي قصتي للأجيال الصاعدة عن مرحلة عشتها وسط بيئة أنا غرس منها.

محمد كشود

تقديم

مذكرات الإنسان هي تاريخه المرتبط بتاريخ بيئته، وهي حياته المعبرة عن أصالته وعن هوية المجتمع الذي عاش فيه، وهي محطات توقف بها قطار عمره، بعضها بمثابة سهول واسعة، تجمع بين حياة صباه وهو غض غرير، زينت محطاته أحلام كانت تسير حيثما يسير، وهي المحطات التي كان الإنسان يعيش فيها وهو تحت حماية الوالدين، وبين أصدقاء الصبا ومرحلة التعليم والتكوين، وبعضها الآخر عاشها في أنفاق مظلمة، وهي التي عرف فيها الإنسان أوقات حرجة، بينما كانت المحطات الأخرى بأحراش وجبال يصعب تسلّقها، وهي التي تقلد فيها المسؤوليات والمناصب العليا، فطوبى لمن قام بها وخرج منها سالما نظيفا.

إن الحديث عن المجاهد العامل بالجبال صعب، نظرا لكثرة تنقلاته، وتعدد زوايا الجبهة العامل بها، لأنه يخوض حرب الكرّ والفرّ ضد استعمار ملك الأرض والرقاب، والحديث عن مسار الفدائي بالمدينة أصعب، لأن المعركة في المدينة لها وقع أكبر وصدى أعمق من العمليات التي يقوم بها الجندي، والتي تكون في معظمها بعيدة عن التجمعات السكنية، فمهامه ليست القتل وفرض قانون النظام فقط، بقدر ما هي أعمال اقتصادية تمثلت في التموين والتمويل للجيش العامل على أرض الميدان في الجبال

والسهول والهضاب، واجتماعية لأن الشعب بمثابة الماء للسمك، إن خرج منه مات، تتصل بتوعية المترددين والمناوئين لثورة التحرير، بالتأكيد على شرعيتها وقداستها، كما هي عسكرية تهدف إلى فك الحصار والضغط الكبيرين الذان فرضتهما القيادة العسكرية الاستعمارية على المجاهدين وعناصر المقاومة، بالمخططات الجهنمية: من تأطير ومسح، وتمشيط واكتساح.

ونظرا لكون الحرب، ومنذ انطلاقها، قد سارت بثلاث أطراف متباينة: يمثل الطرف الأول المؤسسة العسكرية التي قوامها800 ألف جندي نظامي فرنسي في الجزائر، تساندهم إدارة قوية، وتنتمي إليهم منظمات عسكرية سرية، ومصالح أمنية، وهذا طبيعي في فلسفة وعرف القوات الفرنسية التي جاءت لتبقى.

والطرف الثاني، جبهة وجيش التحرير الوطني بما يمثّلانه من: فرق المجاهدين العاملين في الجبال، ومنظومة الفداءالعاملة بالمدن، تساندهم فرق المسبلين، ثم مختلف الطبقات الشعبية، أي تكتل المواطنين المؤمنين بإمكانية تحرير الوطن من الآلة الاستعمارية الجهنمية الجاثمة على صدر شعب يختلف عنه دينا ولغة وعادات وتقاليد ، وهذين الطرفين يشكلان القطبين الموجب والسالب، في معركة غير متكافئة الأطراف.

أما الطرف الثالث، الذي انحاز إلى الطرف الأول، فيتمثل في الخونة والحركات المناوئة للثورة، والمشككين في حتمية انتصارها، والذي قال عنهم ابن باديس: " واقلع جذور الخائنين فمنهم كل العطب"، لأن هذه الفئة من أبناء جلدتنا، لكنها هي من أطالت عمر الاستعمار، ومددت زمن الحرب، وشكلت طرفا ثالثا ظلل الرأي العام الوطني والخارجي، في المحافل الدولية، فهؤلاء الخونة يعرفون جيدا الأرض، ويقبلون بجميع الأعمال القذرة، ويتمتعون بامتيازات كبيرة.

أصبحت هذه الصرخة، التي حملها النشيد الوطني، "شعب الجزائر مسلم" التي كانت تردد وتساير مجريات الثورة قبل السلام الوطني، القاعدة العامة في تنظيم الفداء في المدن التي كانت بمثابة تجمعات سكنية صغيرة شديدة الحراسة، محاطة بالأسلاك الشائكة، والدوريات العسكرية الدائمة، ونقاط التفتيش التي هي مصفاة لكل عابر من أبناء المدينة، فصار الفدائي كرجل بلا ظل، لا يُرى، يعيش وسط أبناء الحي، ووسط العدو ليل نهار، ويقوم بعمليات على مسمع وبصر الدوريات الفرنسية، فيتخطى الحواجز ويواجه المخاطر، وهو يعرف أنه على موعد مع الموت في كل لحظة، لكنه يؤدي واجبه في سرية تامة، فهو في خانة المشتبه فيهم، وبمجرد القبض عليه يدفع الثمن مرة واحدة .

صحيح أن بعض الخونة، الذين أخذتهم العزة بالإثم، ممن لم تصدر في حقهم أوامر بحكم الإعدام، لعدم تأكد النظام من تورطهم، أو أبنائهم الذين لا يعرفون خلفيات هذا الكره، أو الذين قضى النظام على بعض من أفراد عائلاتهم، مازالوا يحملون حقدا على الأبطال الذين أذلوا الاستعمار، لأنهم حاولوا تطبيق قانون الحرب، لكن المجتمع القسنطيني يعي جيدا ويدرك عمق المأساة، فالمواطنون الشرفاء هم أصل معدن هؤلاء الأبطال، ومصدر فخر المدينة التي كانت تسير وفق قانون الحرب الفرنسي، المعتمد على العسكر في تسيير كل شؤونها الإدارية والاقتصادية، فأجهضت جميع الحقوق المدنية، لكن أبناء المدينة البررة انتزعوا صفةَ " مدينة الفداء بامتياز".

إن الكلام عن النفس لا يخلو عادة من الذاتية، وإذا تجاوزناها فإننا سنهمل بعض التفاصيل الدقيقة التي ترتبط بشخصية الفرد، وهذا ما يكوّن صعوبة في الكتابة التي تُعتبر واجبا وطنيا، وأمانة في أعناق من صنعوا الأحداث، من غير من لحقوا ببارئهم، أو من تناستهم ذاكرة الرفاق، وما دام الجهاد فرض عين، فالكتابة عنه واجب وطني، حتى يعرف شباب الغد قيمة التضحيات الجسام التي قدمها الشهداء والمجاهدون.

وإذا كانت كتابة المذكرات هي تسجيل للتاريخ بما يحمله من انتصارات وانكسارات، من أمل و ألم، بحكم أن التاريخ لا

يرحم، يشع على من حوله، لكنه لا يقبل المجاملة، ولا يقبل الحشو والإطناب، فهو أيضا مراقب، يخضع للتحليل والتركيب، فعند الكتابة التاريخية ستسقط جميع الشوائب التي يمكن أن تعلق به عند الكتابة التسجيلية.

تتبعنا في هذا التسجيل الذي يساير مراحل حياة البطل "محمد كشود" بما ترتكز عليه من ذكريات الصبا والطفولة، في تسلسل زمني، يكاد يروي حوليات الثورة في مدينة يشهد الله على ما قدمته ثمنا لحرية هذا البلد، كما يكشف على ثلّة من الأصدقاء ملأت الدنيا دويا، وزرعت الرعب في نفوس من هاجروا للمدينة احتماء بالقوات الدفاعية للجيش الفرنسي، وعندما نتتبع نشأة هؤلاء (المشاغبين)، نعرف حتما سبب اكتساب الشجاعة في تلقين هؤلاء "السادة" دروسا في النضال، في الإقدام، في التحدي، وفي معنى استعادة حرية أمة واستقلالها.

وبطلنا في هذه المذكرات "محمد كشود" التي انتزعناها منه بعد إلحاح كبير منا، وامتناع شديد منه، بسبب الحساسيات التي غالبا ما يبديها رفقاء السلاح، أو من الذين تحصلوا على معطيات خاطئة ويرون فيها الصدق، نظرا لتداولها بين طبقات المجتمع القسنطيني، من جهة، ولكونه يرى أن ما قام به عمل خالص لوجه الله لا يشينه بشائبة نسيان، والوقت قد طال بذاكرة حملت هموما أخرى، أو ذاتية، أو الإقلال من عمل بعض

إخوة السلاح، وقد رحلوا عنا في قافلة الشهداء والصديقين، بعضهم رحل صغيرا "وصغار الثورة يموتون كبارا"، أو كانوا كبارا "وليس هناك من هو أكبر من الشهيد" الذي وهب نفسه فداء لهذا الوطن، رحم الله الشهداء وأسكنهم فسيح جنانه.

د. علي خلاصي



ساحة الشهداء "لابراش" الثلمة

مقدمة

يتضح من خلال هذه المذكرات العلاقة التكاملية بين الفدائي والجندي، فرغم أنهما ينتميان لجيش التحرير الوطني، كما تمّت المصادقة عليه أثناء انعقاد مؤتمر الصومام يوم 20 أوت سنة 1956م - فإن مهامهما متباينة، لكنها تصب في بوتقة واحدة، فتباين العمل الميداني يتطلب تضحيات كبرى من الجانبين، وتنسيق وطيد بينهما، فكلاهما يوصف بالنظام، والنظام يعني الضوابط والقوانين، وخاصة الأخلاق التي منحت الثقة والتآزر من طرف شعب شكّل صهارة البركان الذي انتظر الشرارة التي فجرت الطاقة الكامنة فيه.

ومن خلال الأنماط المعيشة التي جعلت المواطن يستغل كل مناسبة وكل حدث عظيم ليبرز خصوصياته ومميزاته، سواء كانت بالمدينة أو بالجبال، ويتضح التكامل في سهولة التواصل بين ساكن الشرق وساكن الغرب الجزائريين، وتجلت مدرسة الحياة الكبرى عندما التقى الفدائي الذي لم يكن قد غادر حياة المدن، والفلاح الذي لم ينتقل من أرضه إلا لمناصرة المجاهدين.

كما يعكس دور المسبل والمرشدة، نوع الهواء الذي يتنفسه الجندي والفدائي، والماء الذي يعيشون فيه، فهؤلاء هم عيون وآذان النظام، وهم مصدر التموين والتمويل، بل المشتلة التي تمد

الثورة بالرجال، وبالممرضات، فرحم الله جنود الخفاء الذين تلقوا العبء الأكبر، والقهر الذي لا مبرر له، إلا بتطبيق العقاب الجماعي على سكان المداشر والقرى، الأبرياء والعزل، وخاصة المرأة.

كان لخصوصية كل طرف آثار جانبية، ساعدته على التأقلم في الوسط الذي أسندت له مهام العمل فيه، فالجندي يتنقل بين القرى والمداشر وسفوح الجبال، مشيا على الأقدام ولساعات عديدة، من أجل أن يقوم بعمل ميداني، ثم يعود أدراجه نحو القسم أو الناحية التي ينتمي إليها، وهذه الاستراتيجية جاءت للتأكيد على أن جيش التحرير الوطني موجود بكل جهة من التراب الوطني، كما لا يسمح للجيش الفرنسي أن يعرف الاستقرار بمناطق استراحته وقواعد تمركزه، حيث فرضت عليه حرب استنزاف طويلة الأمد.

أما الفدائي فهو مثل الزئبق لا يمكن إلقاء القبض عليه: مرونة في الحركة وسرعة في التنفيذ، وعندما ينتقل من المدينة إلى الجبل نجده شغوفا لمواصلة نفس الدور الذي كان يقوم به سابقا، لكن يجد نفسه رهين القانون العسكري الصارم من جهة، وقُربه من مصدر القرار ومن المسؤول المباشر، من جهة ثانية، تجعله يتوق دائما للعودة للمدينة، للحرية في اختيار الهدف والتأكد من كونه وباء يجب استئصاله، و بالتالي "قلع جذور

الخائنين"، الذين أطالوا عمر الحرب، وفرض إستراتيجية الفداء التي تقضي بتفتيت القوات الكبرى، وتخفيف الضغط على المجاهدين بالجبال، كما تقوم بتسريع الكشف عن الطرق والأساليب التي تحاول القوات العسكرية الفرنسية أن تستعملها للوصول للمعلومات تحت القهر، تطبيقا لمقولة مكيافيللي: "الغاية تبرر الوسيلة".

ومن خلال هذا العمل التكاملي، يظهر جليا أن الحماسة في الحرب وحدها لا تكفي، وأن الأماني وحدها لا تصنع المجد، إذ لابد من توفير الآليات والضوابط التي تسمح بتوظيف جميع القدرات الذهنية والبدنية، كما تتطلب التّقيَد الصّارم بالأوامر والتعليمات التي تحدد الاستراتيجية المتبعة، والمستخلصة من دروس الماضي، ومن تجارب الأولين.

لكن بقدر ما تبيّن هذه المذكرات من شجاعة وقوة وصبر وإقدام الفدائي والمجاهد، بقدر ما تكشف عن قوافل الشهداء الأبرار، والرجال الأخيار، الذين تحدوا الموت فكتبت لهم الشهادة، وصدق اللّه تعالى: " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل اللّه أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون" .



وسط المدينة من هنا كانت البداية

الفصل الأول

الأَصْلُ والانْتِمَاءُ

من بين التأثيرات السلبية على الجوانب الاجتماعية والاقتصادية، المجاعة التي ضربت العالم، قبيل وأثناء الحرب العالمية الثانية منذ سنة 1929، ومست الطبقات السفلى خاصة، والتجنيد الإجباري للدّفاع عن شرف فرنسا المفقود، والنّزوح الكثيف نحو المدن بحثا عن فرص العمل، كان له الأثر البالغ على الأسر الجزائرية.

فالمدينة آنذاك تعتمد على التجارة والصناعة وتبادل المنتجات، أمّا حياة الريف فهي شاقة، دائمة البحث عن لقمة العيش، بانتظار ما تجود به الأرض لاعتمادها على الفلاحة والزراعة في الأراضي الهامشية، فمعظمها أراضي جبلية بور بالجبال، لأن الصالحة منها كانت مسخرة للاحتلال المغتصب.

فمن خدمة الأرض بالأرياف والاهتمام بالزراعة، إلى مزاولة الأعمال التجارية، وبعض الحرف التقليدية التي حافظت على الشخصية الوطنية، وعلى الفنون والتقاليد الشعبية، لكنها في المقابل أذكت روح الترابط بين هذه الطبقات التي أظهرت تآزرا وتضامنا، رغم بعد القبائل المصدرة لهؤلاء النازحين، والملاحظ هنا أن المدن الكبرى لم تكن تسمح باستقبال "العرب"، بل العكس عن هذا، فقد كانت السلطات الفرنسية تقوم بنفي كل مخالف لقوانينها المجحفة، والتي تكيل للمواطن بمكيالين، فصارت عملية النفي حتمية، اذ كلما فكرت في

بناء تجمع سكني بالمدن الداخلية الجديدة، نقلت إليه أعدادا ممن ترى فيهم خطرا على أبنائها، وفكّكت الأسر الكبيرة التي تخشى من التفاف أتباع وأنصار لهم ويشكلون خطرا على أمن المعمرين، دون إعارة انتباه إلى المشككين والمترددين، من أذناب الاستعمار.

من بين الذين مستهم هذه الهجرة، عائلة "كشود" التي تنحدر من قبيلة "أولاد علي" الهادئة، المنتشرة على المثلث الواقع بين الميلية، لقرارم وميله، والتابع إداريا لدائرة الميلية، ولاية جيجل، ويعود نسبه إلى الجد الولي الصالح والصوفي الحكيم بوجمعة بن سعد[1]، وينحدر من قبيلة أولاد علي :أولاد محمد. تأتي عائلة كشود، أو قشود عند النطق بها بالعربية، ويقال أن القبيلة كانت تقطن ضواحي قسنطينة ما بين المنية وسيدي محمد بن لغراب، لكن الخلاف الذي حصل بين شيخ القبيلة وبين باي قسنطينة "الذي هجرّها" جعلها تنتقل إلى المكان الموجود به

1 - من الحكايات المتواترة عن هذا الولي الصالح أنه دعي ذات مرة للبرهنة على الحكمة التي يتمتع بها إلى قرية وادي العثمانية القريبة من مدينة قسنطينة، حيث طلب منه أحد الأشخاص أن يدعو بالشفاء من العقم الذي لازم فرسه، فاشترط عليه الولي أن يكون المولود الأول من نصيبه، فقبل المعني، وبعد أن ولدت له الفرس تماطل في الوفاء بوعده، فقصده شيخنا وبعد أن هنأه وبارك له، طلب منه تنفيذ الوعد الذي بينهما، فأجابه بأن المولود الأول عزيز على قلبه، وأنه سيخصه بالمولود الثاني، فسكت الولي بوجمعة وقفل راجعا من حيث أتى، فإذا بالمهرة تتبعه، فحاول صاحبها أن يصد طريقها فلم يستطع، ولحقت بالولي إلى قريته.

حاليا، كما تفرع بعض أفخاذها في جهات أخرى في بني فرقان و سليانه بجانب لقرارم، وتتكون هذه القبيلة من ثلاثة فروع هي :

- بن دغة : ويتفرع منهم عائلة زعموش، وعائلة بن دغة...
- ناصر: يتفرع منها عائلة مريمش وعائلة ناصر...
- أمحمد: ويتفرع منهم عائلة:كيحل، خريبط، ميلي، كغوش، وعائلة كشود...

الانتقال إلى مدينة قسنطينة.

استدعي والدي للخدمة العسكرية سنة 1938، قبل بداية الحرب العالمية الثانية، وكلف بمهنة مساعد طباخ، ونتيجة التعامل معهم أصبح يتقن الفرنسية بطلاقة، وبعدما وجد نفسه بين أيدي الألمان أسيرا، اضطر كذلك لتعلّم الألمانية، ومع هذا بقي أميا لا يعرف القراءة والكتابة، شأنه في ذلك شأن عمال الموانئ والمطارات الذين لهم علاقة مباشرة مع رجال الأعمال.

أدى التجنيد الإجباري لوالدي إلى ترك والدتي عند أهلها وهي حامل، فولدتُ في 22 أوت 1938م، في كنف عائلة شنوف(أخوالي)، ولم يلبث كثيرا، إذ بعد فراره من بين أيدي الألمان، عاد الى مدينة قسنطينة التي كان مستقرا بها من قبل، المدينة التي كبرتُ وترعرعتُ بها.

سكنّا في دار داخل بستان تابع لـ: إبراهيم بورني، المدعو بن حفيصة، وهو من أقارب أمي، بعوينة الفول العليا[1]، التي كانت تُدعى في عهد الاحتلال بـ: شارع 11 نوفمبر، ترعرعتُ في هذا الحي القسنطيني في عائلة من سبعة أبناء ثلاث ذكور - توفي أحدهم - و أربعة بنات وكنت أكبر أخوتي.

جمع حي عوينة الفول مختلف القيادات النشطة في الحركة الوطنية الجزائرية، وفي المنظمة الخاصة[1]، كانوا يجتمعون في محل الوالد(المطعم الصغير)، مركز اللقاء، وأشير هنا أنّ معظمهم قد شاركوا في اجتماع الـ 22 التاريخي الذين قرروا تفجير الثورة.

كما كان هذا المطعم الصغير مشتلة لتربية أشبال الفداء وأبطالها، أمثال عبد الله بن طوبال، عبد الحفيظ بوالصوف - الذي كان يعمل في محل لغسل الثياب بنفس الحي -، مشاطي، شيحاني بشير، إضافة إلى: حسين زعموش المدعو لمشلط... عبد

---

1 - وعلى ذكر عوينة الفول فهي تتكون من حيين - عوينة الفول العليا وهي تمثل الحي القديم العلوي، كانت قربها سوق أسبوعية تباع بها أنواع الخضر والفواكه والحبوب الجافة.

- عوينة الفول السفلى وهي عبارة عن أرض كانت ملكا لأحد المعمرين يدعى"ساباطي" جزأها وباعها قطعا صغيرة استفاد منها سكان المناطق المجاورة ومنها بابا عمار،وبنى منزلا من طابقين، وخصص محلا للبقالة،وآخرلبيع (الدقيق).

الحميد كغوش، زعموش عمر المدعوعلي فولف، زعموش محمد- قايدي عبد الله المدعوبوحصان، عبد الحميد رغيوة، جدي سعيد المدعوبن عيمون، رابح بوشلاغم، منتوري بلقاسم، عوّاطي مصطفى، غنّاي محمد، وغيرهم كثير...

كان الوالد قوي البنية، أربع القد، أشقر الشعر، ذو عينين عسليتين حادتين، يتمتع بقوة فولاذية، وهو سر تلقيبه ب"عنترة بن شداد"، كون أبي رجل بسيط لكنه اجتماعي ومتشبع بالروح الوطنية، يحسن الاستقبال ويجمع بين الذاكرة القوية، وحفظ الأسرار، وكان مسموع الكلمة، يخوض في اجتماعاته مع رفقاء النضال في أمور سياسية، لم أكن أدرك أبعادها، وأنا طفل صغير، حيث كنت أقصد محله وأنا ذاهب إلى المدرسة، منذ أواسط الأربعينيات من القرن الماضي، وكنت أسمع كلام "الرجال" الذين يستعملون مصطلحات حفظتها من كثرة تداولها بينهم، وكذا من المناشير التي يطلب مني والدي قراءتها عليه، دون أن أدرك المعنى الحقيقي للكلام، وتتلخص في الاحتلال، الحرب، طرد المستعمر، النظام، حزب الشعب، أحباب البيان، الفرار من السجن...

أما عن سبب امتهانه لحرفة الطبخ، فقد أخذها من المعسكر الفرنسي، حيث كان قد عين طباخا مساعدا، وبعدها عين

سائقا لدراجة نارية عسكرية بها كرسي جانبي (على الجهة اليمنى) يجلس به عادة ضابط.

أسر أبي من قبل الألمان، وعن ذكرياته عندهم، يحكي لنا أنه ذات مرة في شهر رمضان، أراد الألمان معرفة اليهودي من المسلم - فاليهود عند أسرهم كانوا يصرحون بأنهم عرب - جاءهم ضابط المعتقل وخاطبهم وهم على أبواب رمضان لمعرفة من منهم سيمارس شعائر الصوم والذي لا يصوم، كي يصنعوا طعاما مناسبا للصائمين، فخرجت مجموعة من الأسرى المسلمين وصرحوا بعدم الصيام، بينما خرجت مجموعة اليهود مع الصائمين، هناك قال الضابط للذين لا يصومون: إذن أنتم يهود، فقالوا له: لا نحن مسلمون أردنا أن لا نصوم، فقال لهم الضابط: بماذا أمركم محمدكم؟ فقالوا: بالصيام، فقال لهم: أنتم لا تصومون فأنتم يهود، وهكذا تم جمعهم ونقلهم إلى مكان مجهول.

عاش الوالد بمدينة قسنطينة في كنف أخيه الأكبر الذي كان يشتغل قهواجي (عامل بمقهى) بعوينة الفول، فقد شب يتيم الأبوين، عانى من الغبن والحرمان كثيرا، لم يعرف مرحلة الطفولة واللعب، وفي لحظات تأمل كان يسترجع شريط الذكريات، فيحدثني عن المحن التي مر بها والتي صادفها. ولذا كلما قصصت عليه ما مررتُ به من محن في مختلف السجون و

الجبال جذب أنفاسه من العمق وأجابني: محمد، هل أنهيت ؟ أقول له نعم، لكنه القليل من الكثير، فيجيبني بجملة واحدة:" لو احكي همّي لهمّك، يقول همّي لهمّك (هَم)"، (أي لو قصصت لك ما جرى لي لأنسيتك ما حدث لك). وهذا دليل على قوة تحمله في فترة ادلهمت فيها الخطوب، وكثرت الأزمات، وهي علامات صحية عند الشعوب المستعمرة، لأن الأزمة تلد الهمة، ولا يتسع الأمر إلا إذا ضاق، ولا يظهر نور الفجر إلا بعد الظلام الحالك، كما يقول "جمال الدين الأفغاني".

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، قامت القيادة العسكرية بمكافأة الذين شاركوا في حمل السلاح بمنحة تعويضية، وعند محاولة تسوية ملفات الخدمة العسكرية على الذين أجبروا على المشاركة في تحرير فرنسا من يد الألمان، رفض بابا عمار ذلك قائلا: لقد أرغمت على خدمتها العسكرية، وأرغمت على الاستسلام ورضيت بالأسر، وأنا أمقت هذه الدولة، فكيف الآن أطلب منها منحة، أو صدقة. ولم يستفد من امتياز أو منحة طيلة حياته، وقد رفض ذلك عن قناعة، كما لم تشفع له "الخدمة العسكرية" فيما بعد عندما اكتشف أمره كمنخرط في الحركة الوطنية، ولهذا فقد تعرض أثناء الثورة لعذاب شديد، بحكم أن محل تجارته كان مركزا لقدماء مناضلي الحركة الوطنية، ثم لأنه صاحب مركز لاجتماع وعبور القيادات الثورية

التي انتشرت في الولايتين الأولى والثانية على الخصوص، ومن آثار التعذيب الذي تعرض له، عملية الكي بمحلج الرصاص الصحي(شاليمو)، ثم كيّه الخيط المعدني أو السيلان الذي ترك آثارا بالغة برجله عانى منها طيلة بقية حياته، وخاصة أماكن إدخال الخيط المعدني المحمى.

كانت طفولتي في حي عوينة الفول القديمة هادئة، في البداية، لكن حب الظهور، والتفوق باستعمال القوة ضد أبناء الأحياء الأخرى، نتيجة للفراغ الثقافي وللضغط الاجتماعي الذي فرضه نمط المعيشة للاستعمار على ابناء المسلمين، فقد كانت سمة المغالبة والمناصرة سمة شباب الأحياء، و من بين الذين ربطت الألفة بيني وبينهم من أقراني هو الجار حملاوي[1]، ورغم أن حملاوي كان يكبرني بحوالي أربع سنوات، فقد كان أخي الذي لم تلده أمي، فتلازمنا حتى آخر يوم من حياة حملاوي، حيث خضنا معا معركة قسنطينة التي سنأتي على تفاصيلها

---

1 - حملاوي، هو سليمان داودي، ويدعوه والداه باسم حملاوي تيمنا بالولي الصالح الذي يحمل هذا الاسم، وليس هذا هو اسمه الثوري، فالاسم الذي عرف به أثناء الثورة هو"عز الدين"، ولد بمدينة قسنطينة في 27 مارس سنة 1934 من أب يسمى الساسي وأم تدعى قروي عقيلة، التحق بمدرسة باردو التابعة لجمعية العلماء المسلمين، لكنه لم يواصل تعليمه، لأنه فضل مساعدة والده، ولهذا غالبا ما كنت أساعده في شراء وجمع الخردوات لفائدة عمي الساسي، مقابل منحنا ما يكفي لدخول السينما ومشاهدة أفلام.

لاحقا، كما كان ابن حيي فضيل زروال، من الأصدقاء المقربين والذي يكبرني سنا هو الآخر.

ولما كانت عائلة حملاوي زبونة عند أبي، تولدت بيني وبينه محبة ومودة وأصبحنا متلازمين لا يفارق بعضنا بعضا إلا عندما أذهب إلى دراستي، فأصبح يساعدني في إدارة متجر بابا عمار عندما كان هذا الأخيريذهب لتموين المحل. ومن بين الأسباب التي دعمت الترابط بيني وبين أصدقاء الطفولة هو التقليد الذي آمنا وتأثرنا به، وطبقناه بعد مشاهدتنا لأفلام سينمائية تبرز صفة التآخي الأبدية لدى قومية الهنود الحمر، تتمثل في جرح أياديهم وخلط دمائهم ليصبح دما موحدا، فقمنا نحن الثلاثة بذلك حملاوي و فضيل وأنا.

كانت هذه الصحبة تقوي عصبية الحي، بعدما ساد نظام العصبية القبلية في القرن العشرين فكثيرا ما كانت تقوم هجومات ومناوشات خاصة بين ابناء الحي الواحد، أو أبناء عوينة الفول وأولاد أبراهم، أو حي"بيان في" أو جماعة باردو. أو مع جماعة السويقة ورحبة الصوف[1].

1 - يحمل جميع كبار وشيوخ المدينة العديد من الأمثلة على هذه التصرفات الموروثة عن غزوات القبائل لبعضها، أو مرور جماعة على أراضيها دون استئذان، أو أثناء المجاعات والقحط التي غالبا ما تنتهي بمنتصر ومنهزم يتربص بعدوه ليثأر منه.

و كما كانت عصبية أبناء الحي في المدينة، كانت عصبية القبائل بين النازحين إليها من أبناء المناطق الأخرى، فلمجرد نداء بسيط يتجمع أبناء القرية للدفاع عن أحد أبنائهم، متناسين كل الخلافات التي بينهم، وكل الصداقات التي تربطهم مع الطرف الثاني[1].

كنتُ تلميذا أتابع دروسي بمدرسة التربية والتعليم قُبيل انتقالي إلى معهد ابن باديس، ألازم حملاوي أيام العطل والراحة للبحث عن الخردوات التي يحتاجها الأب "عمي الساسي" من أجل إعادة بيعها لكسب لقمة عيش الأسرة، وقد كان مقره تحت

---

1 - يروي صاحب المذكرات، محمد كشود، أنه على إثر العراك الذي وقع بينه وبين ابن "صالح بوذن" صاحب مقهى بعوينة الفول، المقهى الذي كان مركز الخلية الأولى المتكونة من مصطفى عواطي، علي زعموش...وأثناء المناوشة التي وقعت بين المراهقين، كان صاحب القصّابة أو الجزار المقابل لموقع المناوشة يتفرج على ما كان يجري وهو يضحك، لأنّه كان من أبناء قريته، بل كان يقول لمن حوله" أن ابننا غلبه" وعندما تدخل أحد المشاهدين وحاول فك النزاع بيننا قدم صفعة لكل طفل، فاعتقد علي بن صالح أن الصفعة التي تلقاها محمد كانت أقوى، فقام و نطحه برأسه أسقطه أرضا، فأسرع أحد الحاضرين إلى بابا عمار وأخبره بأن مناوشة وقعت بمقهى عمي صالح، وأن ابنه محمد في وسط العراك، فخرج بابا عمار من محله دون أن يشعر بأنه يحمل سكينا بيده، فرآه شخص من أولاد علي يجري لمكان العراك، فأسرع إلى مرقد وحمام يؤمه عمال ينتمون لقبيلة أولاد علي، ونادى على الجميع قائلا بأن عراكا واقعا بالطرف الآخر من الطريق يشارك فيه بابا عمار فهرع الجميع للتدخل قبل أن يعرفوا سبب النزاع.

قنطرة "سيدي راشد"، وكانت فرصة جيدة لنا لأن نستفيد ماديا من خلال القيمة المضافة للثّمن الأصلي للسلعة من جانب، ومن جانب آخر مكافأة العمولة التي كنّا نتلقاها.

كان عمي الساسي يعلم مسبقا بما نتحايل به عليه، وكان يظهر لنا بأنه على علم، وعلى هذا الاساس يتفاوض معنا وهو يضحك بطبيعة الحال ثم يمنحنا بما يستوجب تقديره من اجل الحفاظ على الربح الذي يجب ان يجنيه عند إعادة بيع تلك السلع التي تتمثل عادة في الأخشاب القديمة .

ومن باب إظهار تفوق الحي على بقية الأحياء المجاورة، كنا دائما نبحث عما يبين هذا التمايز، وإظهار قدراتنا البدنية والعقلية في محيطنا المدرسي وفي الشارع، فمن بين القصص التي وقعت لنا مع شباب حي الجزارين، بالقرب من مقهى - الدروج - التي تنحدر نحو الرصيف السفلي، أدت تلك المناوشات إلى تهشيم واجهة محل للذهب، ففر الجميع ،ووقع صديقي حملاوي بين يدي صاحب المحل، وأمسكه رهينة حتى يعوضه الخسائر، لكني هددته بتكسير الواجهات المتبقية إن لم يطلق سراحه، فامتثل واخذ الساعة ضمانا، فلم يهدأ لنا بال إلتقطنا حجارة من محيط عوينة الفول، عدنا بها وهددناه بتهشيم كل واجهات المحل إن لم يرد الساعة، تأكد صاحب المحل من نوايانا، فحاول أن يبتعد عن الأسوأ، ورمى لنا بها، فعدنا إلى

الحي و كأننا ابطال شجعان انتصرنا في غزوة عظمى نروي ونتباهى بما حققناه .

إذا كان حي لابراش، "ساحة الشهداء حاليا"، بما يحمله من رمزية للمعمرين، والتسمية دليل على ذلك، بما يقدمه من وسائل للراحة لهم، بعد التهيئة التي مسته منذ بداية احتلال المدينة سنة 1837 ، فهدمت التحصينات القوية والأبواب التي كانت تمثل منخلا، أو مصفاة تراقب منه الهجرة، ويعمل به الجباة المراقبون التجارة والبضائع التي تدخل للأسواق والتي تتوزع على النقاط المخصصة لذلك مثل: باب الجابية، وعوينة الفول، ورحبة الجمال، ورحبة الصوف.. وكما هو معروف فقد كانت الثلمة، أو الفتحة التي تسرب منها المهاجمون في نفس السنة، ملتقى لأبناء المعمرين واليهود.

كان الحي الشعبي"عوينة الفول" مشتله للنضال وللمناضلين، عند أبناء المدينة الذين اختاروا جنان الزوالية، ليكون مسرحا لأحداث كثيرة، فبعوينة الفول كانت مراكز اجتماعات الفدائيين منذ الحرب العالمية الثانية وقبلها، ومن بين المراكز الكثيرة التي كانت موزعة على هذا الحي، مطبخ بابا عمار، المناضل الذي كان من أنصار حزب الانتصار للحريات الديمقراطية، ومتعاطفا مع جمعية العلماء المسلمين. فقد عرفت مناضلين ونشطين في المنظمة الخاصة، من أمثال عبد الحفيظ

بوالصوف، عبد اللّٰه بن طبال، بشير شيحاني، محمد مشاطي، عبد اللّٰه قايدي، مسعود بوجريو، عبد الحميد كغوش، علي زعموش...وغيرهم.

لم يكن الحي الشعبي "عوينة الفول" يستجلب الشباب المحبين للحرية والعيش بكرامة بكونه يقدم الراحة، ولما له من واجهات ومحلات كبيرة، وشوارع واسعة، بل بالعكس، فالسر يكمن في كونه معزولا، هادئا تسكنه طبقة شعبية فقيرة، معظمها من النازحين إلى المدينة من القرى الداخلية أثناء الأزمة الاقتصادية التي سبقت وصاحبت اندلاع الحرب العالمية الثانية، وبعد بيع الأراضي المجزأة كقطع سكنية، جاؤوا من مناطق متقاربة، أو من الذين جمعت بينهم الخدمة العسكرية الإجبارية أثناء الحرب، وحتى التنظيم الذي فرضته القيادة الفرنسية بفتح مكتب للأمن الشعبي، قضي عليه مبكرا.

من كثرة ما تردد على مسامعي من تذمر واستنكار رجال الحركة الوطنية، من رفاق أبي، المنددين بالأفعال الإجرامية، سألت أبي ذات ليلة عن الوجود الفرنسي، فقلت له: سمعتكم تتكلمون عن فرنسا باعتبارها غاصبة محتلة، فلماذا لم نقم بإخراجها من أرضنا؟ فقال لي: كيف لنا بذلك وهم يملكون سلاحا متطورا من طائرات ودبابات؟ ونحن لا نملك شيئا، فقلت له: لكننا أكثر منهم عددا، ونعيش مختلطين والأكيد أنهم لن

يستطيعوا استعمال الأسلحة ضدنا لأنهم سيصيبون المعمرين أيضا، فانتبه والدي الى ما أرمي إليه فسألني قائلا: برأيك ما هي الجزائر التي تعنيها في كلامك ؟ فكان جوابي قسنطينة طبعا.. فالجزائر في ذهني كانت مختزلة في هذه المدينة.

تبسم والدي وقررإنهاء الحديث، قائلا: من الأحسن أن تخلد للنوم فغدا تقوم باكرا ...لتذهب الى الدراسة، دعاني كل هذا أن أفكر ما كنا نتلقاه من قبل أساتذتنا بمدرسة التربيه والتعليم التي توجد بحي الأربعين شريف،(من خلال ترديدنا للأناشيد الوطنية، لاسيما منها شعب الجزائر مسلم، وخاصة مقطع:

يا نشء أنت رجاؤنا وبك الصباح قد اقترب

خذ للحياة سلاحها وخض الخطوب ولا تهب

كانت لي مع الأستاذ والمربي الشهيد صالح بوذراع قصة غيرت مجرى حياتي، رغم أنه هو المتأثر بالحادثة، ففي يوم من أيام الدراسة، كنت واقفا في الصف استعدادا لدخول القسم، نظر نحوي وأمرني أن أدخل في الصف، لم أعلم بأنه يعنيني بالأمر، لظني أنه ينظر إلي تلميذ غيري، بحكم أنه كان أحولا(strabique) بدرجة ميلان شديدة لأحدى عينيه، فعندما تباطأت في الاستجابة لأمره، تقدم مني وصفعني أمام التلاميذ، فتحملت الصفعة وقلت له، لم أعرف أنك تقصدني بأمر الدخول، لأنك كنت تنظر لغيري، فوجم أستاذي رحمه الله،

وكأن شيئا ما حدث له، والحقيقة أنه قدر جرأتي على مواجهته بالحقيقة.

لاحقا عندما التقينا بالجبل أخبرني بأن سبب انخراطي في الثورة كانت نتيجة تلك الجرأة التي واجهته بها في ساحة المدرسة، وجاء انضمامي في الوقت الذي كانت القيادات في حاجة لشباب متعلم ليضمنوا تسيير هياكل الثورة الإدارية، وتنشيط الاعمال الفدائية بالمدن.



صورة جماعية لطلبة السنة الأولى بمعهد عبد الحميد بن باديس تحت إشراف المرحوم الأستاذ المجاهد عبد الرحمان شيبان ، ويظهر على يسار الصورة (الأعلى) العميد عبد الحميد مطاطلة، محمد كشود)الرابع بعد الشيخ شيبان من اليمين الى اليسار)

وفي هذه الفترة الزمنية القصيرة التي جمعت بين مفجري الثورة وقادتها، كدت أن أكون من كتاب القيادة في المنطقة الأولى حيث بعث بشير شيحاني، أحد الموفدين من طرفه يطلبني، وسأعود الى شرح هذه الحادثة لاحقا.

قبل هذه الفترة، ونظرا للتباين بين طبيعة الأوروبيين و"الأهالي"، فقد كانت فرنسا قد فرضت فصل الأوربي واليهودي عن المسلم، أو العربي، لأنها لم تكن ترى في الجزائري سوى ذلك"الأنديجان". الذي يمثل الزائدة الدودية في جسم مجتمع أوروبي جديد، كونته الهجرة المنظمة والنفي من وطنه لأسباب أمنية، وكان للإدارة الاستعمارية أحكام مسبقة عنه، فهو يمثل التخلف بعينه، كما يمثل العبء الأكبر في مدينة استصغر أهلها، ونقل هذا الإحساس إلى أبنائهم، غارسين فيهم شعور الاستعلاء والتفوق، فكيف لا وهم المتعلمون، رواد المدارس والمعاهد والجامعات، وآباؤهم هم الموظفون الحكوميون، وأرباب التجارة والصناعة، وأجدادهم من احتل المدينة بقوة السلاح, وهذه طبيعة الاستعمار الاستيطاني الذي لم يكن يخطو خطوة صغيرة إلى الأمام حتى يدرس وقعها على الجالية الأوروبية من المعمرين وملحقي الإدارة والمصالح الأمنية.

ولهذا فقد كنت مع أصدقاء الدرب، نمثل الأطفال المشاغبين، عند مواجهة الفرق الرياضية لأندادهم من الفرق

الأخرى، أو عند لعبنا، أو مشاهدتنا للأفلام المصرية، التي كانت لنا بمثابة ربط ماضينا العريق، ويثري ثقافتنا الأصيلة، بحاضرنا المليء بالتناقضات، بل حتى الأفلام الأمريكية المدبلجة إلى اللغة الفرنسية، والتي كانت تعرض مساء متخذة من جدار أبيض، بإحدى ساحات المدينة، شاشة مناسبة لها، فكنا نناصر الهنود الحمر، من: أباش، وشيان، وكوموش، وسيو، وموهيكون، وقبائل الشيروكي... وغيرها من القبائل التي نرى أن الجرائم غير المبررة لم تكن بهدف نشر الحضارة وتمدين هذه القبائل التي كانت تعيش على طبيعتها بعيدا عن كل التأثيرات، وكنا نرى، دون أن ندري، أن هذا التعاطف ما هو إلا رد فعل طبيعي ضد المحتل "الأوروبي" لشعوب أبادوها ليتمكنوا من الاستقرار على أرضهم، اعتمادا على نشر حضارة القوة بدلا من قوة الحضارة.

كما عرفنا أن الشجاعة وحدها لا تفي بالغرض في كثير من الأحيان، ولهذا توقفت المقاومة الشعبية التي قادها أبطال، لكنها فشلت لأسباب موضوعية منها كثرة عدد الجيش النظامي المدرب، وحسن التسليح باستعمال آلات متطورة، ثم لوجود عقول قابلة للاستعمار كان وطؤها على الحروب أشد.

لم يكن أمامنا من سبيل لإبراز عوامل الاختلاف والتفرقة بين ابن "العربي" أو أبناء الأنديجان، وأبناء الأوربيين إلا من خلال

استعمال العنف الجسدي، عند خروجنا من المدرسة، وخاصة بعد دروس التربية الوطنية، التي نتلقى فيها دروس عن التاريخ الإسلامي، وعن حب الوطن، فعندما نخرج من المدرسة كنا نقوم بضرب أبناء المعمرين ثم نهرب كل لجهته، في عمل كنا نرى أنه انتقام من المعمرين، وكنا نتبادل الأدوار بيننا في ذلك، فعندما جاء دوري، كنت قد اشتريت مسدسا صغيرا، بمناسبة المولد النبوي الشريف، وكان مسدسا من المعدن رصاصاته من الفلين، لكنها مبطنة بطبقة صغيرة من البارود، حيث كانت تحدث فرقعة صغيرة، بعد صدم المسمار المفجر للشحنة، فينطلق السداد، الذي لا يسبب ضررا في معظم الأحيان، لكنني قربت المسدس من عين الطفل المعمر وأطلقت عليه السدادة وهربت، تارك أياه يصرخ من شدة الألم.

لم نكن نعرف أن هذا التمايز وهذا الاختلاف سيؤدي لاحقا لتجسيد قطيعة بين أبناء المعمرين وأبناء "الأندجان". بل بين شبابهم مما سيحدث شرخا عميقا بعد عدة سنوات من ذلك، بين المستفيدين من خيرات الأرض ومن عرق الفرد، ومن ضرائب الفلاح الذي ينظرون إليه كعبد من أقنان الأرض، لم يكن أي أحد من الأهل يدري بما نقوم به، ثم أن كثرة التلاميذ الخارجين من المدارس تجعل القبض علينا أمرا مستحيلا، لأن الفاعل دائما يضيع في زحمة الشارع، وسرعة حركة تلاميذ المدارس العديدة.

رغم تباين ظروف المعيشة بين أبناء المعمرين، ونحن أبناء العرب[1]، فقد كانت لنا أعيادنا، وأيام عطلنا، أيام فسحة سمحت لنا بمعرفة محيط المدينة: مجرى الوادي، بما يقدمه من مميزات، ومن برك ومسابح، ومنعطفات تزيّن الوهاد، ومخارج المدينة: جسورها، أماكن الحراسة والمراقبة والتفتيش، ولم نكن نهتم بها، إذ كنا نرى أن الوضع بالمدينة طبيعي، رغم أنها كانت بمثابة نقاط استعملت لمراقبة كل حركة في المدينة قد تعكر صفو عيش المعمرين، بل كنا نرى في ذلك استجماما ونجد فيه متعة وترويحا عن النفس، لكننا كنا نستغرب وجود الجيش في كل الأماكن الإستراتيجية، خاصة وأن وسائل الترفيه منعدمة، والساحات الكبرى كانت مخصصة للمعمرين وأبنائهم، أو على الأقل لمن يملكون نقودا لشراء المثلجات والمشروبات، ولم يكن هذا متوفرا إلا لأبناء الطبقة المتميزة، أو من يدور في فلكها من أبناء الشخصيات المرموقة التي ارتبط اسمها بالمناصب التي يحتلونها، والتي تستوجب تضحيات كبرى من طرف أصحابها لفائدة الإدارة.

1 - وقد استعملوا هذا اللفظ للتفريق بين أبنائهم وأبناء غيرهم دون تمييز بين أبناء هؤلاء "الأهالي" من عرب و أمازيغ، كما استعملوا لفظ المسلم على كل جزائري، من غير المعمرين.

ورغم ما كنا نلاحظه على تصرفات المعمرين، فقد ربطتنا علاقات طيبة مع بعض الشباب المجندين الفرنسيين الذين كانوا يحرسون مخزن البارود بالمرجة، أو السبخة، خوفا من أن يمنعونا من اللعب قربه (la poudrière) بحجة أو أخرى، المؤسسة العسكرية القديمة التي تلا بناؤها عملية احتلال المدينة سنة1837، كانت قرب عوينة الفول، وهذه المرجة (marécage)، كانت المتنفس الوحيد لنا للعب الكرة، فبعد تكرار المقابلات بين أبناء الأحياء، وطمأنة الشباب المجند للوضع الأمني، طلبوا منا مشاركتهم معنا في لعب الكرة، أو إقامة مقابلات ضدهم، فقبلنا، لأننا كنا نخشى إن رفضنا أن يمنعونا من اللعب هناك، باعتبار أن المكان قريب من مخزن البارود، وقد ساعدتنا هذه المعرفة في التخفي بعد كل عملية فدائية، وكان يظن أن هذا التعايش السلمي يمكن أن يكون سببا في تهدئة الأمور بالمدينة، وعندما تحاصر منطقة عوينة الفول ويجدنا البوليس أوالعسكر نلعب مع مجموعة من المجندين يتركوننا، وبعد أن ننتهي من المقابلة نصعد لجبل الوحش حتى تستتب الأمور.

وما يلاحظ على هذا التقارب هو أننا لم نقم بعمل ميداني بهذا المكان، فكان لنا بمثابة مأوى نلجأ إليه للاحتماء به من تعميم أعمال التوقيف ضدنا، مما يسمح لزملائنا بالترويح عن أنفسهم في وسط لا تسمع فيه إلا انفجار القنابل وطلقات الرصاص،

وكنا قد طبقنا قرارا غير مكتوب، أن لا نعمل بالقرب من مراكزنا، ومكان لقائنا، أو مكان عملنا.

كان المواطن البسيط يتنقل من عوينة الفول إلى جنان "الزوالية" أوالفقراء، الذي يقع بين حدود السوق، ودار العدالة، والكازينو، أما المكان الممتد بين محطة شركة "سيطروان" والمساحة المهيأة التي كانت تفصل بين أبواب المدينة: الباب الجديد وباب الوادي وباب الجابية، التي يؤمها السادة وأبناء المعمرين،أي ما يطلق عليه المواطن اسم جنان "المركانتية"[1] أي الميسورين، ومن هذه التقسيمات نرى كيف كان التعامل بين سكان المدينة الواحدة، التي يقول عنها الشيوخ أنها لم تكن هكذا قبل سنة 1837 ، وأن هذه الفوارق من صنع الاستعمار، فحفظناها، وكبرت معنا.

---

1 - المركانتي هو الشخص الميسور الغني، والكلمة في الأصل نظام اقتصادي، كان أحد المسئولين عن الجوانب الاقتصادية وتنظيم الأسواق والإشراف على الطرق التجارية، عضو في مجلس أمناء مدينة عنابه قبل الاحتلال. وهيكلة المدينة أو التركيبة الحضرية التي توصف بها منطقة باب الوادي، كانت منقسمة إلى بستانين متقابلين، : الأول يقع خلف دار العدالة،وكانت به تماثيل كتبت باللاتينية، ويسمى جنان الزوالية، بينما يوجد الثاني مقابل جنان الزوالية وراء دار الفلاحة من المكان السفلي، و وراء دار "اتحاد العمال" من المكان العلوي. زين بشجيرات الورد، و بها كراسي للراحة، ويمنع على المواطنين دخوله، سمي بجنان المركانتية.



ساحة الشهداء – لابراش، أو الثلمة

كبرنا وكبر الأمل معنا في استعادة ما كنا نرى أنه اغتصب منا، أو تحرير الإنسان الذي كنا نرى أنه مكبل بالأسلاك الشائكة التي تغلق كل منافذ المدينة، وبالأماكن العمومية التي كانت حكرا على المعمر، إذا مشيت فلتمش بحذر، وإذا تكلمت فصوتك نعيق، كنا نحس أننا نملك محلات ومساكن لكننا لا نملك شيئا، فبأمر بسيط تقع في المغارم والضرائب وتفقد ما تملك ليباع لأبناء المعمرين بأثمان بخسة.

كان رفاق الوالد الذي يلقبونه بـ "بابا عمار" يتبادلون الحديث دون خوف من اكتشاف أمرهم، فقد كثر الحديث بينهم حول تنظيم "المخ" أي المنظمة الخاصة التي كان على رأسها المناضل

بوجمعة صالحي المدعو عبد الحميد، كانت تحضّر الأفواج لاندلاع الثورة، قبل أن يعين مسعود بوجريو مسؤولا على خلية سيدي مبروك منذ 1947، ويستغربون غطرسة السياسيين الذين تمسكوا بالخط السياسي لحركة انتصار الحريات الديمقراطية، كمذهب وعقيدة لا يمكن الحياد عنها، وهذا لمنافع شخصية، وسكوت المواطنين في ظل السرية التي انتهجتها قيادة حرب التحرير.

ومن بين القضايا التي كانت تدور في محادثاتهم أيضا تلك الظروف التي تمت فيها عملية تفكيك "المنظمة الخاصة" سنة 1950[(2)] ومتابعة رجال الأمن لأعضائها الذين أسروا أو التجؤوا إلى الأوراس أو إلى الجبال بمختلف المناطق.

في خضم الصراع الذي نشب بين قيادات حزب الشعب الجزائري الذي اتخذ اسما جديدا له "حركة انتصار الحريات الديمقراطية"، أي بين المركزيين والمصاليين، الصراع الذي سيتسبب في انقسام مميت لهذا الحزب، ولغريب الصدف أن المدينة التي ضمت في السابق نخبة المناضلين وأعضاء المنظمة الخاصة، بل وأغلبية أعضاء مجموعة الـ 22 التاريخية، هي التي وقف بعض قادتها وأعيانها من أنصار نفس الحزب، ضد أي مساهمة في الثورة لاحقا، وأن لكل مناضل الحرية في اختيار الطرف الذي ينشط تحت لوائه، ودام هذا الصمت الرهيب الذي

خيّم على المدينة لمدة ستة أشهر قبل اندلاع الثورة، الأمر الذي أدى بديدوش وزيغود لأن يعقدا اجتماعا طارئا في دار المرحوم يوسف حداد، فنجم عنه ضرورة التنسيق بين أقسام كل من: الخروب وواد زناتي، وقالمة، وسكيكدة، وإعادة تشكيل هياكل النظام، وتم تعيين السادة :

- بشير حجاج على رأس قسم لخروب.
- محمد قديد على رأس قسم الحروش.
- مختار باجي على قسمة سوق أهراس.
- وعلى رأس خلية سيدي مبروك مسعود بوجريو وعبد السلام بخوش المدعو سي الساسي[1]

انطلقت الثورة التحريرية، ووزعت المناشير التي وجدنا فيها خلاصنا، فقد جاء بيان أول نوفمبر 1954 استجابة لمطالب كل الجزائريين، الأغنياء منهم والفقراء، العالم منهم والأمي، جاء ليعيد للشعب كرامته ومميزاته وخصائصه، خاصة وأن بداية الحرب شملت كل المناطق التي أصبحت الجزائر منقسمة إداريا حسبها، وكان المستهدف هي الثكنات ومخافر الشرطة ومراكز الجندرمة، وأملاك المعمرين، لكن الشيء الوحيد

---

1 - سنرى لاحقا أنهما سيشكلان النواة الصلبة التي ستكون منطلقا للعمل الفدائي بالمدينة التي كان هاجس تأخرها عن الموعد، الناجم عن تهور بعض أعيانها، واختلاط المصالح الشخصية بالمصالح الوطنية، وكذا عن السرية التي أحيطت بعملية انطلاق الثورة.

الذي لم نفهمه في الأول هو من قام بالثورة، خاصة وأنها كانت سرية، شارك فيها الشباب الملتزم الذي كان يشكل البقايا النشطة من المنظمة الخاصة.

في صبيحة يوم 31 أكتوبر 1954، استقبل قائد منطقة الشمال القسنطيني، ديدوش مراد، مسعود بوجريو قرب مدينة الحروش، حيث أطلعه على بيان أول نوفمبر، وتاريخ وتوقيت بداية الثورة، الذي لم يبق له أكثر من 14 ساعة، اي بالضبط على الساعة الواحدة صباحا من أول نوفمبر، الخبر الذي لم يكن معلوما لأحد حتى نهاية هذا الاجتماع.

بعد ساعات من هذا الاجتماع، وفي ليلة31 أكتوبر إلى01 نوفمبر1954، وردا على السياسة الفرنسية التقليدية التي كانت ترمي إلى خنق صوت الجزائر في المهد، العمل الذي كان يصطدم بعنف مع الأحزاب النشطة منذ العشرينيات من القرن الماضي، من جهة، وللبرهنة على أن انطلاق الثورة كان عملا موحدا ومنسقا، يقوده تنظيم واحد، انطلقت في العديد من المدن عمليات عسكرية، فاندهش العدو وتعجب الشعب عندما رددت الصحف أنباء المعارك التي تزامنت بالشرق الجزائري، و بوسطها وغربها.

لكن ونظرا لقلة استعداد هذه النواة الصغيرة، وعدم وجود سلاح للمجابهة، لم يسمح قائد المنطقة الثانية بالزج بفئة قليلة

العدد، في معركة غير محسوبة، حيث أن المناضلين الطلائعيين احتفظوا بأسلحتهم، فأخبر مراد ديدوش صديقه وزميل دربه، مسعود بوجريو، باستحالة مشاركة المدينة في الانطلاقة الفعلية للثورة بها، العمل الذي يحتاج إلى دراسة، وإلى تقصي الأمور قبل تنفيذ أية عملية، وبعد أداء القَسَم من طرف أعضاء النواة الصغيرة، على أن يكونوا أوفياء للثورة ولقيادتها، بينما قامت المجموعة التي كانت في البداية تحت مسؤولية شيحاني بشير بالتفجير في أول نوفمبر.

ومن أجل التعريف بالمهمة المقدسة والنبيلة لجبهة وجيش التحرير الوطني، وفي عمل تحسيسي عن أهداف هذه الأعمال المسلحة والمتزامنة، أمر مراد ديدوش بالإعلان عن الثورة التحريرية بطريقة سلمية وهي توزيع بيان أول نوفمبر 1954، فتوجه كل مناضل إلى حيه ونفذ عملية التوزيع بصناديق البريد الخاصة، وتحت أبواب المنازل، مما أربك الأجهزة الأمنية، وأخلط جميع الأوراق، فبدأت هذه الأجهزة تحاول "تهدئة الأوضاع" حسب طرقها التقليدية.

بعد إشعال فتيل الثورة، أصبح المناضلون في جميع الجهات في حيرة وفي حالة من الترقب، بعد الانفجار الهائل للبركان الذي دوى دون علم معظم الفئات الشعبية، وكان الشباب الذين فجروا الثورة من الرعيل الأول في النضال، وبعضهم كان فارا من

العدالة الفرنسية بعد مشاركتهم في انتفاضة 08 ماي 1945، وتفكيك المنظمة الخاصة في 18 مارس 1950 ، قد شرعوا في شرح مبادئ الثورة، وشرح رسالة مفجريها الذين يؤكدون فيها على أهميتها وعلى عدالتها و قدسيتها.

قامت الثورة التحريرية بعد مخاض عسير، وكان للوازع الديني والحس الوطني دور كبير فيه، والمشاركة في المقاومة الشعبية، وبعد أن عملت الإدارة العسكرية على تشويه التاريخ، واستبدال لغة الشعب بلغة المستعمر، لغة الأغلبية بلغة الأقلية، كما قامت بنهب ثروات البلاد للنهوض بفرنسا التي أنهكتها الحرب العالمية الثانية، رغم أن حكومة "فيشي" بقيادة الماريشال بيتان" كانت قد تجنّبت الدمار المؤكد بعد الاستسلام المخزي لباريس أمام النازية.

كانت التحركات الأولى لجبهة وجيش التحرير الوطني قد مست العديد من نواحي المنطقة الثانية، وعينت على رأس كل ناحية مسؤولا ، فعين على ناحية لخروب بشير حجاج كمسؤول، وعلى السمندو يوسف زيغود ، وعلى الحروش محمد قديد ، وعلى سوق أهراس مختار باجي، وعلى عنابه مصطفى بن عودة ، وعلى جيجل والميلية عبد اللّه بن طوبال، بمساعدة كل من مسعود الطاهري على جيجل و مسعود بوعلي على الميلية والعربي برجم على ميلة، بينما بقي هاجس تأخر مدينة قسنطينة عن موعد

الثورة قائما، إذا ما استثنينا إحدى ضواحيها وهي مدينة لخروب التي كان يشرف عليها بشير حجاج[1].

نشطت الحركة الوطنية بقوة لكنها لم تكن وراء اندلاع الثورة كبقية المدن الجزائرية الكبرى، -اذا ما استثنينا الجزائر العاصمة، لأسباب استراتيجية - لم تكن قسنطينة من بين المواقع التي حددت لتفجيرها، والتي بلغ عددها 30 هدفا، بمختلف المناطق الخمسه التي تشمل القطر الجزائري كله.

إنّ أول نوفمبر بمفهومه الواسع هو القيام بعمل مادي ومعنوي، باعتبار ان العمل العسكري مكملا للأعمال الثورية وليس هو كل الثورة، فثورتنا عملت على مختلف المجالات باستنزاف فرنسا اقتصاديا، وزعزعتها اجتماعيا، وضربها أمنيا، بالاضافه الى الضغط عليها سياسيا ودبلوماسيا عن طريق تدويل قضيتنا وتأليب المجتمع الدولي عليها...

إذن لم تسجل المدينة بداخلها معارك وهجمات تلك الليلة، فقد تم توزيع المناشير وبيان أوّل نوفمبر، لانَ جُلّ العمليات كانت بمحيطها، كما هو حال الخروب، فوسط المدينه كغيرها من المدن الكبرى مراقبة جيدا من قبل الأجهزة الأمنية الفرنسية،

---

1 - نفذ فيه حكم الإعدام سنة 1957 بسجن الكدية.

التي هي على علم بكل ما يجري بها من تحركات سياسية واجتماعية.

كان العمل العسكري لجبهة وجيش التحرير صدمة غير منتظرة، ليست للعدو فحسب، بل لمختلف فئات الشعب الجزائري بسبب عنصر المفاجأة، ولئن كان الخلاف الذي حصل بين المركزيين والمصاليين قد أخّر بداية إندلاع الثورة فإنّ الصدام الذي حدث بين المصاليين وجبهة التحريروجيشها، نجم عنه خسائر في الأرواح من الطرفين مما أدى الى عرقلة مسارالثورة وتأخير نجاحها.

ويرجع العديد ممن سجلوا شهاداتهم عن تاريخ المدينة أن سبب تخلّفها في إشعال فتيل الثورة يعود إلى الاختلاف الذي حصل بين جماعة قسنطينة من أمثال: غراس عبد الرحمان، مشاطي، بوعلي، حباشي ورشيد ملاح، مع بعض زملائهم في مجموعة الـ 22، ولكن يمكن أن أضيف أن السبب في نظرنا يعود إلى نقص السلاح في المنطقة الثانية، ورغم أن القسم الغربي كان يمتلك جزءا معتبرا من الأسلحة، إلا أنها كانت موجهة للقسم الشرقي، والقادمة من تونس لم تجد من يستلمها ولم تصل إلا في ديسمبر 1954 [1]، لأن من كان مكلفا باستقبال الشحنة الموجهة للمنطقة

1 - دحماني السعيد، نفس المرجع، ص244.

الثانية لم يتعرف عليه الموزع، ولكن نلاحظ أن انتفاضة 20 أوت 1955 قدمت صورة صادقة عن العمل الميداني بالمدينة.

ألقت الإدارة العسكرية الفرنسية القبض على حوالي ألفين من مسيري "الحزب" MTLD ظنا منها أنهم وراء تفجيرالثورة،



من يوميات المواطن إبّان الاستعمار

عرفت هذه العملية باسم "البرتقال المر"(orangeamer)، وحاولت القيادة العسكرية في عهد "جاك سوستال" خنق الثورة، من خلال نظرياتها الجديدة القديمة، التي طبقت في الفيتنام، وجاء البرنامج العسكري للحاكم "روبير لاكوست" الذي يقضي

بتقسيم وتأطير جميع النقاط الحيوية والإستراتيجية في محيط المدن الجزائرية بالإكثار من المراكز المحصنة في منطقة واحدة وتكون قريبة من بعضها، فأنشأ بالمنطقة الثانية ما يقارب 500 مركز بناحتي ميله وجيجل وحدهما، كما أطرت المدن الأخرى بمراكز مشابهة قبل أن تجعل من ثلثي مساحة المنطقة الثانية مناطق محرمة، لكن هذه المراكز شتتت الفرق العسكرية الكبرى التي كانت قد بدأت تضغط بها على منطقة الأوراس والمنطقة الثانية، وعندما لاحظ قادة الجيش الفرنسي ما أقدموا عليه من توزيع لمركز القوة، بدؤوا يطلبون باستمرار وبإلحاح من قيادتهم تعزيزات عسكرية.

تم الاعتراف بالتنظيم للخلية الجديدة لمدينة قسنطينة من طرف مراد ديدوش في يوم 13 نوفمبر 1954، وبالتالي كانت تقضي بوضع هيكلة جديدة، بعد أن بدأت الاتصالات تجري مع قدماء المناضلين الذين كانوا على الحياد، وكان مسعود بوجريو، الذي تكفل بدوره بالاتصال ببعض مناضلي قسنطينة أمثال:عمر طلعة، عمر زعموش، مصطفى عواطي، ومنتوري بلقاسم، حيث شكلوا النواة الأولى للفداء بالمدينة وكانت مؤلفة من :

- مسعود بوجريو: مسؤولا عاما.

- مصطفى عواطي: مسؤول سياسي يساعده لخضر بوشريط (علي)

- عبد المالك قيطوني : مسؤول عسكري يساعده إسماعيل زيغد.

- عمار طلعه: مكلف بالفرق الخاصة بمساعدة علي زعموش .

كما تقرر وضع قاعدة خلفية بجبل الوحش لتكون مركز لقاء وقاعدة للبيانات وللتخطيط العملياتي.

بدأت الأعمال الأولى بمدينة قسنطينة في شهر ديسمبر، وبما أن الأعمال الأولى كانت سرية للغاية، إلا أنه وفي 18 جانفي 1955 استشهد ديدوش مراد بواد بوكركر، وفي 11 فيفري من نفس السنة اعتقل مصطفى بن بولعيد على الحدود التونسية الليبية، بمدينة بن كردان، وتم إلقاء القبض على رابح بيطاط على يد الجنرال"ألار" الذي خلف الجنرال "سبيلمان"و الذي كان يلاحظ أن مدينة قسنطينة تسير بشكل غير طبيعي، على خلاف ما كان يراه عامل العمالة "ديبيش".

تم اكتشاف مسعود بوجريو، وطلعة عمر، فالتحقا بالجبل، وتولى كل من عمر زعموش ومصطفى عواطي تنظيم خلايا من أمثال عبد الحميد كغوش وعبد الله قايدي المدعو بوحصان، محمد الصالح لعكر، السعيد بن عيمون المدعو جدي، كما

التحق بالصفوف كل من السعيد بن عباس، ومحمد رموشي، ومحمد زعموش، ومصطفى فيلالي، وأحمد زنير، ومحمد غناي، ومحمد الطاهر مزهود، و أحسن كلو المدعو سديرة، وعمار كلو المدعو الألماني، وبلقاسم منتوري، وعبد المالك قيطوني...، أما حسين زعموش المدعو لمشلط ورابح بوالشلاغم، والسعيد جدي (السعيد بن عيمون)، فقد التحقوا مباشرة إلى الجبل.

أمام جحافل المضليين ورجال الأمن والمليشيا المسلحة من اليهود ومن المعمرين، بالإضافة إلى الخونة وفرق الحركى، الذين أطالوا عمر الثورة، قد تم اكتشاف هذه الأفواج التي شكلت النواة الأولى ففيهم من ألقي عليهم القبض، وفيهم من صعد إلى الجبل، وفيهم من التحق بخالقه، وفيهم من رأى نور الاستقلال.

من القواعد العامة التي طبقها الفدائيون في هذه الفترة، الاستعانة بالأطفال في ربط الاتصال بين الفدائيين بواسطة المسبلات لاجتياز خطوط التقاطع المحصنة بالمتاريس، ورغم ما كنا نلاحظه على المدينة من حصار وتضييق على الحريات لم نكن نعي ما يقوم به الكبار المحنكين، إذ كان الوالد كثيرا ما يرسلني لمرافقة زوجة صديقه الوفي عبد الله قايدي، رحمهم الله، إلى أماكن معينة، ولم أدر يوما أنها كانت تحمل ذخيرة بالقفة، فهي غالبا ما تحملها تحت (الملاية القسنطينية)، وكنت

أسير معها حتى تجتاز المتاريس والتجمعات الأمنية بتقاطعات الشوارع، وكأني حارسها الأمين، فكنّا لما نصل لرحبة الصوف تسرحني، وبالتالي أنزل عن طريق دروج 40 شريفا لألتحق بمدرسة التربية والتعليم لمتابعة الدروس، ولم أعرف وقتها بأن هذه حيلة استعملها الفدائيون حتى تتفادى تحرش الجيش ورجال الأمن، ولتصرف نظرهم الى الطفل الذي يرافقها.

بعد تصاعد العمل الفدائي أدخلت هذه الخلايا الهلع في نفوس القوات الأمنية والعسكرية، خاصة بعد إلقاء قنبلة بالكازينو، والقضاء على الخائن الشريف الواعر، والمدعو ابن خنخار، العميل الذي كان تحت الأنظار منذ أحداث ماي 1945، لم تهضم القيادة الأمنية والمصالح العسكرية هذه الأعمال التي استهدفت أشخاصا مدنيين وعسكريين وخونة، بل تعدت أعمالها لرجال الأمن في قلب عاصمة الشرق الجزائري والتي كان مسؤولوها يظنون أنها لن تتأثر بالأحداث التي عمت منطقة الشمال، والمنطقة الأولى، لكن شاءت الأقدار أن يتعرفوا على عناصر هذه الخلية ويتابعونهم بل ويتمكنوا من تحييدهم.

كان السبب من وراء إلقاء القبض على أعضاء الخلية الأولى هو كشف أحد المناضلين حمداني بن طوبال، الذي جرح أثناء العمل الميداني، بعد أن تعرض لتعذيب أليم، بافشاء معلومات عن هوية أعضاء الفرقة الأولى، وعن أماكن وجودهم، فتم القبض

عليهم الواحد تلو الآخر، وفي صباح اليوم الموالي قمنا فزعين من اللغط الذي عم الحي، بحكم أننا كنا نسكن بمحاذاة منزل زعموش عمر المدعو علي فولف، وأن البوليس كان قد قام بمداهمات على منزله، وعرفنا أن بعض الفدائيين التحقوا بالجبل أمثال عبد الحميد كغوش، وعبد الله قايدي، أما الآخرون فمنهم من أعدم لاحقا، مثل عمر زعموش، بلقاسم منتوري، السعيد بن عباس، مصطفى عواطي، وعبد الحميد رغيوة، والبعض تمكن من الفرار مثل لمشلط، بوالشلاغم، والسعيد جدي، والإخوة حمروش: محمود والسعيد وغيرهم.

ومن الأعمال الوحشية التي طالت علي زعموش[1]، بصفته مسؤول الفداء، فيذكر أنه تلقى تعذيبا إجراميا احترافيا، في محاولة للحصول على معلومات عن التنظيم، وعن القدرات البشرية والعتاد المستعمل، تم قلع أظافره وأسنانه، بالمقلاع (الكلاّب) وكيه بمحلاج الرصّاص، وسلخ جلده، وملئ ما بين اللحم والجلد بالملح، و نتيجة لهذا تيقنا أنّ العمل الثوري لا يصدر إلا عن تنظيم بالغ الدقة، يقوده ذوو عزيمة وإيمان صادقين، وهنا بدأنا زميليّ وأنا، نفكر جديا في الالتحاق بالجبل، لبلوغ

1 - كان عمر زعموش قائدا بخلية في حركة إنتصار الحريات الديمقراطية، وتحت قيادته كل من علي نعيجة ومحامل عبد المجيد وبن مزداد أحمد وبو نعاس خوجه، وغيرهم من الأبطال الذين سجلوا مرورهم بقيادات الأفواج بالناحية الثانية والمنطقة الخامسة.

طموحنا، ولننتقم لفدائيينا من جهة، ولتحقيق أمنية الجهاد من جهة ثانية.

جاءت الثورة كوعاء لتنقية الجو العفن الذي فرضه عدد من الشباب، والتنظيمات، التي اتخذت من الثورة غطاء للاحتيال، فهم يرون أن الوسيلة لا تناسب الغاية، وأنّ بمقدورهم الاستفادة من الظروف لكسب المال غير المشروع، بجعل السلطات الأمنية تحسب هذه الأعمال على التنظيم الفدائي الذي عم مدينة قسنطينة على الخصوص.

كانت جبهة التحرير الوطني تقوم بتأديب الفاعلين، حفاظا على سمعة الثوار والفدائيين، ونظافة العمل الجهادي، وهذا ما وقع لجماعة المدعو شطّة (القرد) التي لم تكن إلا إنذارا لعينة من المتحايلين على أفراد من الشعب، عند بداية الثورة، والقصة تقول أن شطّة كان يجلس دائما في مقهى عمي صالح بووذن، وكان يؤمها علي زعموش وعواطي مصطفى وجماعته، ولكن لوحظ عليه نوع من الكآبه وعدم المرح الذي كان يميزه.

وفي أحد الأيام جاء إلى المقهى وعليه آثار الضرب المبرح، وجهه متورم ومزرقّ، وبعد مدة صار يخرج ويجلس بالمقهى، فحاول البعض أن يستفسر منه سبب ذلك إلا أنه رفض الإجابة وبقي شارد الذهن لا ينبس ببنت شفة، كانوا في حيرة من أمره وعلموا بعد ذلك أنه هو وجماعته كانوايخرجون ليلا على الناس

ويقدمون أنفسهم على أساس أنهم من المجاهدين، فيأخذون المال منهم، فتم تنفيذ حكم الإعدام على بعضهم، بينما تمّ تلقين البعض الاخر الدرس الذي لا يُنسى، منهم شطّة الذي عفى عنه زعموش واكتفى بتعزيره (باعتبار أنه كان أقلهم ضررا) ومع هذا لم يقدم شكاوى إلى جهاز الأمن.

أثرت فينا هذه العملية التي كادت أن تسبب الأذى لمنظمة الفداء ولجيش التحرير الوطني، مما حث الشباب وحفزهم على محاربة كل من يمس الثورة بأذى، وخاصة من أبناء جلدتنا.

بعد أن أصبح مصطفى عواطي قائدا محليا لناحية قسنطينة، معينا من طرف ديدوش مراد كمساعد رئيسي لبوجريو، كلف زيغود يوسف الشيخ بلقاسم قرّيس بمعية حسن بوجبير، وهما من قدماء حركة انتصار الحريات الديمقراطية في جويلية1955 باستطلاع أحوال المدينه وتنظيمها لتجهيزها في الوقت المناسب وفي نفس الشهر أعيد بوجريو على رأس مدينة قسنطينة ليكلف بتنظيم ملحمة 20 أوت 1955.



باب الواد

العمل الفدائي والعسكري بمدينة قسنطينة يوم 20 أوت 1955[1]:

إن القيام بعمل نوعي بوسط مدينة حصينة مثل مدينة قسنطينة أمر صعب للغاية، بل يعد من المستحيلات خاصة عند مصالح الأمن للمدينة، فالتخطيط لضرب هدف بمدينة تعج بالحركة، وبها العديد من فرق القبعات الحمراء والسوداء والخضراء، ورجال المظلات، ورجال الصاعقة، ورجال المهام الخاصة، ورجال الأمن، إضافة إلى آلاف المعمرين واليهود المسلحين في معظمهم، والموزعين على مختلف أحياء المدينة، وتتوفر على ثكنات وإدارة

1 - عن هذا الموضوع أنظر علي خلاصي، الثورة في الشمال القسنطيني، دار الحضارة، 2015

محمية ومراكز الجندرمة، والأخطر من هذا وجود عدد كبير من العيون التي تراقب كل حركة تمس راحة المعمرين.

إن مهاجمة نقاط الارتكاز الأمنية في مدينة بحجم مدينة قسنطينة أمر صعب للغاية، خاصة وأن عامل عمالة قسنطينة السيد ديبيش "Dupuche" أطلق في 23 جويلية 1955م مناورة أمنية، قام بها المحافظون الرئيسيون للشرطة وعلى رأسهم المحافظ المركزي لمدينة قسنطينة[1] كانت الغاية منها كيفية التدخل في حالة أمنية مستعجلة، وكان يظن أن مدينة قسنطينة في منأى عن كل الأخطار التي يتواصل إخمادها ببقية مدن العمالة، ولطمأنة أكثر، قام بعملية مخطط دفاعي عن المدينة.

وللحكم على جاهزية وفعالية الفرق الأمنية، نظّم عملية افتراضية دشنها تحت اسم "عملية الزنبقة" « opérationtulipe » حيث جعل من مقر العمالة مركزا للقيادة العملياتية، كما جعل مسرحها الحي الأوروبي: الكدية، المنظر الجميل، مركز المدينة، ولم يكن الهدف سوى إظهار شعور أمني جيد للسكان الأوروبيين الذين زادت مخاوفهم.

---

1 - كان المحافظ المركزي بمدينة قسنطينة في هذه الفترة هو بينيللي Pinelli ، ومن المحافظين الرئيسيين لشرطة الاستعلامات العامة، PRG، ومحافظ الأمن القضائي PJ.

وفي نفس المرحلة كان الجنرال"لوريو"القائد الجديد للناحية العسكرية العاشرة قد حدد نقاط الاستعراضات التي تجري عادة في شهر جويلية وأوت❖، وهذين الشهرين يصادفان دخول القوات الفرنسية إلى الجزائر والعيد الوطني الفرنسي في 14 جويلية

واعتبارا لهذا، وبعد عودة القائد مسعود بوجريو من الاجتماع الذي عقد بجبل داود، اجتمع مباشرة بالمسؤولين المحليين، بشعبة الرصاص[1] وتدارسوا لمدة يومين، وضع خطة التدخل الميداني المقترحة من طرف يوسف زيغود، وقد أسند هذا العمل إلى حوالي 500 من الفدائيين والعسكريين الذين يحفظون عن ظهر قلب أزقة المدينة وأحيائها، وبمساندة من المسبلين الذين عملوا كمرشدين.

الأعمال الميدانية التي جاءت تنفيذا لهجومات 20 أوت 1955:

في إطار الهجوم الكبير الذي خطط له بقيادة المنطقة الثانية، جرى في ليلة 19 أوت 1955 تجمع بجبل الوحش أشرف عليه

❖ - محمد كشود، "**إستراتيجيه 20 أوت 1955**"، مجلة أول نوفمبر، العدد: 181 -182، المنظمة الوطنية للمجاهدين، جانفي 2016، ص41.

1 - منهم علي زعموش و مصطفى عواطي وحسن بوجبير والطيب بوزيتونة وكريس بلقاسم،

القائد زيغود يوسف بحضور قادة مدينة قسنطينة، وقد أسند هذا العمل إلى فدائيين وعسكريين كما أسلفنا، ونظرا لصعوبة العمل الجماعي فقد كانت فرق الفدائيين مقسمة إلى أفواج صغيرة من ثلاثة فدائيين ورابعهم المرشد، قسمت مدينة قسنطينة إلى ثمانية أقسام عين عليها أفواج، وكلف كل فوج بالعمل في أحد أقسامها أو بضاحية من ضواحيها.

وبعد تشكيل الأفواج التي ستهاجم مدينة قسنطينة، والمشكلة من فدائيي المدينة وبعض المسبلين، إضافة إلى عدد من المجاهدين، كشف عن النقاط المحددة للهجوم عليها، في اجتماع ليلة الجمعة إلى السبت، وعين على رأس الأفواج:

- الفوج الأول عبد الحميد قربوعة، وكلف بمحطة السكة الحديدية بضاحية القنطرة

- الثاني علي زعموش، وكلف بشارع "المعروف" Bien fait وسط المدينة.

- الفوج الثالث مصطفى فيلالي، وكلف بالعمل في شارع تيار"Thiers" والمنصورة.

- الفوج الرابع لعكر محمد الصالح وكلف بالإشراف على فوج القنابل.

- الفوج الخامس قريس بلقاسم وكلف برفع الأعلام على المساجد.

- الفوج السادس حسن بوجبير، وكلف بمهمة خاصة.

- الفوج السابع عمر العيفة وكلف بالإشراف على عوينة الفول ومسبح سيدي مسيد

- الفوج الثامن عبد الحميد كغوش وكلف بمهمة خاصة.

كما أسندت مهام مشابهة لمجموعات صغيرة من المسبلين المدنيين والفدائيين، بكل الأفواج للإشراف على العمل بالشوارع والساحات، فحدد الفوج المكلف برحبة الجمال، عدة نقاط في المحيط القريب، ومنها:

- فندق المخانق les gorges المحاذي لمقرصحيفة " la Dépêche de Constantine" وبعض الحانات.

- كان الفوج المكلف بالعمل بساحة الفطائر les Galettes قد وضع قنبلة بقاعة العسس ,platannes بالمقاطعة الثانية، بقسم الشرطة، انفجرت على الساعة الثانية عشر إلاّ ربع، تسبب في انطلاق صفارة الإنذار مما غير معطيات الأفواج الأخرى.

- عين فوج يتفرع أيضا إلى عدة مجموعات ثلاثية، للقيام بعمليات مختلفة وكلف بعملية بوسط المدينة، ويرافق كل فوج دليل يعرف مداخل ومخارج المدينة، يمدهم بالمعلومات الضرورية لكشف تحركات القوات الأمنية والعسكرية، وفي حوزة الأفواج المتفرعة قنابل كان دويها زلزال هز أركان الإدارة والفارين للمدينة من غلاة المعمرين، والمشككين في حتمية انتصار الثورة .

- بينما قام الفريق المكلف بالعمل في شارع جورج كليمانصو، بقتل أحد العملاء، وشرطي، كما قضى على أحد أعضاء المجلس الجزائري.

وكانت آخر محطة قبل اقتحام أسوار المدينة هي مركز مشتى الحميضة الذي بلغته أربع سيارات للفدائيين تحمل قنابل مختلفة.

كانت مهام الأفواج المكلفة بتنفيذ العمليات المختلفة تنحصر في مهاجمة تحصينات الجسور ودوائر الشرطة، و الثكنات العسكرية، وضباط الاستعمار، ووضع المتفجرات والتصفية الجسدية للشخصيات الموالية للاستعمار.

- ومن بين الأهداف التي استفاد منها المهاجمون هي دخول مؤسسة (برنارد) لبيع الأسلحة والذخائر واستولوا على ما بداخلها، وبهذا تمكنوا من تسليح عدد من المنخرطين الذين التحقوا بصفوف الثورة بأسلحة جديدة ومتطورة، ومنها المسدسات الكثيرة التي يحتاجها الفدائيون للعمل بالمدينة.

وهكذا استمرت معركة المدينة أربع ساعات زلزلت معنويات السلطات الاستعمارية وبعثت من جديد حالة من الاستنفار والذعر في أوساط المستوطنين الأوربيين والخونة، إنه الجحيم وسط مدينة كان قادتها المدنيون والعسكريون يرون أنها مدينة مؤمنة يصعب العمل الميداني بها .

كنت في هذا الوقت أتجول برفقة صديقي حملاوي نريد الدخول لمشاهدة فيلم جديد في سينما "نيناز"، وكنا بالصدفة أمام مدخل جسر سيدي راشد، حيث كانت فرقة من العسكر مرابطة بمركز محصن هناك، وفجأة شاهدنا تلك الفرقة توجه رشاشاتها الثقيلة 29/24 نحو السويقة وهي زنقة آهلة بالمارة، وأخذوا يطلقون النيران عشوائيا على المارين، فخرجنا نحو حينا، ظنا منا أنه آمن، فإذا بنا نجده في غليان نتيجة لتنفيذ حكم الإعدام في حق أحد الخونة المدعو ابن خنّة، وهو واحد من جماعة شطّة الذين نجو من تنفيذ حكم الاعدام فيهم أنذاك.

فانتقل الوضع إلى التفرج على مجرى الأحداث، وكان بمثابة حلم أو مشاهدة فلم حربي في شوارع المدينة العتيقة، و شعرنا أننا من ممثليه الإضافيين، فزاد من حماسة الشباب، وخاصة بعدما انتشر الخبر بأن هجوم 20 أوت قد شمل مدن وقرى منطقة الشمال القسنطيني، والتي تبتدئ حدودها من سوق الاثنين الى سوق اهراس، حيث تم تنفيذ الهجوم في تسعة وثلاثين نقطة، محددة منذ البداية.

إضافة إلى المنعطفات والأماكن الإستراتيجية التي يمكن أن تمر من خلالها النجدات والتعزيزات العسكرية لفك الحصار عن هذه المدن التي كانت وللأمس القريب مدنا لا يطلها الخوف، كما علمنا أن البلديات القريبة قد احتلت لمدة ساعات، ولم يبق

بشوارعها وساحاتها سوى الثوار من مجاهدين وفدائيين ومسبلين، وهنا تيقن الجميع أن الثورة لا رجعة فيها، وأنها طويلة الأمد، وكما قال أساتذتنا، أن الجهاد فرض عين وواجبنا الاستعداد للعمل.

لم يكن قرار الهجوم مفروضا على نواب القائد زيغود يوسف بقدر ما كان عن قناعة منهم، فقد ذكر عمار بن عودة - وهو أحد نواب زيغود- ذات مرة وعلى المباشر في التلفزيون الجزائري قال: إننا قبلنا مشروع الهجوم الذي جاء به زيغود يوسف مبدئيا ولكننا تحفظنا فيه على نقطتين: اولهما الهجوم في منتصف النهار، ثانيهما مشاركة الشعب بسلاح بدائي، واعتبرنا ذلك بمثابة انتحار، ما أدى بنا الى أن نتقرح عليه أنّه اذا اقتضى الحال نتنازل عن مسؤوليتنا لنوابنا كي يتّخذوا القرار الملائم في هذا الشأن العظيم، غير أن حكمة وقدرة زيغود يوسف طفت وتمّكن من إقناعنا اعتمادا على التفسيرات الاتية:

بالنسبة لاختيار تاريخ عشرين أوت هو لإيماننا بتضامن شعوب المغرب العربي وذلك منذ تأسيس نجم شمال افريقيا سنة 1926، وباعتبار أن ملك المغرب محمد الخامس تم نفيه لمدغشقر في مثل هذا اليوم من سنة 1953 .

أما الدّاعي من مشاركة الشعب في الهجوم فهو اقحامه بطريق مباشر وغير مباشر لتعزيز احتضانه للثورة ومواصلة الكفاح الى

نهايته، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، تفنيد ادعاءات فرنسا لدى المجتمع الدولي على أن أرض الجزائر قطعة فرنسية، والثوار خارجون عن القانون، والشعب منفصل عنهم تماما يرفض اتباعهم.

وأما اختيار منتصف النهار فهو تحدّ لفرنسا فلئن كنّا قد فجّرنا ثورتنا في أول نوفمبر ليلا ذلك يعود لضعف امكاناتنا المادية والبشرية انذاك.

نحن الان نعلن الهجوم في منتصف النهار تحدّيا للعدو حيث اننا كنا نقتسم الـ 24 ساعة معه، الليل لنا والنهار له، وها نحن ننزع منه نصفه عنوة، ليبقى له النصف الاخر يعتبر نفسه آمنا فيه.

اما سبب ثلاثة أيام فلكي يكون للثورة صدى داخليا وخارجيا .

داخليا: أن يصل الصدى للمناطق الأخرى التي تمادت في إعادة تنظيم صفوف مناضليها وتعبئة الشعب -اكثرمن اللزوم - ودفعها الى مناوشة العدو عسكريا .

ادخال الرعب على الخونة الذين كانوا ينقلون الاخبار لأسيادهم وعلى الكولون الذين لم يتوقفوا عن طلب النجدة لحمايتهم، وهذا ما يدفع العدو كي يفك الخناق المضروب على الأوراس وبالتالي تتنفس المنطقة الأولى الصعداء.

خارجيا: بصفة عامة تدويل القضية الجزائرية، ثم تفنيد ادعاءات فرنسا المتمثلة في أن الجزائر فرنسية، وأن الثوار ما هم إلاّ خارجون عن القانون والشعب يرفضهم ومنفصل عنهم تماما.

- ومن باب آخر، تدعيما لما جاء في مؤتمر باندونغ الذي تم انعقاده في ابريل 1955، والذي في نهايته خرج المؤتمر بلائحة يطالب من جمعية الأمم تسجيل القضيه الجزائريه للمناقشة .

- كما بعثت 14 دولة صديقة وشقيقه في أكتوبر 1955، برسالة الى جمعيه الأمم من أجل تثبيت طلب تسجيل القضية الجزائرية وقد تم ذلك فعليا عن طريق التصويت مما أغضب الوفد الفرنسي الخارجي الذي كان يقوده كريسيان بينية، فغادر هو ووفده القاعة متذمرا، باعتبار أن جمعية الأمم تدخلت في شؤون فرنسا الداخلية (الجزائر أرض فرنسية).

وللتاريخ فإنّ هجوم 20 أوت 1955 قد فتح أبواب الانخراط، لكن بشروط أكثر صرامة، لتفادي أي اختراق لصفوف الثورة، فكان تنفيذ عملية فدائية أول بند للالتحاق بصفوف الجبهة، عكس ما كنّا عليه في البداية أين يسمح لكل حامل سلاح الالتحاق وقد كان لنا الشرف "حملاوي وفضيل وانا" أن نكون من بين هذه الدفعات كعماد لإعادة تنظيم الخلايا الفدائيه بقسنطينة بعد فك الخلية الأولى التي كان يرأسها عواطي وزعموش علي، ولا سيما خلية عوينة الفول التي تعرضت الى

التفكيك، سواء بسبب التحاق معظمها بالجبال او بالقاء القبض على افرادها وعلى رأسهم زعموش علي، وعبد الله بوحصان، ورغيوة عبد الحميد.

لم تكن طريقة انخراط الشباب في أفواج الفداء في البداية منظمة، أو إجبارية، ثم صارت العملية انتقائية أولا، ثم يخضع المتبني لامتحان بعد أداء يمين الوفاء والتضحية، ومن النماذج والعيينات التي نقدمها هنا ما جاء على لسان السيد أحمد متناني، الذي سجل حضوره بقصة التحاقه تحت عنوان "غسّال الأواني المطبخية" حيث يذكر أنه "كان يسير في شارع باب الوادي فإذا به يلتقي بشخص يدعى أحمد بن عاشور، وهو ابن قريته يعمل كنادل بمطعم ابن جلول برحبة الجمال، وبعد تبادل التحية سأله هل أنت تعمل؟ فرد عليه: نعم عند السيد فلان، بأجرة ثلاثمائة فرنك ليست كافية حتى للنوم والأكل.

اقترح عليه الانضمام إليه مقابل 1000 فرنك فرد عليه بكلمة: ياليت لو تصدق؟ فقال له رافقني، فسارا حتى مدخل المطعم، وبعد أن ولجا وجدا صاحبه، فعرفه بالمعلم، وطلب منه إمكانية ضمه إلى فريق العمل، رد عليه صاحب المطبخ بالقبول وقال له: يوم الغد على الساعة الثامنة صباحا.

وبعد التحاقه بالمطعم وجد بجانبه شابا وسيما, مر يوم كامل دون أن يتحدث معه، و في الغد عند بداية العمل شرع هذا الشاب

الذي عرّف نفسه باسم محمود[1] في طرح بعض الأسئلة المحرجة، نوعا ما، جعلته في غاية التحفظ، بدأ محمود يعرف بنفسه، أخبره انه ابن قريته، فرد عليه متناني أنه لا يعرفه, وأنه لم يره قبلا هناك، نادى محمود على النادل أحمد بن عاشور، ليشهد على أقواله حتى يقنعه بأنه من نفس القرية، بل أكد له أن ابنة خاله هي زوجة عمه، حدث التوافق اذن, إلى هنا كل شيء عاد، لكن النادل أحمد قدم له اقتراحا آخر يقضي بالنوم معهم في مكان العمل، فرد عليه صاحبنا: إذا لم يكن لديكم مانع، فأحضر أغراضه في المساء، وعندما تم غسل الأواني وتنظيف المحل، أغلقوا الباب، وصعد ثلاثتهم إلى الطابق العلوي حيث ينامون، ولكن وقع ما لم يكن في حسبانه، إذ شرع محمود بومزو وأحمد بن عاشور في تنظيف مسدسيهما، فانبهر، لكنهما طلبا منه كتمان السر، وأخبراه أنه منذ هذا الوقت يعتبر داخل التنظيم.

بعد يومين من ذلك، أمروه بأن يذهب إلى الطيب الخباز، ليكلفه بمهمة حمل سلة الخبز إلى شارع قيطوني[2] حاليا، دون أن يعرف ما بداخله، ثم حولوه إلى الجهة الشرقية وبالضبط أمام

---

1 - أحمد بومزو من خيرة الشباب من قرية بني بلعيد ومن قادة الفداء ،بعد حملاوي والرعيل الأول، أطلق اسمه على سوق المدينة .

2 - الشهيد عبد المالك قيطوني هو أحد قادة الفدائيين بقسنطينة صحبة الشيخ صالح بوذراع، وكان يلقب ببن جغر، بسبب إدمانه على شرب القهوة في مقهى بن جغر.

مستشفى قسنطينة، ثم المشاركة الفعلية في العمليات كمتتبع ومراقب لها عن قرب، وذات يوم طلبا منه الذهاب إلى مقابله "العربي القهواجي"، وكان هذا الرجل من رجال الأمن، لكنه يعمل أيضا لصالح النظام الفدائي، وأعطوه رمزا خاصا به، ثم سلم له العربي بدوره صينية بها كؤوس وإبريق قهوة، وأمره بالوقوف أمام باب السوق العليا، وهناك ستأتيه تعليمات أخرى، وبعد فترة ظهر محمود وهو يدخل السوق، فتوجه نحو متناني وأمره أن يشير إليه عند حضور الخائن "شريوف"، وبعد حوالي نصف ساعة ظهرت سيارته السوداء (بيجو 403) فأشار إليه، فدخل واتجه مباشرة عند الجزار، وكان في ظله محمود فأطلق عليه رصاصات أصابته في رأسه، أردته قتيلا.

فر متناني باتجاه المحكمة، فلحق به الجنود وأعادوه مع الآخرين، قبل أن ينقل إلى SAS برحبة الجمال، وهناك التحق به العربي صاحب المقهى، وهو شرطي بالعمالة، يعمل لصالح الفدائيين، فطلب من رجال الأمن إطلاق سراح النادل، فأخرجه من هناك، وفي الحين طلب منه مغادرة المدينة حالا والتوجه نحو مسقط رأسه الذي يبعد 75 كلم .

هذه طريقة بسيطة في التعامل مع الأحداث، خاصة إذا كان الشخص معروفا عند المسؤول الفدائي، كإنسان نظيف، أو جار

صديق، أو ابن حي أو قرية، وهذا ما وقع مع حملاوي و زروال فضيل...

وبما أننا كنا نعرف جميع أزقة وشوارع قسنطينة، فقد احترنا في الكيفية التي خطط لها لمهاجمة المدينة وتنفيذ البرنامج المسطر، بل والسيطرة عليها والبقاء بها لأربع ساعات كاملة، كنا لا نسمع فيها إلا لغة البارود والرصاص.

بعد رائحة البارود التي أزكمت حاسة الشم عند الجيش وأجهزة الأمن، بدأت أفواج الفداء تتعرض لضغط شديد وحصار لم تعرف المدينة مثيلا له، فتعرضت الخلايا إلى مطاردات ومتابعات، بل وإلى تصفية لبعض العناصر.

وإذا كانت الوطنية أصول والخيانة جذور، حسب ما كان يكرره الفقيد "مختار فيلالي"[1] رحمه الله، وإذا كانت مدرسة الحياة، في ذلك الوقت، تقضي بأن يلاحظ الشباب كل ما يدور به من أعمال تعسفية واستفزازية لطبقة، "العرب" اذا ما استثنينا الموالين للعدو، التي صنفها المستعمر في المرتبة الرابعة بعد ذوي الأصول الفرنسية وحثالة الأوروبيين، ثم اليهود، فكان على مناضلي الحركة الوطنية أن يقودوا قاطرة الرفض لتلك الأوضاع.

1 - الفقيد مختار فيلالي من المجاهدين الأوائل بالمنطقة الأولى ثم بالولاية الأولى، يلقب بعميد الملتقيات نظرا لكونه رئيس جمعية تاريخية بولاية باتنة، وأستاذ بجامعة قسنطينة، وهو مواظب على تنظيم والمشاركة في الملتقيات التاريخية، الخاصة بثورة التحرير الوطنية.

وإذا كان النضج الفكري في المجتمعات المضطهدة عادة يسبق النضج البدني، كان الشباب من أترابي، في مدينة مغلقة مثل "قسنطينة"، قد تشبعوا بالروح الوطنية من مشارب مختلفة، لم تكن الصدفة هي التي أملتها علينا، وقد شملت هذه المبادئ الأساسية ما لخصته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خطها السياسي وهي:

« الجزائر وطننا والإسلام ديننا اوالعربية لغتنا »، وكان منبع هذه المؤثرات:

العائلة: ما دام الإنسان ابن بيئته، فمنطلق هذه البيئة هي العائلة، بما تمنحه للفرد من عادات وتقاليد، وحب الوطن، وإذا كنا قد أشرنا إلى كون الوالد من مناضلي الحركة الوطنية، ومن محبي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، إذ وبعد عودته من الخدمة العسكرية منحه أحد أبناء العمومة يدعى "محمد بن بولعيد بورني" محلا للعمل به طباخا بالمناصفة، ومع حبه لجمعية العلماء المسلمين، فقد أشار على أبي ادخالي مدرسة التربية والتعليم للشيخ عبد الحميد بن باديس، باعتبار أنّ جل أعضاء الحركة الوطنية الذين هم من الشرق الجزائري كانوا يتداولون على متجره ويتبادلون معه الحديث فيما يتعلق بالتطورات السياسية، لاسيما عندما حصل الخلاف بين المركزيين والمصاليين في حركة الانتصار للحريات الديمقراطية MTLD، والاتفاق على وقف دفع الاشتراكات حتى تتضح الأمور.

وفي هذه المرحلة لازمت والدي - بطلب منه - حتى يستطيع مراقبة سلوكي ظاهريا، ليعمل على توجيهي لتربية خلقية إسلامية، فكنت أسمع جزءا مما يدور بينهم، بعضه كان واضحا والاخر غامضا، بالنسبة لحداثة سني ومن بين زبائن مطعم الوالد عبد الحفيظ بوالصوف، وجماعته وكذلك أعضاء الخلية الفدائية الأولى .

لم تقتصر المقاومة الوطنية للاستعمار على السلاح فقط، فقد كان للكلمة دورها الفعال في تثبيت القيم والمحافظة على الثقافة الوطنية، وخاصة نشر الوعي الثوري، وفي هذا الصدد لعبت المقاهي دور الأندية، على غرار كل المدن الكبرى، وبعوينة الفول أيضا كان في مقهى موجود في دروج "ابن زاهية" فنان شعبي كفيف يدعى ميلود، يجيد الغناء بطريقة جذابة، وكان ينشدنا أغاني وطنية، ومنها أغنيته عن الشهيد مصطفى بن بولعيد، قبل أن يلقى عليه القبض، فيقول: أش تقولوا يا ناس على هذا الزمان؟.. واش صار بين الإسلام والكفار.. كيخرجوا للمحاربة.

الناس اللي كانوا نايمين... من عند الله منصورين...أهل النية الوافيا ...أهل النية الوافيا هـذا القول جبتو جديد عـلى سـيدي بن بوالعيد.[1] ..حبته ماطيحش من بعيد هو و ناسو الساجعين خلى الخونة السبيطارات بهم معمرين[2] .

---

1 - هو مصطفى بن بوالعيد قائد المنطقة الأولى
2 - المستشفيات

وخشيماتهم[1] طايرين.[2]...

رغم بساطة هذا الكلام الدارج ، ولا يمت للشعر بصلة، بسبب اختلال التركيب لكنه كان بمثابة الزيت الذي يصب على الجمر، وكان يزيد في الشباب حماسة.

ولاشكّ أن مسؤولي الفداء كانو يراقبوننا ويتابعون سلوكنا وحماسنا الثوري، والدليل على ذلك أن عبد الحميد كغوش اتصل بي ذات مرة قبل أن يلتحق بالجبل أي قبل 20 أوت 1955 حيث قال لي بالحرف الواحد: محمد أنا أريدك في أمر هام، لكن في الوقت المناسب، ولم يبح لي بمقصده، وبسبب التحاقه بالجبل تأجل هذا اللقاء الى أن تم ذلك عن طريق حسن كلو المدعو سديرة والشيخ صالح بوذراع رحمة اللّه عليهما وكان ذلك بتاريخ 23 مارس 1956 كما هو مسجل في أرشيف الثورة، والذي يوجد في أرشيف المرحوم رئيس المنطقة الثانيه فنطازي بلقاسم الذي أطلعني عليه في بيته ذات مرة، وموّثق في بطاقتي الشخصية الثورية التي مازلت أحتفظ بها.

المدرسة منطلق كل تكوين سياسي وفكري، فحتى المدرسة الرسمية التي تشرف عليها الإدارة الفرنسية، كانت تبعث فينا حماسا، وتزيدنا استفزازا عندما تقدم لنا معلومات خاطئة، من تغليط

---

1 - الخشم هو الأنف.

2 - الطايرين: مقطوعة

وتشويه للحقيقة - مثل نحن أحفاد الغاليين، وعاصمة الجزائر باريس، والجزائر الفرنسية.

وكانت مدرسة التربية والتعليم، ومعهد ابن باديس، بالمرصاد للمدرسة الرسمية الفرنسيه تتصدى لها في كل محاولة تشويه لهويتنا العربية الاسلامية فهي - بحقّ - منبع للوطنية، بدليل أنّ معظم شيوخها وطلابها التحقوا بصفوف الثورة .

فمن شيوخ التربية والتعليم ومعهد بن باديس الشيخ صالح بوذراع - من حركة الانتصار وجمعية العلماء - الذي يحب مولودية قسنطينة حتى النخاع، (لأنها أُسست من قبل العلامه الشيخ ابن باديس)، والشيخ أحمد الجموعي كان مولعا بالنادي الرياضي االقسنطيني CSC والشيخ محمد بلعابد - أحد أقطاب حزب الشعب الجزائري واحد رجالات أول نوفمبر وأبناء العم حماني: العلامة أحمد، و الصادق، وعبد الحفيظ الجنّان، -أحد مرافقي الشيخ عبد الحميد بن باديس - والشيخ الشريف االمكلّف بفوج الكشافة الاسلايمه، ينظم لنا خرجات أسبوعية لجبل الوحش، نتدرب على أعمال كشفية، شبه عسكرية، وينظم مقابلات رياضية تجمع بين محبي الفريقين .

وللإشارة لي قصة مع مدير مدرسة التربية والتعليم - الشيخ عبد الحفيظ الجنّان - لمّا كثر شغبي اقتطع أبي رحمه اللّه عودا من شجرة رمّان وأخذني الى الشيخ مطالبا إيّاه تأديبي باستعماله.

فأمرني الشيخ عبد الحفيظ الانتظار خارج مكتبه في حين طلب من أبي الجلوس.هناك فتح نقاش بينهما ، وكعادة الأطفال استرقت السمع ، سمعت المدير عبد الحفيظ الجنان يلفت انتباه أبي أن عود الرمان الذي جاء به من أجل معاقبتي ليس هو الوسيله المثلى للتربية ولكن الأم في المنزل هي العنصر الأساسي في تربية أبنائنا ، لكن للأسف نساؤنا جاهلات، وضرب له مثالا بالسائق الذي يقود شاحنة محملة بالأثقال طوال اليوم في عمله، ويعود للبيت ينشد الراحة، فيجد الشاحنة هناك بثقلها وتابعتها (الام)، والمغزى أن العود لن يربي أو ينشئ جيلا، ولكن عماد التربية هي الأم.

مصداقا لقول ابن باديس: "إذا أردنا أن نكوِّن رجالاً ، فعلينا أن نكوِّن أمهات دينيات، ولا سبيل إلى ذلك إلا بتعليم البنات تعليمًا دينيًا ، وتربيّتهنّ تربية إسلامية ، وإذا تركناهنّ على ما هنّ عليه من الجهل بالدين، فمحال أن نرجو منهن أن تُكَوِّنَّ لنا عظماء الرجال ..وشرّ من تَرْكِهِنّ جاهلاتٍ بالدين، إلقاؤهنّ حيث يُرَبَّيْنَ تربيةً تنفّرهنَّ من الدين، أو تحقّره في أعينهنَّ، فيصبحن ممسوخات لا يلدن إلاّ مثلهنّ" .

جعلت فرنسا من اللغة العربيه لغة أجنبية لا تُدرّس إلاّ بترخيص، وإذا ما تم ترخيصها منع تدريس مادة التاريخ الجزائري, وبالمقابل في الزوايا كانت تسمح بتحفيظ القرآن مع حضر تفسيره.. مما جعل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تعتمد

التاريخ الإسلامي كمنهاج، جلّه مبني على الفتوحات والغزوات والبطولات الإسلامية، وهذا ما كان محفزا لبث الروح الوطنية في شخصيتنا، وتأثّرا بذلك كنا كصغار نقوم بمهاجمة واستفزاز أبناء المستوطنين كلّ بدوره.

انفجرت الثورة وعمري لا يتجاوز الخمسة عشر سنة، وبسبب بنيتي القوية التي توحي بكبر سني، تقدم بعض رعيل الثورة الأول - من أصدقاء أبي - فطلبوا منه أن التحق بهم ككاتب لحاجتهم لمن يتقن القراءة والكتابة فكشف لهم والدي رحمه الله عن حداثة سني,بيد أنه نتيجة لانتشار احداث الثورة كنا زميلي حملاوي وأنا متلهفين للحاق بالنضال. هذا دفعنا للتوجه الى معلم القران الشهيد سي محمد الذيب - ان لم تخني الذاكرة في لقبه -, القاطن بجوار بيت حملاوي والمنحدر من قرارم قوقة، سألناه عقد اتصال مع المجاهدين للالتحاق بهم لكنه -رحمه الله - تفاجأ ونفى صلته بهم.

كما كدت أن أكون من كتاب المنطقة الأولى وذلك عندما بعث بشير شيحاني أحد الموفدين من قبله يطلب من الوالد إرسالي -لمعرفته السابقة بي عندما كان يرتاد مطعم والدي -

توسل أبي للموفد وطلب منه اقناع شيحاني باعتبارأنّ والدي منخرط في صفوف الثورة من جهة، وصغر سن إبنه الوحيد من جهة ثانية، عاد الموفد وأبلغ شيحاني رحمه الله أنّه لم يجدني.

كنت على استعداد لتلبية نداء الوطن وعمري لم يتجاوز السابعة عشر سنة والنصف، ومن أجل استمرار لهيب الثورة، وإحياء الجمر المدفون تحت الرماد، لمواصلة مسيرة الفداء بالمدينة، جاءت الظروف المواتية حيث بدأت قيادة المنطقة الثانية بالاتصالات بالشباب الذين كانوا تحت النظر، فعمل الشهيدان صالح بوذراع وعبد الحميد كغوش على ربط اتصال بيننا مكلفا حسن كلو المدعو اسديرة، وكان جارا لنا، -يسكن مقابل متجر أبي في عوينة الفول العليا - اتصل بي، وطلب مني أن يكلمني في أمر هامّ وخاصّ.

ذهبنا لمكان معزول، وكان حسن كلو ينوي إملاء الضوابط والقواعد العامة التي أمليت عليه هو الآخر في بداية مشواره النضالي، ولدى تأكده عدم انتمائي لحزب سياسي، أردف قائلا: الجبهة تثني على سيرتك، وهي بحاجة لكل من ترى فيه مواصفات الفدائي من رزانة وشجاعة وحفظ لأسرار الثورة، بالإضافة لمعرفته بمداخل ومخارج المدينة، وأنت إبنها، وخاصة يعرفون أنك تحسن اللغة العربية والفرنسية.. لقد جئتك مبعوثا من الإخوة المجاهدين، فهم يطلبون منك الانخراط في نظام الفداء بمدينة قسنطينة.

سعدت جدا بهذه البشرى، فقضية الانخراط كانت بالنسبة لي شرف ما فوقه شرف، قبلت على الفور، وانخرطت في صفوف

الفداء، وبعد ثلاثة أيام من أخذ المعلومات الشخصية، عاد المجاهد كلو وقدم لي مصحفا لأداء القسم حتى لا أخون الثورة وقيادتها، ثم قرأ علي التعليمات الأولية التي يجب أن التزم بها عند أي توقيف محتمل من طرف عناصر الأمن، قال لي:

- لا تفشي السر، وإذا تعرضت إلى التعذيب فحاول أن تصمد مدة 24 ساعة.
- لو قدر لك وألقي عليك القبض ثم أطلق سراحك، لابد أن تعود إلى الثورة خلال 24 ساعة، وإلاّ اعتبرت خائنا.
- بعدما تقسم على المصحف لا يمكنك أن تتخلى عن خدمات الثورة وإلا اعتبرت مرتدا، وفي هذه الحالة قد يحكم عليك بالإعدام.
- وكي تكون قائد فوج بحيّك عليك بتجنيد إثنين وانت ثالثهم أو ثلاثة وأنت رابعهم، وان تقوم بعملية فدائية.
- إن نجحت وأبديت جدية في العمل تتدرج في المسؤولية فندمج لك أفواجا من أحياء أخرى.

قبلت كل هذه الشروط، والحقيقة أني كنت متلهفا للالتحاق بالنظام، ولم أعترض على أي شرط من شروطه، إنه حماس الشباب، وثمرة تعليمنا بالمدرسة والمعهد.

لم أكن أدري كيف تجرأت وسألت القائد اسديرة (كلو) قائلا له: اشترطت علي شروطا قبلتها، ولكنك لم تأت لي بدليل

واحد، فكيف أعرف بأنك مبعوث من طرف المجاهدين؟ وماهو دليلي في هذا الظرف الحرج أمام من سأطلب انخراطهم كفدائيين؟، فلم ينكر علي، وقال: غدا نلتقي في مثل هذه الساعة بهذا المكان، القريب من منزلي (عوينة الفول السفلى).

جاءني اسديره ومعه مسدس دون رصاص من نوع "كولت "[1] وطلب مني أن أتركه معي مدة من الزمن وقال (اتكل على الله)، وفي اليوم التالي جاءني بتعليمات جديدة، أن أترأس فوجا من الأوفياء المتشبعين بالروح الوطنية، والقادرين جسميا وعقليا على الصبر وكتمان السر، والشجاعة من أبناء المدينة، لأدعم بها خلية أبناء الحي الذين ألقي عليهم القبض، قبلت الشروط، وأول ما فكرت فيه هو ضرورة ملازمة صديقي الحميم حملاوي في هذه المهمة.

وفي خضم هذا التحول المفاجئ، الذي أعجز عن التعبير عما انتابني من فرح، والذي دام عدة أيام على تكليف أحسن كلو للاتصال بي، بقي صديقي حملاوي يبحث عن سبب غيابي، لأنه كان ملازما لي في كل تحركاتي، كما كنت ملازما له في جل أعماله وتطلعاته، بدأ يبحث عني في كل مكان، وأنا

---

1 -الكولت مسدس من عيار32/38 ، من صنع1927 ، قصير الماسورة، يبلغ طولها 5.1 سم، يحمل في أسطوانته 6 رصاصات.

أبحث عنه بدوري، وكلما سألت عنه يقولون لي: إنه يبحث عنك، فأترجاهم أن رأوه يخبرونه بضرورة الاتصال بي.

لكن وفي أحد الأيام، ووفق الاتفاق مع حسن كلو رآني حملاوي أتحدث معه، ولم يكن يعرفه، فكان أول ما سألني عنه الرفيق الجديد، فأخبرته بحقيقة الموضوع وأريته المسدس، وكنت أرى فيه الوسيلة المثلى الوحيدة لردع الأعداء، رغم أنه سلاح فردي عادي.

بعد ما أحطته بالمعلومة كاملة، وجدته متشوقا للعمل الميداني، خاصة وأنه تجاوز العشرين سنة من عمره، ويعاني فراغا في حياته المهنية، كماقمت باستشارة حملاوي للاتصال بصديق الصبا، والجار في السكن، زروال فضيل، فحبّذ الفكرة، اتصلت به وقبل مباشرة.

بانضمامهما، شكّل الفوج وكنت أترأسه، وفي أول لقاء بيننا نحن الثلاث قمت بالإجراءات الشكلية التي كانت قد طلبت مني من قبل حسن كلو، كي أبلغها له، وأعني بالاجراءات الشكلية، هي: ملأ استمارة تحتوي على:

الإسم واللقب العائلي، وتاريخ ومكان الميلاد، والمستوى الثقافي.

صورة شمسية لكل واحد منّا

الاتيان بمصحف للقسم كما فعلت أنا من قبل.

ويجب أن أشير الى أنّ أعضاء الفوج محظور عليهم معرفة المسؤول المباشر، ممّا جعلني اطلب من حملاوي كتم ذكر أوصاف الشخص الذي رآه معي حتى لو تعلق الأمر بأخينا فضيل زروال.

وفي اليوم الموالي لم يضبط حملاوي نفسه، فطلب مني أن أعيره المسدس الذي كنت قد أريته أياه، ووضعه في حزامه، ووذهبنا الى بيته لزيارة أبيه، عمي الساسي، والوالدة الكريمة خالتي عقيلة، فرح الأب بهذه الزيارة، وسألنا بطريقة غير مباشرة، هل عثرتم على بعض الخردوات؟ أجابه حملاوي بقوله: لقد وجدنا ما هو أحسن يا الشيخ[1] وأخرج المسدس من حزامه وأراه لأبيه - لم أكن أدرك أن حملاوي سيطلع أباه على هذا الأمر - نظر عمي الساسي إلى المسدس وقال لحملاوي: ما هذا؟. ثم توقف قليلا عن الكلام، وكأنه أدرك ما ينتظر إبنه من مغامرات، و تضحيات، ثم استطرد قائلا:

- أتعلمون من يحمل هذا؟...هذا يحمله الرجال،

كان لهذه الجملة الوقع الكبير في نفسي فقد كانت تتراءى لي كلّما هممتُ بعمل ميداني..استطرد عمّي الساسي قائلا:

---

1 - كان حملاوي ينادي أباه بهذا الوصف، معتقدا أنه يوقره أكثر، فكلمة الشيخ تعني السيد الموقر، والكبير والولي الصالح، بينما كان يعتبر كلمة أبي كلمة يستعملها الصغار للأب البيولوجي..

- ماذا تعرفون عني؟..لماذا أطلعتموني على ما تقومون به؟..وهل أنتم على ثقة كاملة في ؟.. وماذا لو كنتُ من مخبري المصالح الأمنية ؟.

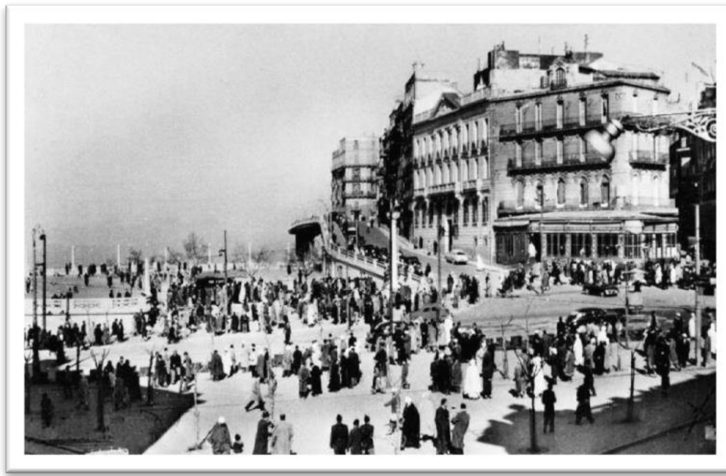
كانت كلمات عمي الساسي، وهو شيخ متقدم نوعا ما في السن، على رزانتها من الدروس العسكرية الاولى التي تلقيناها، لقد حدثنا بلسان سياسي وعسكري محنّك .

حان الوقت لإعادة الكولت لسديرة قبل أن تُمنح لي فيما بعد بصفة شبه مستمرة قالي لي حينها: كلفتك الجبهة برمي قنبلة بساحة لابريش، وفي موعد لاحق أتاني بقنبلة هجومية لم أكن أحسن استعمالها لأنني لم أؤد الخدمة العسكرية من قبل.

كانت القنبلة من صنع انجليزي تتكون من 45 قطعة، لكنها تنشطر الى 60 قطعة لدى انفجارها وقال لي :القنبلة ليست خطيرة إلا إذا نزعت حلقة الأمان، وأطلعني أنها في الأصل تنفجر إذا عددنا الى سبعة، ووضح لي أن الأمر يعتمد على جذب المقبض إلى جسم القنبلة، ثم تنزع الحلقتين، ثم ترميها في حدود خمسة ثوان لتتفجر بعد ثانيتين من إلقائها، لكن إذا أردت أن تحتفظ بها جاهزة للانفجار فلا تنزع يدك عن المقبض الذي وصفه لي بيد الملعقة.

أما عن مكان الرمي يعود لك ولمن يرافقك لاختيار المكان الملائم، تم الاتفاق على رمي القنبلة على الساعة الثالثة بعد

الظهر، واخترت حملاوي أن يكون رفيقي في العملية، ذهبنا لإستطلاع المكان، وعدنا فأحضرنا القنبلة التي كانت في مكان آمن قريب من منزل حملاوي، وعند وصولنا للمكان الذي حددناه في الجهة الجنوبية من ساحة لابريش، بين دار العدالة والساحة، بدأت أحضر نفسي لتنفيذ العملية، لكن فوجئت بمرور دورية عسكرية، فانتظرت مدة كانت لي بمثابة ساعات من الزمن، لم أنتبه أن الوقت يمر بسرعة، كانت الساعة التي في واجهة البلدية المقابلة لي قد نبهتني أنّ الوقت قد تجاوز الرابعة، ولم أرم القنبلة، لأنني تخوفت أن لا أتمكن من إيصالها للأعلى، وبالتالي تنفجر في الطريق الجانبي،



ساحة الشهداء (وقت الذروة)

ويكون ضررها أكثر على المارة من العرب، مما جعل سديرة يقلق فبعث بمرسول وهو لخضر بن دريدي، وكنت أعرفه، لكني لم أكن أعلم العلاقة التي تربطه به، فتساءل مع حملاوي عن سبب تأخر رميها، جاء بعدها حملاوي الي وقد استبطأ تنفيذ العملية وقال لي: يا ولد عمي دعني أقوم بالعملية مكانك،" فقلت له وهل تحسن استعمالها؟ فرد علي: يا ولد عمي هل نسيت أني أديت العمليه العسكرية الإجبارية؟ أعطها لي واحسبها عليك "وهذه شهادة للتاريخ" تنازلت له عنها أخذها مني ورمى بها للأعلى، وكأنه يرمي بحجر، مثل ما تعود عليه، فانفجرت في الساحة، وكان وقعها شديدا حيث أصابت عددا كبيرا من المستوطنين، ومجموعة كبيرة من اليهود مما جعل أحدهم يصرّح في الغد في جريدة La Dépêche de Constantine بأنه سيذهب ويتجند لمحاربة الخارجين عن القانون.

لحسن حظنا أن رجال الأمن كانوا يظنون أن القنبلة ألقيت من الشارع العلوي، (أمام المجلس البلدي) على الساحة، فتمكنّا من الفرار -حملاوي وأنا - عن طريق جنان الزوالية، غير أنّه تم توقيفنا بجانب الكازينو، لأننا كنا في طريقنا الى عوينة الفول، وقد تجنبنا الهروب عن طريق الدروج المؤدي مباشرة الى حينا خوفا من ملاقاة الدوريات العسكرية المتواجده بكثرة في هذا المسلك.



الشهيد البطل داودي سليمان، الملقب "حملاوي"
المدعو "عز الدين" (رمز الفداء بمدينة قسنطينة)

ونحن ننتظر نقلنا الى المخفر، همس لي حملاوي : يا إبن العم إذا سألونا فقل لهم كنا في سينما سيرتا، نشاهد فيلما، سمع أحد الموقوفين كلام حملاوي فشك فينا، فتقدم من حملاوي وقال له: اللي ولدتهم أمهاتهم قاموابالعملية ونحن يسوقوننا إلى هنا مثل الخرفان بعد نقلنا الى مخفر الشرطة في الكدية و التي لم يتم إنجازها كاملا أدخلونا في قاعة واسعة مواجهين الجدار الخارجي لمقر الشرطة، وبدؤوا يستفزوننا بصفع كل واحد منا على قفاه، ليرتطم رأسه بالجدار من قوة الضربة.

وبقدرة قادر لم ينالوا منا، وكانوا يأخذون الواحد تلو الآخر يعرضونهم لاستنطاق وعذاب شديد لمعرفة من رمى القنبلة، وقبل

أن يأتي دورنا ، خرج محافظ الشرطة وهو يصيح : أصرفوهم، لقد اعترف، فنظرنا لبعضنا في استغراب، من هذا المسكين الذي لم يتحمل العذاب وألقى بنفسه بين أنياب رجال لا يعرفون للشفقة أي معنى، ولا يعيرون حياة البشر أي قدر.

خرجنا مباشرة الى عوينة الفول واتّفقنا على ألا ننام في ديارنا لأخذ الحذر والحيطة، دخلنا البيت الذي كان محلا لكتاتيب لتعليم القران للشيخ الشهيد محمد الذيب فبتنا فيها حتى الغد ، ثم اتصل بنا سديرة وتوجهنا مباشرة بعدها إلى جبل الوحش فالتقينا فرقه من الجيش في مركز من مراكزه التابع للمرحوم عمار بوضرسة، فوجدنا منهم العديد: صالح بوذراع، قربوعة علاوة، قيطوني عبد المالك، قريس بلقاسم، وأحسن بوجبيرة، وغيرهم، ففرحوا بنا وقدموا لحملاوي التحية، لأنه عندما أرادوا أن يهنئوني على نجاح العملية قلت لهم: لابد من قول الحقيقة، فحملاوي هو من ألقى بها ، وطلبت من القيادة القيام بعملية أخرى، وأخبروني بأنهم سوف يحددون لي موعدا لاحقا، وسيخبرنني بتفاصيل العملية التي سأقوم بها في الزمان والمكان المعينين.

التقيت بالوسيط اسديرة الذي اخبرني بأنني مكلف برمي قنبلة دفاعية، بلون أصفر [1]، اقل خطورة من الأولى، فالهدف من وراء رميها سيكون تحذيرا للشعب كي يتوقف عن دخول السينما مع العلم أن سيرتا يتداول عليها الشعب الجزائري فقط ولهذا فان القنبلة بالاصل لم تكن خطيرة بل للترويع فقط، وعين لي سينما سيرتا لإلقائها، فاخترت لمرافقتي صديقي فضيل زروال.

اشتريت تذكرة دخول لأتفقد الوضع الأمني داخل السينما، وكيف يفتش الداخل إليها، ثم خرجت واشتريت تذكرة لي وواحدة لصديقي فضيل، ليكون لي كحارس.

لاحظت أن تفتيشهم كان خفيفا مما سهل لي ادخال القنبلة عن طريق وضعها تحت إبطي، دخلنا وصعدتُ للشرفة الجانبية، واتجهتُ صوب النافدة التي تطل على الطريق، انتظرت الوقت المناسب، ثمّ رميت القنبلة وقفزت من النافدة وتوجهت عن طريق السويقة إلى عوينة الفول، أما فضيل فقد خرج مع الآخرين، وألقي عليه القبض واستجوب لكن أطلق سراحه.

---

1 - القنبلة كانت مدفونة قرب شجرة في بستان مجاور لسينما" سيرتا" دلني عليها اسديرة، ذهبت و نبشت التراب فاخرجتها وضعتها تحت إبطي و دخلت بها صحبة فضيل زروال كحارس لي اذا ما تمكن المراقبين من اكتشافها

تحدثنا عن محاولات دعم فرق الفدائيين بالشباب الذي يعيش وسط المدينة، لأن المعركة تتطلب معرفة الفدائي لمنطقته، فكل عملية تستدعي الدقة في التنفيذ والسرعة في الاختفاء، بين المارة أو في الأزقة المجاورة، ولا بدّ أن يكون المنخرط غير معروف لدى مصالح الأمن، وشروط الالتحاق معروفة.

وفي عملية دعم الخلايا كلفت بتكوين مجموعة ثانية، فاستعنت بصديقي الوفي حملاوي، وبدأنا بجيراننا من عوينة الفول أمثال: موسى غدّار، حسن بواصبيعة، خالد بن التهامي، رابح بوزريدة، (المدعو الزربوط)، وغيرهم كثير، وقد لعب حملاوي دورا أساسيا في جمع وإقناع هؤلاء الشباب لانضمام لصف الفدائيين, لاسيما بعد غيابي عنه لمهمة كلّفتُ بها, ستأتي تفاصيلها لاحقا..



الكازينو البلدي الشهير الذي هدم بعد استرجاع ا لسيادة الوطنية

تكررت زيارتنا لجبل الوحش للالتقاء بأعضاء الناحية، وكأننا نجدد الدورة الدموية وندعم هواء المدينة، الذي استنشقناه، بأوكسجين الجبل الذي أصبح بالنسبة إلينا رمز من رموز المدينة العتيقة، وقاعدة خلفية لتجديد الولاء للثورة، ولمعرفة ما يجري بالولاية من تنظيمات إدارية وسياسية، وفي إحدى المرات لاحظنا أن من بين الرفاق هناك مسؤول كبير، عرفت فيما بعد أنه قائد الولاية الثانية البطل زيغود يوسف، فقد احتضنني بين يديه وقال لي هكذا تلد الجزائر أبناءها الميامين، وفيما يبدو أنه لاحظ عليّ أنني صغير السن، فأوصى بضرورة الاعتناء بي.

كلفت خليتي بمتابعة سلوك أحد أعضاء من قادة الحركة الوطنيه سابقا والذي رفض مرافقة إخوانه في أول نوفمبر، كانت تحوم حوله شبهات أنه يتعامل مع محافظ شرطة الخروب وقد كان يتاجر بشاحناته من قسنطينة الى القرارم، طلب منا اتباع خطاه وترصّده لتنفيذ حكم الإعدام عندما نؤمر بذلك.

كما أعطونا إسما لأحد ضباط الشرطة الجزائريين الذين شاركوا في تعذيب أعضاء الخلية الأولى التي تم تفكيكها، وأخبرونا بمكان سكناه وقد كان يقطن بجانب المقبرة، وأعطونا معلومات دقيقة عنه من خروجه صباحا في الساعة

الثامنة لينتقل من مقر عمله، وحتى الحركات التي كان يقوم بها وهو عند باب الدار يتنفس ثمّ ينظر يمينا ويسارا ، وإذا كان قد لاحظ أمرا مريبا سيتخذ اجراءات غير محمودة.

وعلى هذا الأساس كان الأمر بمراقبته من بعيد خفية، والطريق التي يسلكها اذا لم يكن في السيارة، والأماكن التي يتداول عليها، كما كلفونا أيضا بعملية متابعه بعض من الشرطة الذين شاركوا بكيفيه أو باخرى في تعذيب الفدائيين السالفي الذكر وقد حصرت أسماء هذه الشرطه من قبل علي زعموش لما كان في السجن عن طريق بعض الحراس الذين كانوا يشاركوننا في العمل.

غير أنّ المفاجأة التي واجهتنا، وبعد عمل دقيق قمنا به وتحضير الفدائيين الذين يتكفلون بتنفيذ حكم الإعدام فيهم تفاجأنا بطلبهم منّا أن نترك هذا الأمر إلى حين آخر، وشاء القدر أن الإطار في الحركة الوطنية والذي كاد حكم الاعدام يطاله قد التحق بالثورة وأصبح قائدا وعاش الى الاستقلال، وكذا مفتش الشرطة أيضا قد نجى هو الاخر وتمكّن من الاتصال ببعض من معارفه في الثورة فتمّ الصفح عنه وعاش هو الآخر الى يوم الاستقلال، أما الاخرين فقد تعرضوا لعمليات متفرقة منهم من تم القضاء عليه ومنهم من أفلت.

كيف اكتشف والدي أنّني فدائي؟

لم يعلم والدي أنني منخرط في منظومة الفداء إلا عن طريق الصدفة، حيث وقع خلاف بين والديّ، عليهما رحمة اللّه، وكنت موجودا حينها، أراد والدي صفع أمي، حاولت أن أمنعه من استعمال يده، فدفعني بقوة وكدت أن أقع على الأرض، وهنا سقط المسدس من حزامي، توقف والدي مندهشا، وعمّ الصمت في المنزل لثوان ثم قال بلسان الأب: "فعلتها يا محمد وأنت أكبر أبنائي ووحيدي، أنت تعرف بأني منخرط معهم فكيف لو اكتشف أمرنا، ألن تعرض العائلة للخراب، يعني الدار كلها تروح"، ثم استمر في كلامه أن الجماعة كانت قد اتصلت به من أجل التحاقي بهم ورفضتهم، ما نبست ببنت شفة وانصرفت خارجا، تاركا والدي في حيرته.

لم أكن أعرف أني طُلبت من مجموعة المنطقة الثانية ابتداء، ثم من قائد المنطقة الأولى الشهيد شيحاني إلا بعد الاستقلال، لما حكى لي والدي رحمة اللّه عليه، قائلا اتذكر فلانا وفلانا وفلان رحمة اللّه عليهم، الذين كانوا زبائن لدينا والتحقوا بالجبال في أول نوفمبر؟ قلت نعم، قال: هم الذين جاؤوا في طلبك ورجوتهم أن يصرفوا النظر عنك، مع أنهم أكدوا لي ألاّ خطورة عليك لأنهم سيكلفونك بالكتابة فقط... كما أنّي رجوت موفد الشهيد شيحاني وتوسلت له أن يقنع هذا الاخير إعفائي من

إرسالك لحداثة سنك، وأنك وحيدي، وأني بدوري منخرط في صفوف الثورة.

كنت مديرا للمجاهدين في قسنطينة أواسط السبعينات و الصدف ان اتعرف على المرحوم سي سالم بوبكر[1] - رفيق الشهيد شيحاني وكان أنذاك مسؤولا بمستشفى قسنطينة الجامعي.

ذكر سي سالم في مختلف اللقاءات أن شيحاني رحمه الله كان يقدّرني ويحترمني، وكنت أعتقد أن الأمور اختلطت عليه باعتبار ما قلته له عن صداقته بوالدي ومابين ما يعتقده هو من أن شيحاني كان صديقي .

غير أنه في مرة وجّهت دعوة لسي سالم بوبكر لإلقاء محاضرة - في المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 بالابيار التابع لوزارة المجاهدين - حضرتها، ولما أتمها؛ وقف يتبادل الحديث مع مجموعة من المجاهدين -وكنت من بينهم - قال: أتدرون لمَا أحب السيد محمد كشود؟ لأن شيحاني كان يحبه كثيرا ويقدّره، فقلت

---

1 - سالم بوبكر من الرجال الذين التحقوا بالجبال في اول نوفمبر رفقة الشهيد بشير شيحاني، ولبث معه مدة ككاتبثمّ ممرضا، ألقي عليه القبض في معركة من معارك المنطقة الاولى الولاية الاولى التاريخيه فيما بعد - ومكث بالسجن الى استرجاع السيادة الوطنيه في 1962

له يا سي سالم! شيحاني كان صديقا لوالدي ومقربا منه وليس مني، ردّ علي أعلم لكني اقصدك انت، فأنا أدري ما اقول.

ذات يوم هاتفني كي يدعوني الى منزله سي عبد الحميد حسميم وكان برفقة صاحبه عبد السلام عباد - وهما من مجاهدي المنطقة الأولى - لما حضرت تفاجأت بوجود سالم بوبكر، فاغتنمت الفرصة كي استوضح منه، بين لي سي سالم اللبس الذي وقع، وأن شيحاني كان يعرفني مع أبي وأنا طالب، ولماعوض الشهيد مصطفى بن بولعيد على رأس المنطقه الأولى، سجل قائمه بأسماء مجموعة من طلبة مدينة قسنطينة - يعرفهم أو يعرف أسرهم -، وأنت كنت ضمنهم، باعتبار أن المنطقة الأولى كانت بحاجتهم .

التحق الطلبة هؤلاء لكنك لم تكن من بينهم فالموفد الذي ارسله لاحضارك -والذي لا يزال على قيد الحياة - (وذكر لي إسمه لكنني للأسف نسيته) أبلغه أنه لم يجدك، استغرب شيحاني وأنكر على الموفد قائلا: كيف لم تجده؟ وهو طالب بمعهد ابن باديس ووالده صاحب مطعم معروف بحيّه (عوينة الفول).

كان قد وعدني سي سالم بوبكر بتوثيق هذه الشهادة في كتابه الذي هو بصدد تأليفه، لكن الموت غيبته عنا، فرحمة الله عليه.

فعن بداية التنظيم القاعدي للثورة، الذي جاء متزامنا مع مرحلة التبشير بها، وتحسيس وتوعية ما يعبر عنه بالجانب التعبوي السياسي، منذ انفجار ثورة أول نوفمبر، والمتمثل في الاتصال بالمناضلين القدامى، لضم أعداد من المؤمنين بلغة السلاح كمخرج للحرية، ثم العمل الميداني المباشر، المتمثل في تحطيم المصالح الحيوية للنظام الاستعماري، وتجفيف منابع ومصادر الدعم الإستخباراتي، بالقضاء على أذنابه وأعوانه، لأن الثورة عانت منذ الوهلة الأولى من صعوبات كبيرة من قبل التنظيمات العسكرية والأمنية الفرنسية، كما واجهت عراقيل من بعض السياسيين الذين فاجأتهم الثورة، فأثروا على مواقف بعض المناضلين مما نقل الصراع إلى هذه الفئة بعد أن استنفذت كل الطرق والوسائل[1].

ومن أجل حفظ الثورة من كل فشل، اتخذ نظام دقيق على مراحل، فتمركز الثوار في نقاط يصعب على الجيش الفرنسي أن ينال منهم، فتمركزت الثورة في نقاط إستراتيجية مثل مناطق الأوراس والشمال القسنطيني وبلاد القبائل[2] في انتظار انتشار منظم.

---

1. عبد المجيد كحل الراس، "**وجوه وشهادات**"، مجلة أول نوفمبر، العدد: 161، المنظمة الوطنية للمجاهدين، ص43 -45.

2. نظرا لتشابه أحداث الثورة التحريرية في كامل الولايات، فسأكتفي بخلاصة موجزة عن الدور الذي لعبته المنطقة في الثورة التحريرية مكتفيا بالعمليات

في ظرف شهري أفريل وماي 1955 نصب الثوار خمسة وخمسون كمينا للجيش الفرنسي ووقع 12 اشتباكا بالمنطقة الثانية وحدها، أسفرت عن767 قتيلا من بينهم 12 ضابطا، وجرح 354 من بينهم 03 ضباط، وأسر06 جنود، وإعدام 15 من الميليشيا المسلحة وأعوان الإدارة، و135 من الخونة و60 من القومية وشرطي.

كانت الإستراتيجية العسكرية عند الجيش الفرنسي ترتكز على القوة، قوة السلاح وقوة الرجال، فاستدعت جيوشها من مختلف مستعمراتها القديمة، من الفيتنام، السنغال، المغرب، مدغشقر، ومن مختلف بقاع العالم، ومنحت الاستقلال لعديد الدول لتتفرغ لـ"حرب الجزائر"، فزاد عدد الجند عن 800.000 جندي، استعملوا ترسانة سلاح الحلف الأطلسي، ومن أهم الترتيبات والهيكلة العامة للجيش الفرنسي:

1 -التأطير(le quadrillage) أي تقسيم تربيعي والإكثار من المراكز المحصنة بمنطقة واحدة، لمراقبة المواطنين، وتجفيف منابع التموين عن الثوار.

العسكرية، وقد اعتمدت على مجلة المقاومة الجزائرية، وبمجلة المجاهد، وهما لسان الثورة التحريرية.

1 - عمليات اكتساح وتمشيط ضخمة في محاولة لحصار ومتابعة الثوار.

2 - تحديد مناطق محرمة، ومحاولة إجلاء السكان عنها، لفصل الشعب عن الثورة.

3 - بعد فشل المحاولتين السابقتين شرعت القوات الفرنسية في حرب الإبادة المطلقة بواسطة المدفعية والطيران استهدف كل شيء يتحرك.



الكدية، عينة من تحصينات المدينة سنة 1960

الفصل الثاني

هيكلة مدينة قسنطينة
بين المنظمات الفرنسية وخلايا الفداء

نظرا لفشل الخطوة الأولى التي أطلق عليها اسم "التهدئة" والتي تواصل العمل بها لمدة طويلة، انتقلت خلالها من التهدئة بإلقاء القبض على مناضلي الأحزاب السياسية، التي كانت تحاول أن تكسب بدورها مكانة في المحيط الاجتماعي والاقتصادي، وتارة أخرى باستعمال جميع الوسائل العسكرية، فتمت عسكرة الإدارة، وتحكم الجيش في جميع المرافق الهامة، وتضييق الخناق على سكان المدن من المواطنين المسلمين، وبدأ يخطط لمراحل جديدة، لكن سقف مطالب الجزائريين ارتفع، والوعي الشعبي بحتمية مواصلة الثورة مهما كلفه من تضحيات قد تضاعف.

استغربنا مما يجري بالمدينة من حشد عسكري للقبعات المختلفة ألوانها، والتنظيمات الأمنية المختلف انتماءاتها، والحواجز التي لم نكن نرى لها مبررا، لأننا ببساطة كنا نجهل ما يقوم به الرجال في الجبال، وما ينظّم في الخفاء بالمدينة، وكنت من المحظوظين القلائل من الشباب الذي تكونت لديه فكرة ولو بسيطة عن المدينة عندما هبّ عليها نسيم الثورة، وهذا بفضل قادة المنظمة الخاصة هناك، أو بمن كانوا يدورون في فلكهم، وكانت كلمة OS كلمة سحرية لم أتمكن من فهم معناها وفك رموزها إلا من خلال ما كان يجري في محل

الطبخ عند بابا عمار، فكثر الكلام عن أشخاص معينين منهم: صالح بوجمعة، الذي كان منسقا للمنظمة بمدينة قسنطينة، وعن زميله ورفيق دربه عمار طلعة، المدعو بوركايب، ودوره في الحراك السياسي، رفقة محمد بوضياف ورابح بيطاط، والعربي بن مهيدي، ومحمد رزاق، ومسعود بوجريو...، أي المجموعة التي واصلت عملها فيما بعد من أجل تفجير الثورة والسير بها عبر مراحلها المختلفة، كل حسب ظروفه.

لا يمكن فصل المدن المحيطة بمدينة قسنطينة عن التنظيم الذي سارت بمقتضاه دواليب النضال قبل اندلاع الثورة وبعدها، ففي ظل ذلك العمل النضالي كانت دائرة قسنطينة، مع دائرة سكيكدة تشكلان منطقة الشمال القسنطيني، وكانت دائرة قسنطينة تتبعها كل من مدينة لخروب وميله وواد زناتي، بينما يتبع مدينة سكيكدة كل من عزابه، الحروش، الميلية والقل، وسنرى أن هذا التقسيم لم يصمد كثيرا لأن الثورة التحريرية شملت كل نقطة من الجزائر، وأن تنظيماتها جاءت حسب ما أملته ظروف المرحلة.

- **تأطير مدينة قسنطينة:**

بعد تفجير الثورة، أصبح المناضلون في جميع الجهات في حيرة وفي حالة من الترقب، البركان الذي انفجر دون علم معظم الفئات الشعبية، وكان المناضلون الذين فجروا هذا البركان،

من الرعيل الأول، بعضهم فارا من العدالة الفرنسية بعد مشاركتهم في انتفاضة 08 ماي 1945، والبعض الآخر كان ملاحقا لانتمائه للمنظمة الخاصة (المخ) (OS) المحظورة، قد شرعوا في التبشير بالثورة، وشرح رسالة مفجريها الذين يؤكدون فيها على أهميتها وعلى قدسيتها، منذ الفاتح من شهر نوفمبر1954.

وبين شهري مارس وأفريل سنة 1955 جلبت الإدارة الفرنسية من المغرب بعض ضباط "الشؤون الأهلية" (SAS) وعين العقيد دو كورنو (Decorneau)على منطقة الشمال القسنطيني، واتخذ من سكيكدة مقرا له، هذا العقيد الذي سن قانون "المسؤولية الجماعية" الذي ينص على أن الجزاء على كل الأعمال التي يقوم بها جيش التحريرالوطني بالطرق، أوقطع أعمدة الهاتف والكهرباء، فإن العقوبة تكون جماعية على رجال القرى أوالتجمعات السكنية، حيث يسخَّرُون لإصلاح الطرق التي خربت، أوالأعمدة التي أتلفت، ودفع ثمن المنشآت التي هدمت، وإذا لم يستطع فقير من دفع القيمة المفروضة عليه، يُحرق كوخه، أوتخرب داره، أما إذا وقع كمين قرب دشرة معينة، فإن الموت ينشر ظله الرهيب على كل من في تلك المنطقة[1]،

1 - هيئة التحرير، "**قصة القمع الرهيب أربع سنوات من الثورة**"، جريدة المجاهد، ج1، ع31 ، ص 16.

وكان مثله الأعلى في ذلك الجنرال بيجو الذي سبق وأن قال في خطابه يوم15 جانفي 1840: "يجب على فرنسا أن تدمر الجنسية العربية لإخضاع البلاد"[1].

بالنسبة لهيكلة الولاية الثانية في البداية كانت تسمى منطقة، وقد كانت تتكون من ثلاث نواحي، كان يقودها كل من عبد اللّه بن طوبال وعمار بن عودة، وزيغود يوسف، ويرأس المنطقة الشهيد ديدوش مراد، ومدينة قسنطينة كانت تتبع الناحية التي كان يقودها الشهيد زيغود.

بعد مؤتمر الصومام أصبحت المناطق تسمى ولايات، النواحي أصبحت مناطق والاقسام أصبحت نواحي ثم أضيفت منطقة أخرى للناحية الثانية التي اصبحت منطقة ثانية، وهي بدورها قسمت الى منطقتين

1 - المنطقة الأولى جيجل وما يتبعها حتى تحدها جزء من سطيف والعلمة.

2- المنطقة الثانية :تبدأ من الميلية حتى تحدها خطة السكة الحديدية مع التلاغمة المتاخمة للولاية الأولى.

3- المنطقة الثالثة تشمل القل، سكيكدة وما يتبعهما

4- أضيفت منطقة رابعة تشمل عنابة قالمة حتى سوق اهراس

---

1 - لوكور غران ميزون، الاستعمار الإبادة ، ص 173

4 - في اكتوبر 1958 تم انشاء المنطقة الخامسة وتشمل مدينة قسنطينه وضواحيها

5 - في اكتوبر 1961 تم انشاء منطقة سادسة وهي مدينة عنابة وما جاورها، وهكذا الى غاية استرجاع السيادة.

وحدود الولاية الثانية بكاملها تبدأ من مدينة سوق الاثنين، المتاخمة للولاية الثالثة إلى سوق أهراس، قبل أن تصبح هذه الاخيرة ومحيطها تسمى القاعدة الشرقية .

كانت حياة المجاهد في الجبال مريحة، نوعا ما، لتمركزه بالمناطق المحررة التي يصعب على الجيش الفرنسي دخولها، ويطلق عليها المناطق المحرمة، لتحريم العيش بها، وقتل كل ما يدب على أرضها، أو يطير في سمائها، حتى مجيء الجنرال شال في أواخر سنة 1958، حيث أتى بمخطط جهنمي للقضاء على الثورة، مستعملا فيه جميع الإمكانات البشرية والمادية والاقتصادية، التي تمتلكها فرنسا، أو التي يمتلكها الحلف الأطلسي في أوروبا، من طائرات وشاحنات ودبابات، بل ومختلف الأسلحة الإستراتيجية والخفيفة والتي يمكنها أن تحدث فارقا في المعركة، مثل النابالم والغازات السامة.

وعلى عكس الترقيم الذي كان متبعا في هيكلة التراب الوطني عند جبهة التحرير الوطني، راهن الجنرال شال على انطلاق أعماله العسكرية من الولاية الخامسة، وهران

والونشريس، ثم الحضنة، فبلاد القبائل ثم الشمال القسنطيني، وأخيرا الولاية الأولى، الأعمال التي أراد من خلالها القضاء بالقوة على الثورة، مطبقا في ذلك المبادئ المعروفة عندهم والتي تقول: راهن بالكل من أجل الكل« le tout pour le tout» وكان هذا البرنامج بمثابة البطاقة التي يرى لجنرال دوغول أنها الرابحة، والأخيرة[1] من أجل استعادة شرف فرنسا المفقود، والخروج من الجزائر بطريقة مشرفة وتركها بيد المعمرين تحت شعار الجزائر للجزائريين (الفرنسيين).

كانت الإدارة العسكرية تعلم بأن فرق جيش التحرير الوطني تتمركز برؤوس الجبال، لمراقبة كل ما يدور بالناحية، ومن الحيل التي جاء بها من حرب الفيتنام، أن فرق التمشيط تتلقى أوامر بالرحيل وركوب الآليات، ثم المغادرة ليتركوا المكان شاغرا، لكنهم في الواقع يتركون فرقا متخندقة بالمكان،

---

1 - كان يُعتمد في مخطط شال على تمشيط مساحات كبيرة وواسعة بقوات تبلغ أحيانا 50 ألف جندي، مزودة بالمدفعية الثقيلة، والدبابات، والطائرات العمودية و المقنبلات والحاملات للفرق، مستعملة في مقدمة الحشد الحركى، واللفيف الأجنبي، ثم رجال النخبة، ثم المجندين في إطار الخدمة الإجبارية، وخلف الكل رجال الجندرمة للحماية، وكان التمشيط يدوم عدة أشهر يكرر فيها استهداف مناطق معينة، وكان رجال الاستخبارات العسكرية قد وضعوا منذ بداية حرب التحرير، مخططا لأماكن وجود جيش التحرير الوطني، التي أسمتها بالمناطق العفنة، ثم المناطق الموبوءة، وبموجبها أوجدت تصنيفا لمناطق محرمة وحددت أماكن تجميع السكان والمحتشدات لفصل الشعب عن ثورته.

ناصبة كمائن للمجاهدين الذين كانوا يتفقدون الأماكن بعد إخلائها، وكنا قد وقعنا في مثل هذه الفخاخ في المرحلة الأولى، لاعتقادنا بأنهم غادروا المنطقة المكشوفة، فلما نقترب من الموقع تنهال علينا طلقات الرصاص من الخنادق التي حفرت من قبل.

و الملاحظ على هذه الفرق أنها لا تترك خنادقها حتى ولو كان أحدنا مجروحا وقريبا من خنادقهم، كما أنها تسرع هذه المجموعات المتخندقة في إطلاق الرصاص على أول من يظهر من المجاهدين، خوفا من المواجهة، وهذا يساعدنا على تفادي الأسوأ، وكانت الطريقة أو الخطة التي يطبقها الجيش الفرنسي في مثل هذه الكمائن ما كان يطلق عليها بالكمائن المؤطرة «les embuscades cadrer » والكمائن المتقاطعة أو المتشابكة « les embuscades croiser » بالاضافة الى ذلك فكثير من الكمائن كانت تنصب بالأماكن الحساسة، كمنابع الماء، أو مراكز التمويل والتموين، أو الطرق التي نسلكها في العادة، والحقيقة أن مخططه كان يعتمد في الأساس على معاينة الأماكن التي نتنقل منها أو نقصدها قبل أن ينظم جيشه للقيام بالتمشيطات الواسعة.

حاولت القيادة العسكرية اختصار الوقت في الكشف على عرين الأسود، بإلقاء القبض على بعض من رجالنا أحياء، باستخدام مختلف الحيل العسكرية، لكننا سرعان ما كنا نجد الحلول الملائمة لكل إشكالية محتملة نقع فيها، فعلى

سبيل المثال، المظليون الذين كانوا يأخذون اقراصا مهلوسة يقدمون على الموت دون ادراك، كانوا يلتقون بنا كأفراد لأننا نتنقل مرات فرادى، يحاولون القاء القبض على المجاهد حيا، فقد يكشفون أنفسهم بعد حتماء الواحد منهم وراء صخرة أو شجرة وينتظر مرور الدورية أو الشخص، ويوهمك أنه وقع في المواجهة عن طريق الخطأ، ويجبرك على إطلاق النار عليه، ما دام متحصنا، فهو يريد أن يعرف من وراء طلقاتك نوع السلاح الذي تستعمله، وعدد الرصاصات التي يحمله هذا السلاح، فلو فرضنا أن المجاهد كان يحمل "موزير" من نوع ألماني فبمجرد طلقته عليهم يعلمون أنها تحمل خمس رصاصات، فيستخدمون التكتيك والمهارة العسكرية لدفعه إلى إطلاق الرصاص وهم يحتسبون كم طلقة أطلقها المجاهد، فعندما يصلون إلى خمس رصاصات يخرجون ويريدون القبض عليه حيا، صحيح قد وقع البعض منا في هذا الفخ، لكن ما لبثنا أن وجدنا لهم الحل المناسب، ففي هذه الحالة، ماذا يفعل الجندي؟ يطلق ثلاث رصاصات ثم يشحن البندقية من جديد فيصبح فيها خمس رصاصات، فيظن العدو أنه لم يبقى إلاّ رصاصتين، فلما يطلقهما المجاهد يظن العدو أن لا رصاص باق له فيخرجون أمامه ليسقطهم على الأرض صرعى.

كما أن الجيش الفرنسي كان يبتكر دائما الحيل حتى بعد المواجهات، فقد كان يعلم أن بعد نهاية كل معركة يأتي المسبلون، لأخذ جثامين الشهداء ودفنها، فكان يلغم الجثث وعندما يهم المسبل أو المجاهد بحملها ينفجر اللغم، مما جعل جيش التحرير يبتكر بدوره ما يواجهون به هذا العمل الإجرامي، وهو ربط رجل الشهيد بخيط ثم الاحتماء بواق، فإذا كانت الجثة ملغمة تنفجر، ولا يضر الضحية سلخها بعد ذبحها، وإذا لم تكن كذلك تدفن بثيابها.

كما كانت القيادة العسكرية قد أطلقت يد عساكرها بالنهب والسلب، واستعمال كل ما يمكنهم توظيفه لاستعادة السيطرة على هذا الشعب الثائر، الذي لا يكلّ ولا يمل من أجل استعادة استقلاله، ومن الأعمال غير المسؤولة التي كانت تقوم بها فيالق اللفيف الأجنبي، الذي لا يمتثل لقانون، ولا تربطه بفرنسا إلا البذلة العسكرية، فبعد أن يثمل أعضاؤها، يفقدون صوابهم، ويريدون أخذ الثأر لزملائهم الذين يسقطون عند كل هجوم أو كمين أو مواجهة، لأنهم طليعة الجيش بحكم أنهم من المحترفين، أو من المنحرفين الذين قصدوا ثكنات الجيش الفرنسي التي تأوي مثل هؤلاء من دون قيد أو شرط[1].

---

1 - اللفيف الأجنبي la Légionétrangère هو فيلق عسكري وحيد في الجيش الفرنسي أنشئ في 10مارس 1831 وعينت الجزائر كوطن له، أنشئ خصيصا

بعد مراقبة ودراسة مختلف جوانب الخطط العسكرية المطبقة في إطار عمليات التمشيط الكبرى بالولايات الغربية، التي جاء بها شال، صدرت الأوامر من قيادة الولاية الثانية بتفكيك قواتنا إلى فرق صغيرة، وفي مرات عديدة قد لا يتجاوز3 مجاهدين، مع تجنب الالتحام مع العدو، نظرا لكثرة عدده، وقوة عتاده، لكننا كنا نشتت قواه بنصب الكمائن في أماكن مناسبة ثم الإنسحاب بخفة وسرعة،

علما بأن تركيبة جيش التحرير الوطني كانت مبنية قبل عمليات شال كما يلي:

- نصف الفوج: يتكون من خمسة أفراد من بينهم قائد.
- الفوج: يتكون من 11 فردا.
- الفرقة: تتكون من ثلاثة أفواج يرأسها قائد ونائبيه أي 35 فردا.
- الكتيبة: تتكون من ثلاث فرق يضاف إليهم قائد ونائبه أي 105 أفراد

للأجانب الذين يرغبون في خدمة القوات الفرنسية بقيادة ضباط فرنسيين، مثلهم مثل فرقة الزواف التي أنشئت في شهر أوت 1830 بقصر الداي بالجزائر، نزل الفيلق في الجزائر في أواخر سنة1831 لتثبيت أقدام الفرنسيين بها، كانت الحرب في الجزائر صعبة على الفيلق، لأنه كان يكلف بأسوء الأعمال القذرة، وظلت الفرقة الأجنبية جزءا هاما من الجيش الفرنسي في الجزائر حتى 1962.

- الفيلق: وقد عرفناه في الولاية الثانية في مرحلتين فقط، ثم تم التخلي عنه لعدم نجاعته، ويتكون من ثلاثة كتائب أي ما يعادل 350 جنديا تمثل الفيلق.

لا بدّ أن ننبّه أن خطة شال تختلف تماما عن سابقتها، لأنّه جاء بها كخطة مضادة لحرب العصابات، مما استوجب إنشاء ترتيبات وتطبيقات جديدة منها إنشاء منطقة جديدة، أطلق عليها المنطقة الخامسة، تضم مدينة قسنطينة الكبرى، وحددت مهامها الأساسية في تأمين التموين والتمويل للجيش، ومناوشة القوات الأمنية والعسكرية بالمدن حتى تتبعثر قواته وتتشتت بهذه المدن، فيفكّ الحصار المضروب على المجاهدين بالجبل، وأخص بالذكر مدن جيجل، ميلة، العلمة، قالمة، أي المدن التي تلتقي بحدود المناطق المحرمة، ومن هذا المنظور فكروا في إضافة ملاجئ سرية جديدة بمدينة قسنطينة.

كنت وحملاوي نعرف أدقّ التفاصيل عن المدينة، وكنا نشاهد يوميا التعزيزات التي يدعم بها الجهاز الدفاعي للمدينة، فبالرغم من كون مدينة قسنطينة جزيرة صغيرة يحيط بها وادي الرمال من جهاتها الشرقية والشمالية، ولا يربطها باليابسة إلا الجسور الستة التي أصبحت تنسب إليها، وهذه الجسور هي القنطرة وهي أقدمها، جسر المصعد "المعراج" من الشرق، جسر سيدي مسيد وجسر الشلالات من الشمال، وجسر سيدي راشد

وجسر الشيطان من الجنوب، أما من الناحية الجنوبية فترتبط بكدية عاتي، ومن الجنوب الغربي نجد حي عوينة الفول الذي ينحدر حتى الطريق الرئيسي المؤدي إلى كل من حامة بوزيان و القرارم.

سمعنا الكثير عن عملية التأطيرالتي جاء بها قادة الجيش الفرنسي منذ بداية سنة 1955 والتي كان يراد بها فصل الشعب عن جيش التحرير الوطني، ومنع التموين عن الثوار، لكن تأطير مدينة قسنطينة جعل منها مدينة متميزة، فبالإضافة إلى الثكنات المعروفة بالمدينة، دعمت جميع الجهات التي يمكن أن تشكل خطرا على أمنها، وعلى ساكنيها من الأوروبيين، انطلاقا من أبواب المدينة، التي شيدت عليها تحصينات دعمت بمدافع رشاشة، ومن ضيعة أمزيان إلى مسبح سيدي مسيد، نصبت مراكز متقدمة للمراقبة يزيد عددها عن 11 مركزا، بالإضافة إلى المراكز المعزولة التي تشكل نقاطا إستراتيجية مثل محطة القطار وساحة القصر ودار العمالة... ناهيك عن تقاطعات الطرق الرئيسية التي استعملت بها آليات مصفحة، ومراكز للتفتيش دائمة، وأقيمت حواجز بالأسلاك الشائكة، ومتاريس حديدية، لمراقبة السيارات والعربات المختلفة، وبأبواب تغلق ليلا بعد إعلان حضر التجوال، أما الأماكن التي يسكنها المعمرون فقد أقيمت بمداخلها مراكز للتفتيش، وكونت فرقا متنقلة

ودوريات متعددة تقوم يوميا بمداهمات وحملات تفتيش خاطفة بعد مجرد تلقي أخبار ومعلومات من عيونها المنتشرين في كل مكان، بوجود مشتبه بهم، ولم تكتف بهذه الإجراءات الوقائية بل أطرت الشوارع والأحياء برؤساء وحراس و"وقافون" بالجهات المحيطة بالمدينة .

لم يكن هذا التأطير، وهذا التحصين والدوريات وهذا الحشد العسكري ليوقف عمل الرجال الذين يتداولون على المدينة: على أحيائها وشوارعها وأزقتها، فكانت الأفواج تضرب ثم تنسحب لجبل الوحش، أو إلى شطابة، أو للمناطق المحررة التي كانت القوات الفرنسية تطلق عليها إسم المناطق المحرمة - والتي سنت قانونا خاصا بها يقضي بحرق كل شيء متحرك بها - وخاصة المعروفين عند العناصر الأمنية، لتلتحق عناصر أخرى بالمدينة، وكأن العملية مقابلة رياضية في كرة القدم ، يلعبون شوطا ثم يستريحون استعدادا لشوط ثان.

رغم أن مدينة قسنطينة كانت جزيرة محصنة، تحت نظر القوات العسكرية الفرنسية، محاطة بوادي الرمال ووهاده من ثلاث جهات، لأن الشرايين التي تربطها ببقية اليابسة هي الجسور التي تمت مراقبتها بواسطة بروج ومتاريس لمراقبة الداخل والخارج من المدينة وإليها، ومع هذا فقد كانت العناصر قد سجلت في غضون ثمانية أشهر أي إلى غاية 1956 ما يزيد عن 100

هجوما، استطاعت أن تحتل المرتبة الأولى في منظومة الفداء، رغم محدودية عدد السلاح، حيث لم يكن يزيد عن 45 قطعة بين ماط 49[1] وبندقية حربية ومسدس، وعدد من القنابل اليدوية، وكان الفدائيون يتسلحون ذاتيا من ضحاياهم المسلحين بالمسدسات والرشاشات، أما الألغام فقد كان بعضها يصنع محليا من مخلفات قنابل القصف البري أو الجوي والتي لم تنفجر، فتقوم خلية عباس زيادي، المتكونة من: بلغربي مصطفى، إسماعيل بوراس، أحمد بن كحلة ومحمد الشريف دقومي...، بتفكيك هذه القنابل وتحويلها إلى ألغام، أو تفجر على حالتها، بعد أن تزود بمفجر، وفي غالب الأحيان تكون هذه التفجيرات لإثارة الرأي العام، وزرع الرعب في نفوس المستوطنين المغتصبين وأذناب الاستعمار.

الإيمان بعدالة القضية يقتل الخوف ويقهر الأعداء

من بين الأسباب التي جعلت ثورة التحرير الجزائرية متفردة أنها ولدت بعد مخاض عسير، وكان لجبهة التحريرالوطني ضرّة تمثلت في الحركة المصالية التي حاولت ركوب القطار بعد انطلاقه، مما جعل المناضلين يحتارون في من يقود الثورة جيش

1 - الماط هو مختصر لمصنع التسليح بمدينة تول Tulle الفرنسية، والرقم49 هو المسدس الرشاش الذي أنتجه هذا المصنع سنة 1949، والسر في وجوده بكثرة بيد الفدائيين وجيش التحرير الوطني، هو ثمرة العمل الميداني الذي لم ينقطع، وهو دلالة على استمرارية الكفاح منذ اندلاع ثورة التحرير.

التحريرالوطني، أم الجيش الوطني الشعبي بقيادة مصالي، ونتيجة لهذا التشويش فقد جعلت دواليب الثورة بالولايات تتوقف، أوتتعطل لمدة عشرة أشهر، كان الدور فيها للشباب الثوري الذي كان يشكل المنظمة الخاصة، التي رجّحت الكفة لصالح جيش التحريرالوطني، فانتقلت المواجهة بين الطرفين إلى المواجهة المسلحة، حيث كوّن محمد بلونيس[1] جيشا قوامه 2919 رجلا، على مرأى ومسمع من الإدارة الفرنسية، بل بتشجيع وبتسليح منها.

وعن بداية التنظيم القاعدي للثورة، أو ما يعبر عنه بالجانب التعبوي السياسي، منذ انفجار أول نوفمبر، والمتمثل في الاتصال بالمناضلين القدامى لضم أعداد من المؤمنين بلغة السلاح كمخرج للحرية، ثم العمل الميداني المباشر، المتمثل في تحطيم المصالح الحيوية للنظام الاستعماري، وتجفيف منابع ومصادر الدعم الإستخباراتي، بالقضاء على أذنابه وأعوانه، لأن الثورة عانت منذ

---

1 - بلونيس محمد، ولد ببرج منايل، انظمّ إلى حزب الشعب الجزائري سنة 1938 من المقربين المخلصين لمصالي الحاج، كلف من طرف مصالي في أفريل 1955 بقيادة المجموعات المسلحة التابعة للحركة الوطنية الجزائرية، عندما شعرت جبهة التحرير الوطني بمواقفه المضادة للثورة، خصص جيش التحرير الوطني سنة 1957 قوات معتبرة لمحاربته، ففر بفرقه نحو الجنوب، واتصل بالقوات الفرنسي وطلب مساعدتهم في محاربة جيش التحرير الوطني، وبفضل هذا الموقف صار جنرالا على الجيش الوطني للشعب الجزائري متخليا عن انتمائه لحزب مصالي، لكن خلافه مع الجيش الفرنسي تسبب في موته في 14 جويلية 1958.

الوهلة الأولى من صعوبات كبيرة من طرف التنظيمات العسكرية والأمنية الفرنسية، كما واجهت عراقيل من طرف بعض السياسيين الذين فاجأتهم الحرب، فأثروا على مواقف بعض المناضلين مما نقل الصراع إلى هذه الفئة بعد أن استنفذت كل الطرق والوسائل[1].

لا تقاس الخيانة بما قدمه المرء من تضحيات محسوبة، ولا بما أشرف عليه من تنسيق وتنظيم وترتيب، تمت في معظمها بقاعات محمية و فنادق مريحة، لكنها تقاس بخاتمة الأمور، إذ يمكنك أن تسعد إنسان لعشرات السنين، لكن يمكن أن تسبب له تعاسة بموقف خاطئ أو بشهادة زور...، فالأمن لن يزعجك بقوانينه وأفعاله، لكنك تسجن بفعل إجرامي واحد ترتكبه في نهاية عمرك، فما بالكم في حمام الدم الذي سال بين الأشقاء، بين طرف سلحه الجيش الفرنسي، أو استحوذ على سلاح المنظمة الخاصة، السلاح الذي احتفظ به قبل اندلاع الثورة، وطرف يقطع مئات الكيلومترات للحصول على بندقية أو رشاش، أو يتحدى الأجهزة الأمنية والعسكرية للحصول على سلاح فردي يواجه به نفس التنظيمات الأمنية والعسكرية، فمن المسؤول عن هذه الخيانة التي تسببت في آلاف القتلى وآلاف اليتامى والأرامل،

---

1. عبد المجيد كحل الراس، المرجع السابق. ص43 - 45.

القضية التي زرعت الشك في نفوس الجزائريين وأمدت في عمر الحرب لسنوات.

ولمن يريد أن يتعمق في موضوع له حساباته وله أهدافه، فليعد لكلام قادة الثورة أثناء مراحلها المختلفة، المراحل التي كانت تتطلب التفاف الجميع حول النظام ومباركته، فسيجد الكثير مما قيل حوله من طرف بلقاسم كريم وبن طوبال ورمضان عبان...

كانت مدينة قسنطينة بيد قياديين من "حركة الانتصار للحريات الديمقراطية"، وكما أسلفت فإن هذه النخبة احتفظت بسلاحها، وامتنعت عن مساندة المركزيين والمصاليين معا، كما امتنعت عن دعم العمل المسلح لاحقا، أصبح مناضلوها في جميع الجهات في حيرة وفي حالة من الترقب، وكان المناضلون الذين فجروا الحرب من الرعيل الأول قد شرعوا في التبشير بها، وشرح رسالة مفجريها الذين يؤكدون فيها على أهميتها وعلى قدسيتها.

لقد كان لرائحة بارود الفاتح من نوفمبرأثره الكبيرعلى أعصاب الإدارة الاستعمارية، وخاصة المنظومة العسكرية للجيش الفرنسي، فلم يبق قادة جبهة وجيش التحرير قابعين بنفس المخابئ والمراكزالبعيدة عن المدن، بل بالعكس، بقيت الآلة تشتغل بكامل طاقاتها، ففي الوقت الذي انتشرت الحرب بين مختلف الشرائح الاجتماعية، كانت القيادة تعد العدة لعقد

مؤتمر جامع من أجل تحديد خارطة طريق لسير الحرب، وتسطيرآفاق المراحل المقبلة، ورسم الأهداف في آجالها القريبة والمتوسطة والبعيدة، وفي مقدمتها إعادة النظر في التنظيم العسكري والإداري الإستراتيجي ، وعلى رأسها التقسيم الإقليمي للولايات.

لم تكن مدينة قسنطينة في تهيئتها وفي عمرانها، ولا في محوريتها، تشبه بقية الحواضر، فلها خصوصيات ميّزتها عن بقية المدن، ولها محيط طبيعي حماها من نائبات الدهر، وحفظ لها عاداتها وتقاليدها، وطرق معيشة أهلها، لكنها تتأثر دائما بالهزات التي تطلها، فمن خلال ما قدمته من وصف لمدينة، جزيرة، محصنة طبيعيا، لكنها أمام أسلحة الدمار الحديثة، والقادرة على الهدم من بعيد، فقدت قوتها، وبدأ بريقها يزول، نتيجة التحصينات الجديدة والمتاريس العديدة، التي ميزتها الأسلاك الشائكة، وأكياس الرمل والأعمدة الفولاذية المتصالبة، بكل تقاطع للشوارع، وبكل منعطفات الأحياء، لتصبح سجنا كبيرا، جمعت فيه كل القوات الحية، وكل أصناف المجتمع وأعراقه.

أمام هذا الوضع كان لزاما على القوات الأمنية والعسكرية الفرنسية، أن تقوم بكل ما تستطيع من أجل تأمين المدينة من ضربات الفدائيين التي صار إسمها مرتبط باسم المدينة، وكما

كان لزاما على أعضاء فرق وخلايا الفداء بالمدينة أن تؤقلم عملياتها وفقا للمخططات الأكاديمية التي تسطرها نخبة من أساتذة المعاهد العسكرية العليا بفرنسا، سواء كان هذا التنظيم يمس الإستراتيجية العسكرية أو الخطط العملياتية، مثل التي طبقها منذ الفاتح من شهر نوفمبر: تأطير، حملات تفتيش، مناطق محرمة، تجميع السكان في محتشدات العار، قوانين استثنائية، حواجز أمنية وسدود شائكة...فكانت خلايا الفداء تهيكل أبطالها، رغم أن أعضائها لا يحملون سلاحا ظاهرا، ولا شارات تميزهم عن بقية العمال البسطاء، ومن المؤسسات والتطبيقات العملية التي اختصت بها المدينة نذكر:

- **مراكز التعذيب بمدينة قسنطينة:**

كانت القوات الأمنية والعسكرية ترى أن التعذيب وسيلة مثلى لاستخراج المعلومات عنوة من أفواه كل من يشتبه بهم، فضاعفت من تشييد وتنويع المعتقلات ومراكز التعذيب والسجون والمحتشدات، وبالإضافة إلى سجني المدينة بكل من القصبة و الكدية، اللذين عُرفا، كمدرستين للنضال ولتقوية الروح الوطنية، ومركزين لإعادة تكوين وتدريب المناضلين الناشطين في الحركة الوطنية الجزائرية، ثم الفدائيين والمجاهدين إبان الثورة التحريرية الكبرى وخاصة بعد المحاكمات الصورية التي

غالبا ما كانت تتم بطرق تعسفية، شيدت الإدارة العسكرية عدة مراكز يزيد عددها عن الستة عشر مركزا منها:

- **محافظات الشرطة:**

- أنشئت منذ سنة 1952 بكدية عاتي، تضم جميع مصالح الأمن.
- حي الغيران: أنشئ في 1955 خارج مدينة حامه بوزيان .
- مركز بن رابح: أنشئ هذا المركز في نهاية 1955 .
- مركز حي العمال بحامه بوزيان، أنشئ سنة 1956 وكان حيا شعبيا قبل تهجير سكانه وتحويله إلى مركز للتعذيب والاستنطاق، تصل قدرة الاستيعاب به إلى 1000 معتقل .
- دار القاضي القديمة: أنشئ 1956بعد تصاعد أعمال الفداء بمدينة قسنطينة.
- مركز فندق الزيت: أنشئ في1957 بوسط المدينة "قسنطينة" يسع لحوالي 200 رجل، خصص للشرطة القضائية.
- ضيعة أمزيان للتعذيب، تابع للجيش وبه كان يعذب كل من تقع يد الجيش عليه.
- مركز ثكنة الجندرمة: أنشئ ببلدية أولاد رحمون دائرة الخروب، واتخذ كمحتشد وأرفق بجناح للتعذيب والاستنطاق، وكانت قدرة الاستيعاب تفوق 1000 شخص.

- الثكنة العسكرية أنشئ هذا المركز سنة 1957 بأولاد رحمون.
- مركز عين اسماره بمقر الجيش الفرنسي، أنشئ في 1957 يقع وسط المدينة.
- مركز الإيبودروم: أنشئ بمركز الفروسية سنة 1960، يقع بحي وادالحد، جنوب سيدي مبروك، شرق مدينة قسنطينة تتراوح قدرة استيعابه بين 200 و300 نسمة.
- مركزا الروفاك، وعين كرمة، ومركز كوندي السمندو، ومراكز أخرى تحيط بقسنطينة كانت عبارة عن مراكز التجميع والتعذيب والاستنطاق لخريجي مدرسة "جندارك" بسكيكدة.

وإذا كانت هذه المراكز المشؤومة، التي يحمل جل المعتقلين والمساجين ذكريات أليمة في نفوسهم، وجروحا بليغة في أبدانهم، بل وانفصام غريب في مداركهم وعقولهم، وما دام السجين والموقوف بشر، فطاقة تحمله قصيرة، وقدرته على الصمود محدودة، فإن كل هذه المراكز ساهمت في خلق الفرقة الثالثة من الجزائريين التي تصنف بين الجيش الفرنسي وعناصر منظومة الفداء، نتيجة للتعذيب والإهانة المبرمجة، فكان للدور الذي قاموا به، من كشف للأسرار ورصد لتحركات الفدائيين الدور الأول في تمكين القوات العسكرية الفرنسية من كشف

خلايا الفدائيين الواحدة تلو الأخرى، وكان للوسائل الجهنمية التي دربت عليها فرق خاصة، في الوقت الذي توجهت نيران أسلحة الفدائيين مرغمين إلى بعض هؤلاء الذين غيرهم التعذيب، وقاموا بأفعال لا يقوم على فعلها أبناء فرنسا نفسها.

- **المنظمة السرية للتنسيق العسكري:**

المنظمة السرية للتنسيق العسكري، أو ما يطلق عليه إسم مكتب التنسيق العسكري، وهو مكتب سري يشبه في تنظيمه منظمة عسكرية اتخذت من الفيلق 157 ستارا لها، وهذا المكتب يعمل مستقلا استقلالا تاما عن الجيش الفرنسي، يتبع رئيس الحكومة الفرنسية والقائد العام الفرنسي في الجزائر مباشرة، لكن نشاطه متغلغل في جميع الوحدات العسكرية، وفي كل أنحاء الجزائر لتنسيق النشاط الخاص بجمع المعلومات، وهو المسؤول عن "جهاز الحماية" في المدن، أي الجهاز الذي يراقب الحياة اليومية لجميع السكان في الجزائر، عرب وأوروبيون، بواسطة مجالس الأحياء، والمسؤولين عن العمارات و الأنهج... ويشرف على هذا التنظيم العقيد " قودار".

يتم الانتماء إلى هذه المنظمة بعد أداء يمين الإخلاص والولاء لفكرة "الجزائر الفرنسية"- وهو نفس القسم الذي كان يتقيد به أعضاء منظمة اليد الحمراء،[1] وأصبح يردده أعضاء منظمة الجيش السري

1 - كتيبة الذئاب الحمراء و هي فرقة أنشأت عام 1955 بأمر من الرئيس الفرنسي رينيه كوتي وكان غرضها بالأساس كما قال الرئيس الفرنسي في مذكراته

OAS ـ وكتابة التزام بخط اليد يلتزم فيه صاحبه بالطاعة العمياء غير المشروطة، ويفرض على المنخرط في "مكتب التنسيق العسكري" التزام السرية التامة حتى إزاء الشخصيات الرسمية[1].

ونتيجة لوضع هذا التنظيم الخاص، فقد حل محل المكتب الخامس، وكون لنفسه محطات قيادية في كل المدن الكبيرة، ومن هذا المكتب أطرت منظمة الجيش السري، فكان بمدينة قسنطينة مثلا جهاز تنصت خاص يراقب الاتصالات العسكرية والمدنية معا يضم 250 جهاز تسجيل في عمارة الديك المقدام « Coq- hardi» حسب ما جاء في تقرير سري رفعه بعض الجنود الفرنسيين ممن اطلعوا على وثائق خطيرة من مكاتب هذه المنظمة إلى القيادة العليا في وزارة الحربية.

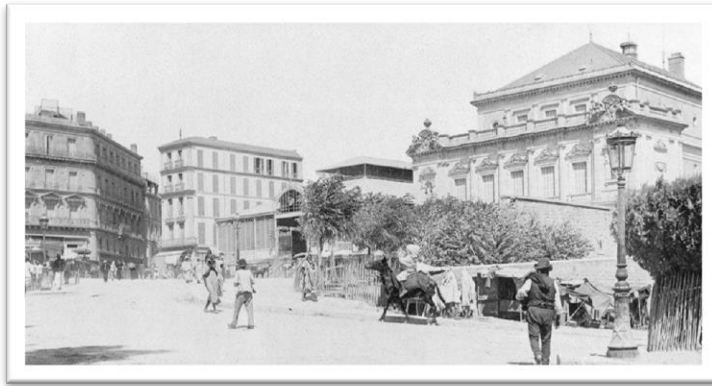
ورغم هذا التنظيم السري، الذي كان يمتلك كل الصلاحيات، وجميع الوسائل الدعائية، فقد كان التنظيم المحكم بالسرية التامة

"إرهاب" الجزائريين ليتوقفوا عن دعم عناصر جبهة التحرير وتم تكوين الفرقة من السجناء في فرنسا خاصة القتلة و السفاحين و اللصوص) حيث عرضت الاستخبارات الفرنسية عليهم العفو مقابل الخدمة في الجيش الفرنسي في الجزائر و العيش بحرية هناك وضمت الفرقة أكثر من 4700 رجل وسرعان ما توسعت لتظم مجموعة تسمى بالأيادي الحمراء وفرقة الشباب المسيحيين الفرنسية ليصل عددها إلى 6 الآلاف رجل وجرى تدريبهم بمدرسة جاندارك بسكيكدة وفي السجون الفرنسية في الجزائرعلى أساليب القتل و التعذيب الوحشية، خاصة في سجن باربروس بالعاصمة.

[1]. المجاهد، المنظمة السرية، ص8.

في تنفيذ برامج جبهة وجيش التحرير الوطني، خاصة نظام الفداء الذي لا يسمح بالخطأ، خاصة وأن جهاز التنفيذ يكون دائما من أبناء الحي.

لم نكن نعرف عن هذا التنظيم الشيء الكثير، لكن زملاؤنا في المناطق المحرمة، وخاصة قيادة الأركان بالحدود نبهت لمثل هذه المنظمات غير المعلنة، وخاصة بعد استشهاد عميروش و سي الحواس الذين كانا في طريقهما الى دخول الحدود التونسية.



ساحة الشهداء

- **جرائم الجيش الفرنسي في قسنطينة يومي 12 - 13 ماي 1956**

تعتبر مدينة قسنطينة فندقا واسعا للوافدين من مختلف القرى والمدن المجاورة مثل: قالمة، سكيكدة، جيجل، سطيف، ميلة، الميلية ومدن الأوراس، فنجد عدد "البرانية" مرتفع جدا، كما كانت مرتعا واسعا للتجار والحرفيين، نتيجة للمحلات التجارية

الكبرى المتوارثة منذ عشرات السنين، وخاصة بين الحربين العالميتين.

عندما قامت الثورة التحريرية كانت المدينة تضم عددا كبيرا من رجال الأمن، خاصة أنّها مدينة محصنة طبيعيا، جمعت عددا هاما من اليهود والمستوطنين الأوروبيين المغتصبين، إضافة إلى المواطنين الأصليين الذين يشكلون المجتمع القسنطيني من الذين كانوا يشرفون على الخدمات وعلى التجارة وعلى الحرف الصغيرة.

وإذا كان المواطن العامل الوافد عليها يعيش أعزلا بين بقية التشكيلات التي تسير في فلك الإدارة الفرنسية المسلحة جيدا، والتي كونت ميليشيات خارجة عن القانون، ومحمية بالجيش ورجال الدرك والأمن، فإن أبسط الأحداث كانت تنغص معيشته، خاصة أنه يبيت إمّا في فندق صغير أو في مرقد بين جماعة من العمال الغرباء، أو في حمام، وفي العديد من الحالات يعيش في مقر عمله، فهو المعمل أو المصنع والمرقد في نفس الوقت.

في 29 مارس 1956 اغتيل محافظ قسنطينة من قبل أحد الفدائيين القادمين من كوندي السمندو(زيغود يوسف حاليا) هذا المحافظ كثيرا ما كان يجلس مع الأهالي في مقاهي رحبة الصوف، حتى جعل البعض يظن أنّه محب للعرب المسلمين، ووصل به الأمر ليزيد شعبيته ويكسب ثقة الأهالي، وإن كان

يقوم بالافراج عن بعض المشبوهين من الجزائريين على مرأى ومسمع من الجميع .لكنه في الحقيقه يخدعهم بهذه الافعال لمعرفة الخبايا وبالتالي يرسل المليشيات ليلا لاغتيال المناضلين.

وقد أدت هذه العملية ببعض السذّج الظن أن اغتيال المحافظ كان خطأ فهو صديق للعرب، فاغتنمت فرنسا الفرصة لمحاولة تشويه سمعة المجاهدين بقسنطينة، ونشر الشائعات على أنهم مجموعة من المجرمين لا يفرقون بين عدو وصديق.

كانت ردة فعل المحتل على غرار ما دأب عليه انتقامية، فقد قاموا بأخذ رضا حوحو -أحد أقطاب جمعية العلماء المسلمين- بنفس اليوم من منزله على الساعة السادسة مساء الى جبل الوحش أين أعدموه، و تم العثور على جثمانه برفقة ثمان جثث أخرى مدفونه بشكل جماعي في حفرة بوادي حميمين، وبعد الاستقلال وقد أعيد دفن رفاته بمقبرة الشهداء بالخروب، كما اعدموا بوشريط صاحب المقهى الذي كان يرتاده المحافظ.

هذه عيّنة من الأعمال الإجرامية التي دأب عليها الجيش الفرنسي في قسنطينة، ففي مثل هذه الظروف اندلعت حوادث خطيرة، حيث قام أحد المستوطنين بإلقاء قنبلة يدوية داخل مقهى ولاذ بالفرار باتجاه "حومة اليهود"، في الوقت نفسه قام أعضاء الميليشيات بالهجوم على الأحياء العربية وشرعوا في إطلاق النار على كل أحد يجدونه بالشوارع وخاصة:

- **حوادث نهج سيدي لخضر:**

جاءت عصابات من شارع فرنسا وبدأت بتعذيب أول من عثر عليه في طريقهم، فكان أول قتيل طفل صغير بنهج الوهد، كومب "combe"، كما قامت مجموعة من المسلحين بقتل أربعة أشخاص بنهج سيدي لخضر رميا بالرصاص، وقامت مجموعة أخرى بقتل سبعة جزائريين بمقهى بن العيدوني، وفي المقهى الثاني المجاور قتل مواطن بالرصاص.

ونزل فرنسيون آخرون قاصدين زنقة بلور شارع "فلوكي"و"حنو" وألقوا القبض على عدد من الجزائريين ونهبوا متاجرهم قبل أن تنقذهم فرقة من الأمن وأخذوهم إلى مخفر الشرطة .

- **حوادث زنقة اللقالق:**

في الوقت نفسه الذي انفجرت فيه القنبلة اليدوية بشارع سيدي لخضر انطلقت عمليات المطاردة، إذ خرج ما يزيد عن 100 من أعضاء الميليشيا المسلحة، وشرعت في إطلاق نيران بنادقها ومسدساتها على متاجر الجزائريين بطريقة شبيهة بما قاموا به في سنة 1945 ، بعدها نهبت المحلات، وكان من نتائج الهجوم هو قتل ثلاثة رجال بقاعة حلاقة للسيد "بن زايد محمد" الذي جرح بدوره.

- **حوادث زنقة بومزو:**

صعدت العصابات من زنقة اللقالق إلى أعلى، بعد ما عرجت على زنقة فرنسا وزنقة الدكتور عطال وساحة بوزو حيث تكونت فرقة كاملة من المسلحين الأوروبيين فهدموا الأكواخ الموجودة بالساحة.



نموذج لشوارع المدينة العامرة المكتظة بالمواطنين

- **حوادث سوق نكرية لخضر:**

يوجد بالقرب من السوق مسجد سيدي الكتاني و مدرسة، سمع التجار بالخبر ففر بعضهم إلى المسجد، لاحقتهم الفرقة وأرادت القضاء عليهم به، وعندما استعصى عليهم تكسير

الباب، خربوا المخبزة المحاذية له، والمحلات المجاورة، ولم ينجو الرجال 26 "من احتموا بالمسجد" إلا بمساعدة الشرطة.

- **حوادث زنقة "سيرني":**

أخرجت الفرق المسلحة الرجال من متاجرهم، وساقوهم إلى زنقة فرنسا حيث أخذت منهم أموالهم قبل أن يقتادوهم إلى مركز الشرطة، وقتل عاملان بداخل مخبزة، ونهبت جميع الأشياء التي كانت بها، ثم صعدوا إلى مقهى الشارع نفسه وحطموه.

- **حوادث الحي الغربي:**

في منتصف النهار، عندما سمعت الفرقة العسكرية المكلفة بحراسة قنطرة سيدي راشد صوت الرصاص والصراخ بالأحياء العربية، أطلقت النار من رشاشاتها الثقيلة، دون تمييز ولا مراعاة للسكّان ما تسبب في مقتل أمرآة في دارها[1].

- **حوادث حي باردو:**

ما دام الخوف قد سيطرعليها، فقد قامت الفرقة نفسها من توجيه نيران رشاشاتها على سكان حي "باردو"، كما قامت برمي قنابل يدوية تسببت في قتل العديد من الخيل في الإسطبلات المجاورة، وجرح العديد من السكان.

---

1 - هذه العملية كانت مطابقة تماما لما قامت به الفرقة التي كانت تشرف على الموقع أثناء أحداث 20 أوت 1955

وفي عمليات متفرقة قتل العديد من الرجال وقعوا في فخ هذا العمل الرهيب من طرف ميليشيات تكمن قوتهم في السلاح الناري الذي أهدتهم إياه القوات العسكرية.

في يوم 13 ماي 1956 تواصل العمل ليلا فقتلوا كل من عثروا عليهم بالمقاهي والحمامات، بل وكل من صادف وجوده بالشوارع، فتم قتل أزيد من خمسة عشر رجلا، كما اغتيلت النساء العاملات"الشغالات" المسلمات الموجودات بمنازل الأوروبيين، ولم ينقضي اليوم الثاني حتى كان عدد القتلى 61 قتيلا [1]، وما هذه إلا عينة من الأعمال الوحشية التي يقوم بها الجيش تارة والميليشيات تارة أخرى.

- **أثر إضراب الطلبة في الأعمال الثورية بالمدن:**

تزامنت بداية تكوين خلية الفداء مع الإضراب العام للطلبة الجزائريين عن الدراسة في 19 ماي 1956 [2] ، وهذا امتثالا لنداء جبهة التحرير الوطني، فالتحق العديد منهم بالجبال كجيش عامل، (مجاهدين) والتحق البعض منهم بالمدن كفدائيين، وهذا الفعل سيكون سببا في توقيف المسار العلمي لبعض الطلبة، وسيعطي الثورة قوة، في جوانبها الدبلوماسية، وفي تقوية جبهة التحرير الوطني، بتوفير إطارات الغد، وضمان ترشيد الثورة في صفوف المحافظين السياسيين، وكتاب المناطق والنواحي

---

1. مجلة المجاهد، ج1 ع1، ص31/25.

والأقسام، وكان هذا داعيا لطلب الشهيد بشير شيحاني من الوالد، إرسالي إلى قيادة المنطقة الأولى، لكن بعد أول اتصال من استاذي صالح بوذراع لبيت نداء الكفاح .



بحجر مفروش في جبال القل سنة1957 من اليمين إلى اليسار، مسيكة زيزة ومريم بوعتورة

- **نظام الفداء بالمنطقة الخامسة بعد اجتماع لجنة التنسيق نوفمبر1958 :**

عرفنا التنظيم العسكري للثورة التحريرية الكبرى، بتراتبيته، بدءا من الجندي البسيط الذي يطلق عليه اسم المجاهد، إلى الصاغ الثاني (العقيد) وهو القائد العام العسكري

والسياسي للولاية [1]، ومجالات نشاطاته وتسليحه في المناطق الأربعة، ثم بالولاية الثانية، فإن المنطقة الخامسة التي تميزت بتنظيم خاص ودقيق، قد رتبت في خانة المدن التي لم يشن هجوم فيها عند اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954، إذا ما استثنينا مدينة "الخروب" وهي ضاحية من ضواحيها، التي كانت مع التاريخ في أول نوفمبر تحت قيادة الشهيدين بشيرشيحاني وبشير حجاج، بينما اكتفت مدينة قسنطينة بتوزيع بيان نوفمبر 1954، والاتصال بمناضلي الحركة الوطنية بصفة عامة من أجل إعلامهم بمصدر التنظيم، وايضاح سبب اعتماد رفاق الأمس على السرية في تطبيق قرارات أعضاء مجموعة الستة بالرايس حميدو، بالجزائر العاصمة، قبل أسابيع من ذلك الوقت، مما لم يسمح بتبليغها والاتصال بجميع رفاق النضال بالأمس، وإذا كان للسرية دور هام في تفجير الثورة، فهذه السرية جعلت التشكيلات السياسية باستثناء المصاليين والشيوعيين الذين رفضوا بالأساس الإلتحاق بالثورة - إلاّ من التحق منهم عن قناعة فردية - يتساءلون حول من فجّر الثورة فعليا، وهل للثورة فرصة النجاح؟ مما جعلهم يتريثون ويترقبون قبل الانضمام الفعلي إليها.

---

1 - علي خلاصي، الثورة في الشمال القسنطيني، التنظيمات العسكرية والإدارية، دار الحضارة 2015.

بعد أن خطت الثورة خطوات فعلية بنجاح، فقد كان الجيش العامل بالجبال والبوادي يضمّ عناصر مختلفة من الشباب، شكلوا مبدأ وحدة القضية ووحدة الهدف، وتقوية اللحمة الشعبية، فروّجوا للثورة بالاستعراضات الهادفة والاحتفالات الشعبية، وبتقديم كل الأسلحة التي يغنمها المجاهدون من يد عساكر الجيوش الفرنسية، أو الاسلحة التي تصلهم من الحدود عن طريق الدوريات، فكانت كنوع من الدعاية ورفع لمعنويات الشعب، الذي ينتظر كل نصر، وكل سلاح نوعي، وكل تنظيم جديد، يؤكد على الانتصار في هذه الحرب بغرض تعبئته من جديد لتولي زمام الثورة.

وعلينا أن نوضّح أنّ صفة الفداء تتقسم إلى نوعين:

- **الفدائينن المدنيين** ونعني به الشباب الذين انضموا الى الخلايا الفدائية المتكونة حسب ما ذكرناه سالفا، ويقوم بالأعمال المكلف بتنفيذها بسرية تامة، ويساعده في ذلك أن عناصره غير مشبوه فيهم، فهو يتحرك بأريحية كعامة الشعب دون أن يرتاب منه أحد.

- **الفدائيين العسكريين**: هؤلاء معظمهم من الجبل تطوّع للعمل في المدينة وتُعزّز أفواجهم بامرأة، حيث تتكفّل بالإتصال بالافواج الأخرى أو المناضلين المنخرطين معنا، وإذا اقتضى الحال تستخدم السلاح اذا ما أُجبرت على ذلك، يساعدها في ذلك تسترها بالملاية

والعجار، فهي للمستعمر وجه مبهم، وهذه الفئة من الفدائيين عرفت بعد تشكيل المنطقة الخامسة كما ذكر سلفا.

رغم قلة الأسلحة، تزايدت وتيرة العمليات الفدائية بمدينة قسنطينة منذ هجوم أوت 1955 ، ففي ظرف ثمانية أشهر بلغ عدد العمليات101هجوما بالقنابل، والمسدسات والرشاشات والأسلحة البيضاء، وتزايد معها الضغط على المواطنين من تجار وعمال وقاطنين بالمدينة، فجهزت قوات الأمن كل ما بوسعها للقضاء على التفجيرات المتتابعة، بأماكن الاستجمام والراحة، والمناطق الاقتصادية والعسكرية الهامة ، وكان فشل الحاكم ديبيش«Dupuche» في السيطرة على الأوضاع الأمنية بالمدينة سببا في عودة "موريس بابون" إليها كحاكم للعمالة، وكمفتش عام للإدارة في مهمة خاصة، فاحتلت بذلك المدينة اسم مدينة الفداء.

ومن ناحية ثانية، وكمن يضيف الماء إلى البحر، تدعم أمن قسنطينة بفرق يهودية مسلحة، دعمت بطريقة سرية إداريا، وحصلت على عدة صناديق من الأسلحة أخفيت بشارع فرنسا، المكان الذي سيشهد عمليات فدائية خاصة لاحقا.





الصورة 15 الفدائي والمجاهد يوسف خلاصي بعد اعتقاله من طرف الشرطة الفرنسية.

- **رجال المظلات يأخذون صلاحيات الأمن في المدن الداخلية:**

كما فعلت القوات الفرنسية بمدينة قسنطينة في شهر ماي سنة 1956، وفي الوقت الذي كانت فيه فرق جيش التحرير الوطني تلقن العدو بالشمال القسنطيني درسا قاسيا عن طريق الكمائن والهجومات المفاجئة، لجأت فرقة من رجال المظلات (من ذوي القبعات الحمراء) إلى مدينة قسنطينة، مقر المنطقة الخامسة، في 28 أفريل 1958، - المدينة المحصنة بفرق الشرطة، الجندرمة، ثكنات الجيش، الميليشيات المسلحة، ومراكز الحراسة، بكل مداخل المدينة - وقاموا بجمع كل الرجال الذين عثروا عليهم بشوارع المدينة وساقوهم إلى ساحة "لابريش"، ثم شرعوا في تعذيبهم، إهانتهم بنزع كل الثياب، والسير بهم جريا في الشوارع، عراة حفاة، رافعين أيديهم فوق آذانهم، تشبيها لهم بالحمير، وأمروهم بالنهيق، وبعد عودتهم إلى ساحة الثلمة (لابريش) أمروهم بارتداء الملابس، وطلب ممن فقد شيئا من جيوب ثيابه يصرح

بضياعها، فرفع العديد منهم أيديهم، وعوضا عن استرجاع حاجاتهم تلقوا لكما وركلا وصفعا، وضربا بأعقاب البنادق.

استمرت هذه الممارسات مع كل مواطن مسلم يجدونه بشوارع المدينة بعد الظهر من كل يوم، فيؤخذون إلى ملعب turpin "بن عبد المالك رمضان حاليا" بعد أن يجردونهم من كل ما يملكون، فقد اعترفت صحيفة "برقية قسنطينة " La dépêche de Constantine" أن جنود المظلات ألقوا القبض على 900 مدني جزائري، ولم يظهر لهم أثر[1]، تزامنا مع هذا اتبعت القوات الفرنسية نمطا جديدا للتعامل مع الثوار الذي كان الجيش الفرنسي يربط وجودهم بالأراضي المحرمة، فقبيل انطلاق أيّ عملية بهذه المناطق تسجل أمرية للقوات البرية والجوية الفرنسية لتطبيق قانون الأرض المحروقة، ونقدم ملخصا لما جاء في إحداها، مؤرخة في 20 أوت 1956 م، وتخص الأراضي المحرمة:

- بالإشارة إلى المناطق المحرمة، تعتبر هذه الأراضي فضاء لا يسمح بالعيش فيه، وأن استعمال السلاح المختلف مستمر، (طائرات مدفعيات) .

أما ما يتعلق بالوحدات الأرضية فإن لها الأحكام التالية:

---

1. المجاهد، ج1، ع 24 ص10

يتطلب كل تدخل بهذه المناطق مثل إلقاء قذائف مدفعية (علاوة على القذائف العفوية على أهداف فارة أو هاربة) استصدار طلب موجه إلى الفوج المركب أرض جو[1].

في سنة 1958 أصبح قادة الثورة ينظرون إلى تنظيمهم كأساس لنظام دولة، فبقدر ما توسع تسليح القوات العسكرية الفرنسية من طرف الحلف الأطلسي، بالطائرات والدبابات والشاحنات والأسلحة الخفيفة، التي يمكن أن نقدم عنها قائمة مفصلة بفضل ما توصل إليه جيش التحرير الوطني من غنائم حربية وما جلبه المجندون في صفوف الجيش الفرنسي من الجزائريين الفارين من الخدمة العسكرية، والذين التحقوا بالجبال، وبقدر ما توسعت عمليات الإجرام والقتل التي لخصتها جريدة نيويورك تايمز في عددها ليوم 06 مارس 1957 أن عدد القتلى كل أسبوع يفوق 600 نسمة، أي ما يفوق 28800 قتيل في السنة الواحدة.

و بموازاة مع الوسائل العسكرية المستعملة وتسليح المعمرين الذين كانوا قد شكلوا ميليشيات مسلحة منذ 1945، والأعداد الأخرى بمختلف المدن الجزائرية لتطبيق الأمر الذي أعطاه "لاكوست"، حيث قال: "يجب تأمين الجزائر" أي استعادتها لفرنسا مهما كلفها الثمن: بالتقتيل والتخريب والإبعاد وحرق الغلال، (استراتيجية فرنسا المتّبعة منذ 1832.)

---

1 . خدوسي رابح، ألف صورة وصورة، الجزائر 2007.



مجموعة من المجاهدين غرب منطقة القل سنة 1957(حجر مفروش)

يتوسطهم كريم بلقاسم، وعلاوة بن بعطوش وزيزة مسيكة ومريم بوعتورة ...



من اليسار إلى اليمين وقوفا: علي كافي، كريم بلقاسم، عبد الله بن طوبال،

يوسف بن خدة، أورمضان عواشرية، مصطفى لكحل

الفصل الثالث

تعددت أسماء السجون والمعتقلات
والجلاد واحد

اتخذت قيادة جبهة وجيش التحرير الوطني من كل سجين"بالمؤسسات" العقابية بالجزائر أو بفرنسا، مركزا دعائيا مستقلا، يحكي عن الممارسات السياسية والعرقية والجهوية للإدارة الفرنسية والتي تطبقها على السجناء، كما يحكي عن المعتقلات كمعاهد لتكوين المسجونين سياسيا وثقافيا ورياضيا، وكأن السجن امتياز يناله السجين لتحسين مداركه وتطوير مهاراته، معتمدين على مقولة : "إن قوتنا في إيماننا بقداسة كفاحنا من أجل تحريرالجزائر، وليست في سلاحنا" ومن هذا المنطلق اتخذت الثورة صلابتها واستمراريتها، فان كان المواطن الأعزل حذرا، ذلك انه ذاق بطش المستعمر وتجبره.

بدأت الثورة سرية، وكان تحديد الجهة المسؤولة على انطلاقتها، أمر لازم المنخرطين في الحركة الوطنية الجزائرية بالخارج، يأتون إلى الجزائر لأخذ المعلومات الصحيحة عن الجهة المسؤوله عن الثورة، هل هم المصاليون أم أعضاء جبهة وجيش التحرير الوطني؟ كما كانت مجموعات من المؤمنين بمبادئ الثورة يتوجهون للخارج لإسماع صوتها، حاملين رسائل شفوية أو مكتوبة للمناضلين في الخارج لتوضيح الأمور.

بعد العمل الميداني الذي كنا نقوم به والذي شمل هيكلة وتنظيم الشباب في عمل توعوي، وبعد إلقاء القنبلة في سينما سيرتا، عدت مع حملاوي لجبل الوحش فالتقينا بمن علمت فيما

بعد أن من بينهم القائد يوسف زيغود[1]، رحمه الله، التقينا بالجبل، سألني عن عمري ومستواي الدراسي.

قلت له: 18 سنة [2]، وأنني طالب بمعهد ابن باديس وبالنسبة للفرنسية اتابع دروسي بمدرسة الأهالي المسماة أراغو.

فسألني قائلا: عندما نستقل ماذا تريد أن تكون؟ قلت له مفتش شرطة، فقال لي هل تريد أن تخلف (سيريانو)؟ بقيت جامدا لأني لم أكن أعرف من يقصد، فأنا اعرف سيريانو باسم الوهراني لأنه قدم من هناك وهو بالأصل من كورسيكا، فعلم الشهيد زيغود أني لم أعرف من يقصد، فربّت على كتفي وقال: أنتم رجال الغد المعول عليهم.

1- ولد يوسف زيغود في18 فيفري1921 بالسمندو شمال قسنطينة، زاول تعليمه في الكتاتيب لحفظ القرآن كما درس في المدرسة العمومية ونال شهادة التعليم الابتدائي. انخرط في حزبالشعب الجزائري وعمره 17عاماً، وأصبح المسؤول الأول للحزب" بمدينة عنابة1938"انضمّ للمنظمة الخاصة50/47 ألقت الشرطة القبض عليه بتهمة الانتماء إلى المنظمة الخاصة وسجن إلى غاية شهر أبريل1954 حيثفـرمن سجن عنابة. التحق باللّجنة الثورية للوحدة والعمل وكان إلى جانب ديدوشمراد، قاد المنطقة الثانية التي أصبحت تسمّى الولاية الثانية منذ 1956، بعد مقتل ديدوشمراد، تولى زيغود يوسف خلافته فقام بتنظيم هجمات20أوت1955، عُيّن زيغود عضوا بالمجلس الوطني للثورة الجزائرية مع ترقيته إلى رتبة "عقيد" في جيش التحرير وتأكيده قائداً للولاية الثانية. بعد عودته إلى الولاية الثانية وشروعه في تنفيذ قرارات المؤتمر، سقط زيغود يوسف شهيدا في 23 سبتمبر 1956 وعمره لم يتجاوز35 سنة.

2 - والحقيقة أن سني كان قد تعدى السابعة عشر بقليل، خشيت مصارحته فيعيدني إلى قسنطينة، ويرفض التحاقي بالجبل وأنا ما كنت لأتخلى عن حلمي.

لم أكن أعلم أن محدثي هو القائد الأعلى للولاية الثانية، ولم أكن أعرف التركيبة الإدارية والعسكرية لهذه الولاية، لكني كنت مقتنعا أنه من ذوي الرتب العليا، بل وموازيا أو أعلى رتبة من مسعود بوجريو، قائد ناحية قسنطينة آنذاك، وهذا بسبب ما كان هذا الأخير يوليه من احترام وتقدير، خاصة أني رأيته أمَّ جماعة المجاهدين في الصلاة.

جاءني "اسديرة" وطلب مني استخراج بطاقة شخصية مع تزوير بعض المعلومات، بعدما علم أنّه ليس لدي بطاقة شخصية، وأمرني أن أستعجل في إخراجها لأنني سأكلّف بمهمه خارج الوطن.

توجهت لأبي وطلبت منه ما أمرت به، فظهرت عليه علامات الغبطة والفرح الشديد، لأنه كان يدرك أن مثل هذه المهام ستجعلني أبتعد عن المخاطر.

استعان أبي برئيس الحي، الذي رشاه بالمال - فهو كان عينا من عيون فرنسا، يبلغ الجهات الأمنية بأدق التفاصيل - لتسريع استخراج بطاقة التعريف..

بمجرد حصولي عليها أبلغت اسديرة، فسلّمني رسالتين سريتين، مبعوثتين من القائد عبد اللّه بن طوبال الذي خلف الشهيد زيغود يوسف الى مناضلين قديمين في الحركة الوطنية أحدهما مستقر بمدينة غرونوبل، صاحب مقهى بشارع تري كلواتر "Très-Cloîtres"

ويدعى عبد الرحمن، لم اتذكر لقبه وكان ميصاليا حتى النخاع، وثانيهما مستقر بمدينة نانسي Nancy يدعى رابح خشة، هذا الأخير كان مسؤولا عن جبهة التحرير هناك، فحوَاهُما، أن الثورة ما فجرتها إلاّ جبهة التحرير دون غيرها، وعليكما العمل على اقناع المصياليين وغيرهم من الحركات بهذا، ودعوتهم للالتحاق بالجبهة، والحقيقة أني علمت بهذه التفاصيل لما قرات على رابح خشة -بطلب منه - رسالته لأنه كان شبه أمّي.

تكفل بي رابح خشة من ناحية المأكل والمسكن، فبقيت مدة هناك، قبل أن يعرض علي التستر وراء منصب عمل، فأخبرته بأني مطالب بالعودة إلى الجزائر بمجرد انتهاء المهمة، لن أعصي أوامر القيادة، فلا بد لي أن أعود.

اقمت مع خشة فترة قصيرةعلمت حينها أنهم بنانسي يواجهون عدوين اثنين: المصاليون والبوليس الفرنسي، ويوجد هنا شخص ميصالي يملك مقهى، صديق للبوليس، عرقل أعمالهم كثيرا، وكان السبب في تفكيك خلية قاموا بجهد كبير من أجل إنشائها.

ونحن بصدد التفكير في كيفية العمل مع هذا الخبيث جال بخاطري، كيف لخائن، معروف عند الجميع بعدوانيته وانسياقه وراء دعاية تخدم العدو، يهدد نظام الجبهة، و يحاول أن يبني مجدا على أرواح أبناء جلدته، من أجل مصلحة العدو،

ونظرا لما اكتسبته من تجارب في ميدان الفداء، بدأت تدور في رأسي فكرة التخلص من هذه الجرثومة القاتلة، فبادرت بسؤال رابح خشة: هل لديكم مسدسات، فنظر إلي بتعجب، وقبل أن يقول كلمة قلت له، إذا أردتم أن أقضي على هذا الخائن فأنا مستعد له، وبمجرد القيام بالعملية سأعود إلى الجزائر.

بعد برهة قال لي: سنفكر في الموضوع، لكني أعرض عليك أن تبقى هنا معنا، فالكفاح سواء كان في الجزائر أو هنا فأنت تؤدي نفس الواجب، فقلت له لا أستطيع، لأني مكلف بمهمة فقط.

بقيت أياما في استرخاء تام قبل أن يأتيني بخبر موافقة القيادة على القيام بالعملية، ثم السفر إلى باريس لامتطاء طائرة والعودة إلى الجزائر.

وبخبرة مكتسبة من تنفيذ عمليات الفداء بقسنطينة ذهبت مرات عديدة لمراقبة هذا الخائن مسكنه ومسلكه ومكان جلوسه، وكل معلومة عنه، وكنت أتخير المكان والزمان كي أتفرّد به وأقوم بالعملية، وقد انتهى الأمر بي إلى أن اخترت مساء ما...، وكان يجلس جنب صندوق الدفع، والمكان شبه فارغ، حضرتُ نفسي واقتربت منه فاستخرجت مسدسي65/7، وأطلقت عليه رصاصتين قائلا له هذا جزاؤك يا خبيث، لكن إصابته لم تكن قاتلة، وعدت مباشرة فوجدت عمي رابح خشة ينتظرني في

المقهى وهو في غاية التوتر، فأرجعت له المسدس غير أنه في اليوم الموالي، جاءت الشرطة إلى الحي الذي كان آهلا بالسكان الجزائريين تبحث عني، ليس بالاسم لكن بالمواصفات التي قدمها الخائن الذي كان قد رآني مرات عديدة وبعض الشهود.

هذا ما دفع عمي رابح خشة للاسراع بتعيين أحد الفدائيين للإجهاز على الخائن تجنبا لاحتمال فك نظام جبهة التحرير في نانسي، ثم سارع بارسالي الى احدى مراكز جبهة التحرير بباريس بعدما ناولني رسالة وهي مبعوثة لصاحب مقهى يخبره بموجبها بتسهيل عملية سفري الى خارج حدود فرنسا لأنّ هذا الشخص مبحوث عنه.

وصلت إلى باريس وبحثت عن صاحب المقهى وسلمته الرسالة، فتكفل بي وخصص لي غرفه في الطابق الأول وسألني لو لدي صور شمسية فاجبته بـ: لا، فرافقني إلى مكان تؤخذ الصورة فيه فوريا، وكانت الصور من أجل استخراج وثائق مزورة تسمح لي بالعبور الى حدود ألمانيا بصفة عادية.

مكثت حوالي ثلاثة أيام في انتظار الوثائق و في اليوم الرابع جاءني صاحب المقهى وسألني كيف هي حالتك النفسية؟ وبقاؤك في هذا المكان ألم يحسسك بالضيق، ثم عرض علي النزول الى القاعه العامة لأخذ مشروبات وأكد أن لا أخشى شيئا في مثل هذا الوقت.

فور نزولنا فاجأتنا دورية من رجال الأمن (CRS) فقصدوني مباشرة وطلبوا مني بطاقة التعريف، ثم أخذوني إلى مخفر الشرطة باعتبار أن الأوصاف التي يمتلكونها تنطبق عليّ.

وهنا ورغم هذه الأوصاف التي تنطبق على جل الشباب المغاربي والبرتغالي والإيطالي، يجب أن أطرح سؤالا واحدا لم أجد إجابة عنه وهو: كيف تم الوصول إلي وأنا لم أغادر مخبئي؟ أهي الصدفة فقط؟ أم في الأمر خيانة ؟.

وكما كنا نشاهد في الأفلام البوليسية، فإن عمل الشرطي يحضر قبل أن ينتقل الأفراد من مخفر الشرطة، فبعد أن سلمتهم بطاقة التعريف، وأنا واقف مواجها طاولة الشرب، (Comptoir) ومن دون سابق معرفة توجهوا إلي مباشرة، وأحجموا عن تفتيش بقية الزبائن، مما جعلني أتيهُ في دوامة من التفكير، ألهذا الحد بلغت درجة الخيانة بالأشخاص من أجل لاشيء، ربما هذا ما جعلني أتأكد أني قصدت الشخص الخطأ في الوقت الخطأ، وخاصة بعد أن أخلوا سبيل صاحب المقهى الذي كان يأوي إرهابيا خارجا عن القانون، وهو تواطئ مع إرهابي فار، العمل الذي يعتبر جريمة في نظر القانون.

بعد قراءة الاسم وتاريخ الميلاد، وتأكد بأني ما زلت قاصرا في نظر القانون، إذ لا أبلغ 18 سنة بعد، قرّروا أن يعاملوني معاملة المشبوه فيه كما لو كنت راشدا، أخذوني مكتوف الأيدي،

وعند وصولي أعطوني رقما كتب على لوحة صغيرة فوق الاسم الكامل، وأخذوا لي صورة جانبية وصورة أمامية، بدأ التحقيق معي بأسئلة روتينية، في صيغة سؤال وجواب، وكان هناك راقن يدوّن كل كلمة أقولها:

- من أين أتيت ؟
- من مدينة نانسي.
- متى جئت؟
- أعطيتهم تاريخا سابقا عن حادثة العملية الفدائية.
- لماذا جئت إلى باريس؟
- جئت أبحث عن عمل.
- لماذا لم تبقى في نانسي؟
- لأنني لم أجد بها عملا، ولا أعرف أحدا يساعدني.
- وهل تعرف أشخاصا هنا في باريس؟
- ربما أجد أحدا من مدينة قسنطينة أعرفه لكني لم أعثر عليه.
- ولمَ توجّهت إلى هذا المقهى؟.
- صدفة.
- وهل تعرف أصحاب هذا المقهى
- لا.

لم ترقهم الإجابة، فانتقلوا إلى التعذيب، فقلت لهم تعذبونني وأنا لا أعرف ماذا تريدون مني بالضبط، فقال أحدهم: الآن بدأت تفهم فما عليك إلا أن تعترف بالحقيقة حتى نساعدك على الفهم.

- فقلت الاعتراف بماذا؟

- فقال الشرطي: هل تعرف صاحب المقهى.(...) في نانسي.

- أجبت المقاهي كثيرة... وزرت العديد منها بحثا عن العمل، أو ربما لأعثر على أحد المعارف من مدينة قسنطينة، أي مقهى تقصد؟

- المقهى بالمكان كذا...

- فأجبته بالنفي، لكني أضفت أني ذهبت إليها وربما لمرات عديدة، لكني لا أعرف بها أي شخص، ولا صاحبها.

- فقال الشرطي: يا جبان كيف تطلق النار على شخص ثم تدّعي عدم معرفتك له، وتفرّ الى باريس؟... ثم عاد إلى تعذيبي، والحقيقة أن التعذيب يبقى تعذيبا لكنه في سجون فرنسا يكون أرحم من التعذيب في الجزائر، التعذيب الذي يطبّقه رجال متمرسون، مؤهلون من خريجي مدرسة جان دارك بسكيكدة، بزنزانات مغلقة، بعيدا عن أعين الصحافة..؛ وبعد عملية التعذيب الجسدي، والضغط النفسي، قدموا لي وثيقة الاستماع

للإمضاء، بصمت بالسبابة اليسرى، وتيقنت أنهم سيحولونني إلى أحد السجون مباشرة.

ربما لم يكن تعذيبي شديدا، فالمعني نفّذ فيه حكم الإعدام من بعدي مباشرة، وألقي القبض على أحد المشبوهين من غير المنفذين لهذه العملية أفشى لهم أسماء من قاموا بالعملية دون أن يذكر اسمي لعدم معرفتي، فادخل الشك في نفوسهم مما جعلهم يدخلوني سجن فران[1] « Fresnes» فبقيت هناك مدة التقيت فيها ببعض الأشخاص من فدرالية جبهة التحرير الوطني بفرنسا، وضعوا نظاما لأنفسهم داخل السجن، وكأنّي بهم خارجه، وكان النظام يشمل جميع الجوانب، بل ويرتبط ارتباطا وثيقا بالتنظيم الخارجي، إذ أن أعضاء الجبهة كانوا يرسلون لهم مصروف الجيب ليعينوا أنفسهم داخل السجن، ويعينون لهم محامين للدفاع عنهم باستثنائي أنا، مما جعل البعض يحتاط مني، والشكوك تحوم حولي، عن كوني جبهوي أم مصالي، أو ربّما من المندسين، وقد صرّح لي بهذا شخص كان معي بالزنزانة إذ أنّه بدوره كان قد شك في أمري في البداية.

---

1 - شيد سجن فران بين سنتي 1898/1894 وهو يضم مجموعة من المرافق منها المركز الوطني للتوجيه، جناح لسجن الرجال وجناح للنساء، وجناح آخر مخصص لمن هم في انتظار المحاكمة، كما يضم المؤسسة العمومية للصحة الفرنسية، ويقع السجن جنوب باريس، بممر تويلري، فرين، سيدكس.

بقيت في زنزانتي مع شاب في مثل سني، اسمه عزوز، من البليدة كان قبل دخوله السجن يحترف الملاكمة، وجدت فيه الحماسة، وقد أخبرني عن ظروف إلقاء القبض عليه، إذ لم تكن تختلف في مضمونها عن معظم العمليات التي راح ضحيتها آلاف الرجال، كانت وشاية من أحد المتعاملين مع مصالح الأمن الفرنسية.

وعلى الرغم من الصداقة التي ربطتنا، إلا أنني والحق يقال، لم أصارحه بحقيقتي، وقد تمسكت بكونهم ألقوا علي القبض حسب ادعاء البوليس الفرنسي لأنه كان مبحوث عني، وقد لفقوا تهمة " محاولة اغتيال".

وأشير إلى أنّ الشكوك التي حامت حولي من نزلاء السجن ساعدتني مع الإدارة، فهي كانت تنتظر من يبعث لي مساعدات مثل بقية السجناء، وحتّى أنّه لم يكلّف محامي جبهة التحرير بالدّفاع عني، ولم تكن لدي الإمكانات لتعيين محام، وحتى الإدارة لم تقم بتعيين محام تابع للهيئة الرسمية، فهم كانوا ينتظرون تسفيري إلى سجن نانسي Nancy[1].

1 - يقع سجن نانسي بشارع لابي هالتبورغ، بمقاطعة ماكسفيل، من بين السجون الأثرية، كان يطلق عليه اسم سجن شارل الثالث، شيد سنة1745 بضاحية المدينة لأغراض اقتصادية، ثم حول إلى معتقل سنة 1824 قبل أن يصبح سجنا في 1857، يضم عدة أجنحة للرجال والنساء، بسعة 410 سجين، جدد في بداية هذا القرن.

لم أرد أن أكاتب عمي رابح خشة، الذي أرسلني إلى باريس، حتى لا أكشف أمره، وربما لم يعلم أنه تم إلقاء علي القبض؟ و عندما دخلت سجن نانسي، عينت الإدارة محام من الجهة الرسمية للدفاع عني، بعدما انتظرت مدة تترقب فيها هل جبهة التحرير ستُعيّن محام لي، أو إن كان لدي إمكانات لتعيينه بمفردي، وقد كانت حيثيات القضية لصالحي:

1 - تم تنفيذ الإعدام في الشخص المعني بتاريخ لاحق، مما ترتب عنه عدم مواجهته لي وبالتالي عدم التعرّف علي.

2 - إلقاء القبض على أحد المشبوهين وبعد التعذيب، اعترف عن آخرين، وأعطى أوصافهم ولم أكن من بينهم، فهو لم يكن يعرفني.

3 - عندما دخلت سجن فران، وبعده سجن نانسي، لم يتصل بي أو يراسلني أحد من النظام، ولم أتلقى مساعدة من أحد، وهذا كان مخالفا لتقليد جبهة التحرير في التعامل مع المسجونين، وهذا سببا في دخول الشك بانفسهم لعدم حصولهم على أدلّة تثبت تورطي.

4 - نحن نعرف أن الأمن يدس دائما أحد عيونه ليتعرف على أسرار المساجين فيخبرعنهم الجهات المختصة ثم يطلق سراحه، وقد احتطت لهذا، فلم أبح بالسر لأحد.

نقلت إلى سجن نانسي قبل المحاكمة، وبقيت به أكثر من سنة، تعرفت فيه على العديد من أقطاب الحركة الوطنية الجزائرية ممن ألقي عليهم القبض، معظمهم كان هنا في الجزائر، لكن بعد الانطلاقة وجدوا أنفسهم في فرنسا لسبب أو لآخر، كنت أظن في البداية أن وضعيتهم كانت مثل وضعيتي، أي جاؤوا للقيام بمهام كلفوا بها، لكنه تبين فيما بعد أن البعض كان قد غادر البلد نتيجة عدم قبولهم تفجير الثورة في هذه الظروف العصيبة، لاعتبارات قد تكون موضوعية، إذا كنا لا نريد أن نراها من زاوية ضيقة، كفقدان السلاح، ونقص التمويل، وأن أعضاء المنظمة الخاصة التي كانت تحضر لانطلاق الثورة قد تم كشفها، وتفرق أعضاؤها، كما لا يمكن أن نوجه إليهم تهما باطلة، أي الفشل، بل كان السبب الأساسي هو أنهم أرادوا المحافظة على الشعب حتى لا يقع فيما وقع فيه من قبل، وأقرب مثال لذلك ما حصل له في الثامن ماي 1945.

كنت أسمع منهم هذه التفسيرات والتبريرات، وكان سني آنذاك لم يسمح لي أن أحلل الأوضاع السياسية، وحتى مشاركتي في الثورة كانت محصورة في العمل الفدائي، وإعادة تنظيم خلايا الفدائيين، ولا أدعي أن ذلك يعمّ مدينة قسنطينة، ولكن في جزء منها وهو حي عوينة الفول، قبل أن توكل إلي

مهمة مكلّف بالاتصال مع مجموعات نافذه في النضال بفرنسا كما ذكرت سابقا.

ما أود أن أقوله عن سجن "نانسي" أني وجدت نفسي في مدرسة تعلمت فيها الكثير من أبجدية النضال والنظام والأخلاق العامة، وتيقنت أننا في قسنطينة لم نكن على دراية بالأمور المرتبطة بالنظام الفدائي أوالتنسيق العملياتي، وإن كان فلم نكن نعرف إلا ما يحيط بنا من هياكل وأهداف، فكنا منفذين لأوامر القيادة الميدانية، ومتابعة أعمال التوعية والتعبئة العامة والتموين والتمويل، وهذا هو المبدأ الأساسي في النظام الفدائي، ومعرفته تنحصر في أعضاء الفوج الذي يشرف عليه, ويجهل تماما الافواج الاخرى التي تنشط في مختلف الأحياء.

كما أذكر أني تعلمت المفهوم العام للسياسة والسياسة التي تتبعها جبهة التحرير الوطني ومن قبلها التشكيلات السياسية المختلفة وكيف ظهرت الخلافات بين الإخوة الأعداء، وحركة الانتصار للحريات الدمقراطية، فمن هذا السجن تشبعت بالإيمان الراسخ أن الحركة الجديدة "جبهة التحرير الوطني" هي الروح الوطنية التي رفعت رؤوس المواطنين الشرفاء، وكانت المفصل الحقيقي ما بين من كانوا يؤمنون بالحل السياسي وبين الذين كانو متيقنين أن فرنسا لا تفهم الا لغة الحديد والنار.

لم تدم عزلتي في سجن نانسي إلا قليلا، فقد اندمجت في مجموعتي، وخاصة بعد أن علموا أني أتيت من الجزائر، ولم أفشي لهم سرا، صاروا يلتفون حولي ويسألونني عن الكثير ممّا عايشته أو عشته بمدينة قسنطينة، حتى إن لم أكن واسع الثقافة فقد ساعدني تعليمي الذي تلقيته أن أنقل الصورة وأتحدّث عن بعض المعطيات السياسية التي مرت وتمر بها الجزائر، من أعمال البطش والقهر إلى عسكرة الإدارة المدنية، إلى تنظيم الحرب والانتقال بها من مفهومها العام إلى مفهومها كثورة على الظلم والطغيان، وعلى كل الرواسب التي علقت بالعادات والتقاليد والأنماط المعيشة لمجتمع حاولت فرنسا أن تغرس فيه ثقافة غير ثقافته، بأفكار ورموز وخصائص لا تمت لمقوماته بصلة، وكان هذا ما يؤمنون به ويشعرون به، فزادت الثقة بيننا، وزادتهم ثقة في النفس والتأكد بأنهم على حق، فمعظمهم كان مصاليا ثم تحول إلى جبهة التحرير الوطني، بعضهم كان مُشكّكا في الطريق الجديد الذي أتخذه، وكانت لهذه اللقاءات اليومية تحولا جذريا في قناعتهم، واتضحت الأمور أمامهم، وأصبحوا أكثر اطّلاعا على ما يجري في الجزائر.

مكثت بسجن نانسي أكثر من سنة قبل المحاكمة، ولأسباب أجهلها، وحتى لا أشكل لهم عبئا ثقيلا قرروا مقاضاتي

ومواصلة سجني مهما كانت نتيجة الحكم، ورغم أن المحامي الرسمي كان مدركا بأني غير مذنب، وأن جميع الأدلة والقرائن في فائدتي، ومادمت قد أمضيت أكثر من سنة بالسجن فقد اقتطعوها من حياتي المدنية كجنحة، لتبرير بقائي في السجن على ذمة التحقيق والاستقصاء، وحتى لا أطالب بالتعويض عن المدة التي كنت موقوفا فيها، فرحت بالحكم، وكنت أظن بأني قضيت السنة، وغدا أخرج من السجن، لكني فوجئت بنقلي من سجن نانسي إلى سجن آخر هو سجن "ليموج"[1].

بعد دخولي مباشرة التقى بي المفتش العام للسجن وسألني هل أنت معالحركة الوطنية الجزائرية (MNA)، أو أنت مع جبهة التحرير الوطني (FLN) وذلك لتجنب الصدام الدائم بين المصاليين وأعضاء جبهة التحرير، الأمرالذي أدّى بي الى أن أطلب منه وضعي مع أعضاء جبهة التحرير الوطني، فالحكم قد أصدر ولم يعد هناك داع لانكاري، كانت المرة الأولى التي تمكنت الإدارة من تحديد علاقتي بالنظام، عن طريق تحايل المفتش علي في السؤال لأني بعدما وضعت في زنزانة انفرادية، لم التقي لا

1 - شيد سجن ليموج سنة 1953 بشارع ونستون تشرشل، ويضم المتهمين أو المحكوم عليهم من الذين لا تتعدى مدة العقوبة سنة واحدة؛ يتسع هذا السجن لحوالي 85 مكانا موزّعين على أربعة أجنحة: جناح مخصص للرجال، وآخر للنساء، وآخر مخصص للأحداث، وجناح لشبه الأحرار.

بهؤلاء ولا بأولئك طيلة مدة مكوثي بهذا السجن حتى عندما كنت أمنح حق الخروج لفترة راحة في فناء السجن أكون لوحدي، لكنني استفدت من هذا الفراغ لمطالعة بعض الكتب، ولم تكن إدارة السجن تبخل علي بها، ومما أتذكر أنني كنت أقرأ لـ"ألبير كامي" وخاصة كتابه "الأجنبي"(l'étranger) والذي كان مرجعا مهما في دراساتي العليا بالجامعه بعد الاستقلال ومن كثرة مطالعتي له كدت أحفظه عن ظهر قلب.

بقيت في هذا السجن مدة طويلة قبل أن أنقل إلى معتقل "سان موريس لاردواز"[1]، فوجدت هناك كثيرا من مناضلي جبهة التحرير الوطني، ومن بينهم عبد العزيز بكة، والأستاذ مزيان والشهيد عبد السلام بخوش الذي رافقني في حياتي النضالية فيما بعد، فكان هذا المعتقل الحديث بمثابة مدرسة حقيقية لجميع التنظيمات الإدارية والاجتماعية، فكل ما يتلقاه المعتقلون يخضع للتجميع في مكان واحد ثم يقسم على مختلف المعتقلين، في عمل تضامني هادف.

وكانت اللجنة تهتم بالشؤون الثقافية، فكانت تعين المتعلّمين كي يتولوا تدريس المعتقلين، سواء باللغة العربية أو الفرنسية، بل

1 - يقع معتقل سان موريس لاردواز بضاحية سانلوران ديزارب، Saint lorans des Arbres كان مركزا عسكريا أثناء الحرب العالمية الثانية، لكن حول إلى معتقل للوطنيين الجزائريين ابتداء من سنة 1957، وضم 400 من جبهة التحرير الوطني، و200 من الحركة الوطنية الجزائرية، و100 من سجناء الحق العام.

وكانوا يدرسون حتى بعض اللغات الأخرى، لمن يريد ، كالألمانية مثلا.

كما كانت تُعنى بالشؤون الرياضية ، حيث أنشأت شبه فرق تنافسية، تلعب في ساحة مهيأة بالمعتقل، وعندما تكون مقابلات هامة يجلب إليها جميع المعتقلين، بما فيهم بعض حراس المعتقل، لاسيما أنه كان هناك بعض اللاعبين المهرة يخلقون الفرجة ويجلبون الفرحة.

وكانت هناك لجنة أخرى مكلفة بالنظام العام، حيث نخضع لقانون انضباطي داخلي واجب الاحترام، كما كانت لجنة الاتصال والتوعية مخصصة لتنظيم وتوجيه الآراء في الشؤون السياسية، والقيام بتحليل بعض المناشير التي تأتيها من خارج المعتقل، والتي تتناول تطورات أوضاع الكفاح التحريري، سواء منه السياسي أو العسكري، فيقوم بعض من المناضلين القدامى بتحليل محتوى هذه المناشير وإبداء رأيهم فيها ، وما يتوقعونه من تطورات مستقبلية بالنسبة للقضية الجزائرية، بالاضافة الى اطلاعنا على بعض الاعمال الثورية التي تقوم بها جبهة التحرير سياسيا وعسكريا.

ومن بين الأفواج التي كانت تفرض الانضباط بين السجناء فوج الصّدام (groupe de choc) مهمته التدخل لفك الصدام وفرض الطاعة ووضع حد لبعض التجاوزات، وعلى الرغم أني كنت من

أعضاء هذا الفوج الذي يخضع المنتسب إليه إلى عدة أسئلة ومراقبة مستمرة، إلا أنني لم أكن على علم بما يقوم به فوج آخر من أجل إيجاد وسيلة للفرار من هذا المعتقل، المحاولة التي باءت بالفشل، وهذا ما جعل الإدارة تنقلنا إلى الجزائر، وتحديدا إلى معتقل أركول[1]. تقرر نقلنا وكان ذلك عن طريق طائرة للشحن، حاصر أعضاء من الحرس المتنقل، المكلفين بالتدخل السريع، والذين يعملون بالتنسيق مع هيئة البحث والأمن، المعتقل وأخرجونا جميعا إلى الساحة التي كانت بمثابة ملعب رياضي صغير، وقاموا بتفتيشنا جميعا، الواحد تلو الآخر، لأنهم كانوا يعتقدون أنهم يحصلون على بعض الأدلة من مختلف جوانبها.

اتخذ القرار لأن نرحل إلى أحد السجون الجزائرية، أو المحتشدات، على أن يكون هذا السجن معروفا عنه باستخدام العنف المفرط ضد المعتقلين، حملونا وأيدينا مغلولة، لم يكن بالطائرة لا كراسي ولا شيء صالح يمكن لأن نتكئ عليه فهي عبارة عن فضاء فارغ، كنا منبطحين على الأرضية، وكلما

---

1 - يقع معتقل أركول بالقرب من مدينة وهران، سمي بسجن أركول تيمنا بالانتصار الذي حققه نابوليون على الجيش النمساوي بمدخل مدينة أركول النمساوية سنة 1796، وكان هذا التقليد الفرنسي يعني الكثير للمواطن وللجندي على حد سواء، ومثل لذلك تسمية منطقة تيغنيف باسم باليكاو نسبة إلى الانتصار الذي حققته الحملة الفرنسي الانجليزية على جيش المانشو بمنطقة باليكاوPalikao والتي تبعد عن بكين جنوبا بحوالي 17 كلم بالصين.

دخلت الطائرة في اضطراب جوي نصير نتمايل يمينا وشمالا، نتلاطم فيما بيننا، أو يوقفنا جانب من جوانب الطائرة، مهما كانت قوة الصدمات، فقد كنا عبارة عن سلع غير مرزمة تتدحرج من مكان إلى آخر.

وبمجرد أن خرجنا من الطائرة، بدأت العصي واعقب البنادق تنهال على رؤوسنا، أركبونا شاحنات وأخذونا مباشرة إلى ساحة المعتقل، حيث أوقفونا للتعارف بيننا وبين أحد الإخوة "مارتان"من أصول اسبانية الذي تلا علينا بعض بنود القانون الداخلي المجحف للمعتقل، وحذّرانا بأن هذا المعتقل لا يشبه معتقلات فرنسا، أو المعتقلات الأخرى، وأقل ما يمكن أن نطلبه منكم هو احترام نظام المعتقل والنهوض صباحا لتحية العلم، ثم أدخلونا مباشرة إلى حجرة مظلمة جعلت خصيصا لبعض الذين تم سجنهم لفترة معينة، وكانت في الحقيقة غرفة مرعبة، تحمل رقم تسعة (9)، لا تراها الشمس أبدا، وكانت العملية مقصودة وهي إخافتنا ثم الرضوخ لأوامرهم.

هذه هي الحقيقة، فعندما خرجنا من تلك الحجرة المظلمة وتمّ تقسيمنا على الغرف، أو المراقد، أطلقت صافرة الإنذار فخرجنا من الغرف مسرعين، ولما طلبوا منا الوقوف لتحية العلم الفرنسي رفضنا الانصياع لهذا، بطبيعة الحال، فاستدعيت فرق الحراسة من طرف الإخوة "مارتان" الاسبانيين المشرفين على المعتقل

فأبرحونا ضربا، ولم يكتفوا بهذا بل واصلوا عملهم ليل نهار، فعندما يريد أحد المعتقلين أن يخرج إلى دورة المياه توجه له نيران حراس المراقب، وقد أصيب العديد بجروح جراء تطاير زجاج المراقد، أو الإصابة بالرصاص الحي "نحن في الجزائر" ولا رادع لقانون ولا لعرف، فالغلبة لمن يمتلك سلاح، فهؤلاء الإخوة مارتان ملكوا السلاح على أرض غير أرضهم، فطبقوه على شعب غير شعبهم أو شعب أسيادهم.

كانت العقوبة تشتد من يوم لآخر، ففي اليوم الموالي طلبوا منا أن ننزع ملابسنا، ونضع الأيدي فوق الرؤوس وننحني لننظف فناء السجن من النفايات عن طريق أفواهنا، والأغرب من ذلك أنهم يذهبون ويكسرون الزجاج في مداخل حجراتنا، ثم يجبروننا على العودة إلى العنابر مسرعين بمجرد إطلاق صفارة الإنذار، ونحن حفاة عراة، ونتيجة للتدافع الذي يسببه إطلاق الرصاص على المتأخرين، يقع مالا تحمد عقباه، ومع ذلك لم نذعن لخريجي مدرسة التعذيب بسكيكدة، ولا تخطيط زبانية المعتقل التي تضع وصفة التعذيب ليلا، داخل أخطر وأبشع معتقل فُتِحَ لتطويع ذوي الرؤوس الخشنة، لاسيما أولائك القادمين من فرنسا، والذين يعرفون الفرق بين سجون فرنسا وسجون الجزائر.

وجدنا في هذا المعتقل مجموعة من المناضلين، والذين لا شك أنهم كانوا ممن لا يرضون الانحناء إلى أوامر المستعمر، أو من

الذين كانوا مسجلين على القوائم الحمراء، كما حصل مع المناضل عيسات إيدير قبل أن ينقل إلى سجن بوسوي، ثم يخرجونه على أساس أنه قضى مدته في المعتقل، لكن تم اغتياله فيما بعد غدرا في إحدى المستشفيات.

وهنا لابد أن أذكر بأن هذا المعتقل كانت المخابرات العسكرية قد اخترقته من قبل بعض ضعفاء النفوس، فكانوا يستمعون إلى إخوانهم في مجالس السر، وما يقال ينقل بأمانة إلى إدارة السجن، غير مبالين بما يقال "من أن المجالس أمانات"، فتلجأ إدارة السجن لعزل المنقول عنهم والمشبوهين إلى الغرفة التاسعة، وهي عبارة عن جهنم في الحياة الدنيا.

ولما بدأت الأمور تهدأ، بدأ يطفو إلى السطح ما يزكم الأنفاس، أي رائحة الخيانة التي تخرج من بين عنابر السجن، وبدأ العقاب الفردي، ومن يقع بيدهم قد ينال ما لم يكن يتصوره على أيدي القتالين والجلادين، فلما اكتشفنا أمرهم احتطنا منهم وعاملناهم بمعاملات بددت شكوكهم، فكوّنا فرقة التأديب متكونة من عدة أشخاص: حسين، من منطقة القبائل، وكان له ثقافة عالية، آنذاك، خريج جامع الزيتونة، وهو من قدماء الحركة الوطنية، ودبش عيسى، وهو من الميلية، ثم موسى مخلوفي، من منطقة باتنة، ومحمد عشي، من سكيكدة، و شيحاني أحمد وهو ابن عم شيحاني بشير، من

الخروب وعبد السلام بخوش وأنا، من مدينة قسنطينة وكنت على رأس هذه الفوج.

كان من مهام هذا الفوج وضع حد لتجاوزات السجناء الذين باعوا ضمائرهم للجلادين، ورفضوا تطبيق قوانين الانضباط التي وضعتها لجنة السجناء عن طريق تلقينهم العقاب المناسب بسبب خياناتهم.

وبمجرد تلقي أربعة منهم ضربا مبرحا، زال الشك من رؤوس الباقي، الشك في ضعف التنظيم، وفي مخرج الصدق لجبهة التحرير الوطني، لكن أحد "المسترجلين" من الجزائر العاصمة، أخذته العزة بالإثم، وبقي متحديا لما يجري، فتمكنا منه بالمغسل، أنا وعيسى دبش، وعبد السلام بخّوش، و أبرحناه ضربا، تركناه في دمه، وعدنا نحو غرفنا، وخيّم الصمت على السجناء، وبعد استنجاده بالحراس، نقل إلى قاعة العلاج، وحاولوا الكشف على منفذي العملية، فلم يتمكن من الإجابة، لأننا كنا ملثمين، كما أن الظلام حجب عنه ملامحنا، فتمسك بقوله لا أعرف من فعل به هذا.

بعد أن استفاق من إغمائه ولم يتعرف على الفاعل، انتقى زبانية المعتقل مجموعة تتكون من حوالي 20 سجينا كمشتبه فيهم، وكان فوج الصدام كله من بينهم، أدخلونا للغرفة التاسعة لمدة، عقابا لما قام به بعضنا دون تحديد هوية الفاعل.

بهذا المعتقل عرفنا أنواعا من العقوبات تضم وصفات وجداول وألوانا من التعذيب، مورست و طبقت من قبل خريجي مدرسة جان دارك الشهيرة.

بعد مكوثنا في الغرفة التاسعة فترة، تم قرار سماعنا من قبل ضباط علم النفس الفرقة الإدارية المختصة (sas)، حيث كانت تطرح على كل واحد منا ثلاثة أسئلة للإجابة عليها و كانت كالاتي:

1 -هل أنت مع استقلال الجزائر التام من دون تعاون مع فرنسا؟

2 -هل أنت مع استقلال الجزائر مع تعاون فرنسا؟

3 -هل أنت مع بقاء الجزائر فرنسية مندمجة مع فرنسا؟

ولا شك أن هذه الاسئلة كانت بسبب تلك المبادرة التي جاء بها ديغول، وأعلن عنها في 16 سبتمبر 1959 والتي من خلالها كان يمهد حسبه لاقناع الثوار بقبول الاستقلال الداخلي عن طريق التهدئة التي اقترحها على الثوار، وحاول أن يعبر عنها باطلاق سراح بعض المعتقلين كتعبير عن حسن نيته المزعومة.

ولم نكن ندري ما وراء هذه الأسئلة التي أجاب كل واحد منا عليها حسب قناعته و لم نتعرف عن الإجابات لكل واحد منا الا بعد نقلنا الى معتقل "بوسوي" وهو معتقل مشهور لدى مناضلي

الحركات الوطنية منذ الحرب العالمية الثانية، ينقسم هذا المعتقل الكبير الى ثلاثة أسماء كالاتي:

1 - معتقل تحت اسم "صفر" ويضم داخله الذين يطالبون بالاستقلال التام دون حاجة الى معاونة فرنسا، وقد كنتُ من الذين تم ايداعهم في هذا المعتقل.

2 - معتقل تحت اسم رقم واحد ويضمّ داخله الذين يطالبون بالاستقلال بمعاونة فرنسا. "شبه استقلال داخلي".

3 - معتقل تحت اسم رقم واحد مكرر يضم داخله الذين ينفون مشاركتهم في الثورة تماما وينتظرون، إطلاق سراحهم باعتبارهم حسب رايهم مسجونين ظلما.

يضم هذا المعتقل بمختلف تسمياته مختلف المناضلين القدامى سواء من مناضلي حركة الانتصار للحريات الديمقراطية أو من أعضاء جمعية العلماء المسلمين أو من أعضاء الاتحاد العام للعمال الجزائريين ،أو من الطلبة.

فكان من جماعة الانتصار للحريات الديمقراطية : سيد علي عبد الحميد، الذي كان عضوا في المكتب السياسي، وحسن بوجنانة، وسليم راشي، وهما من اقطاب حزب الشعب الجزائري، بالاضافة إلى موسى مخلوفي، وحسين، خريج الزيتونة، والحقيقه إنّهما كانا من المتحمّسين لجعل حركة

الانتصار تطفو على سطح السياسة قبل الاعلان عن الثورة...وغيرهم الكثير.

ومن أعضاء الاتحاد العام للعمال أحمد جغري، عيسات إيدير، والذي لم أنل شرف لقائه، لأنه أخرج قبل وصولي.

ومن الطلبة نذكر: صالح بلقبّي أحد مؤسسي الاتحاد العام للطلبة الجزائريين.

ومن الرياضيين: محمد بن بكير الجناح الأيمن لمولوديه قسنطينة، وعبد الرحمان أبرير، الذي أصبح فيما بعد حارس الفريق الوطني.

والممثلين : حسن الحسني (بوبقرة)

ومن الفنانين :الموسيقار هارون الرشيد

والكثيرين ممن لم أذكر أسماءهم.

أما عن سجناء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين القدماء من أمثال: محمد الشبوكي، ومحمد الصالح بن عتيق، الشيخ عبد القادر الياجوري، والشيخ سحنون والدكتور عروة، عبد القادر، كانوا يملؤون وقت فراغنا بأعمال فنية هادفة، ومن بين هذه الأعمال المسرحية التي مثلت فيها دور البطل الصغير، لأني كنت أصغر المساجين، فهي للشيخ الشبوكي وعنوانها "الشاب الحائر" وملخص مضمونها هو " أن شابا تائها كان يبحث عن كتاب مفقود، في التاريخ القديم ، وكان يتجول بين رفوف

المكتبات ومحلات بيع الكتب، فلم يجده، وأخيرا دخل مكتبة اسمها المكتبة العالمية، كما تقدمه أعلى باب مدخلها، دخل الشاب وهو حائر يمهمه بفمه، يتململ في مشيته وهو يقول: لم أجده...لم أجده... فتقدم إليه صاحب المكتبة وقال له: هل يمكنني مساعدتك؟..ما هو الشيء المفقود الذي لم تجده؟

فرد الشاب وهو حائر: أبحث عن..عن كتاب يتعلق بتاريخ الجزائر..

فقال له المكتبي مقاطعا: لا عليك فهذه المكتبة العالمية بها جل الكتب التي صدرت عن دور النشر في العالم، بل توجد عندنا حتى الكتب التي تصف فيها بلاد الاسكيمو، وعن الحيوانات والنباتات المختلفة في العالم كله.

فقال: آه إذن ناولني كتابا في التاريخ يصور لي وضع الجزائر في ماضيها وحاضرها، والحضارات التي مرت بها، وعن مميزات شعبها وتقاليده الشعبية، وعن كل ما يتعلق بمجتمعها.

ضحك المكتبي ثم تقدم نحوه ببطء وقال له:.. وهل هناك جزائر في أقطاب العالم؟ فالجزائر يا بني هي فرنسا، والكتاب الذي تبحث عنه يمثل فصلا في الكتب الفرنسية التي يوجد منها العدد الكبير.

يلتفت الشاب إلى المكتبي في استغراب وهو يصرخ قائلا: كذبتم والله.. الجزائر ليست فرنسا، ولم تكن فرنسية، ولا تستطيع أن تكون فرنسية حتى لو أراد أصحابها...".

كما كانت تجرى مناظرات بين السجناء، وخاصة بين الإخوة الأعداء سابقا، أي قبل تفجير الثورة، أغلبهم مودعون في كل من المعتقلين الصفر والواحد، كانت تجري المناظرة ما بين بعض أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين - مع أنّ قانونها الداخلي ينص على عدم ممارسة السياسة - وكان على رأسهم محمد الصالح بن عتيق، وبين أعضاء من حركة الانتصار للحريات الديمقراطية وعلى رأسهم موسى مخلوفي، وحسين وغيرهم، لم يكن في الحقيقة هذا الأمر إلا اختلافا في الرؤى عند بعض مناضلي أعضاء حركة الانتصار للحريات الديمقراطية الذين يتباهون أن مفجري الثورة كلهم من أبناء الحركة سابقا، وأنّ الحزب هو الوحيد سليل حزب الشعب الجزائري الذي كان يدعو إلى الاستقلال دون غيره من التشكيلات الأخرى.

يكمن الخلاف الذي كان يُطرح على الساحه بين جمعية العلماء وحركة الانتصار، قبل اعلان الثورة في مجمله، أنّ في نظرهم معظم أعضاء جمعية العلماء تؤازر جماعة حركة الاتحاد الديمقراطي لفرحات عباس، الحزب الذي كان ينافس

حركة الانتصار في الانتخابات وانطلقوا من مقولة صديق عدوي عدوي.

إنّ رزانة الكبار في المناقشة، ورجاحة عقولهم، والهدوء في التعقيب على الأفكار من دون تجريح ولا استعلاء، بل ولا تكذيب صريح، فلكل تشكيلة سياسية أسرارها، ومعطيات عن حيثيات سير هذه الأحزاب، فكان المثقف مثقفا بمعنى الكلمة، وكان البسيط مستمعا جيدا، بينما كان الصغار بمثابة تلاميذ نجباء.

في هذه المناظرة أخذ الكلمة مناضل من حركة الانتصار ووجه التهمة لجمعية العلماء على أساس أنها التحقت بالثورة متأخرة، ثم أنها كانت تؤازر الإندماجيين، ولم تبادر بكلمة الاستقلال منذ نشأتها، وهذه التهمة حركت شعور الشيخ محمد الصالح بن عتيق، ويكشف عن بعض أمور نضاله في صفوف جمعية العلماء كانت من الأسرار، وحتى في كتابه الذي قدم فيه جزء من سيرته، لم يذكرها باعتبار أنها كانت من الأسرار التي لم تذكر، وحتى وإن ذكرت آنذاك قد تجد لأصحابها مشاكل هم في غنى عنها، ولذا رد على صاحبه بهدوء ورزانة قائلا: لابد أن تعرف أن جمعية العلماء قامت على أيدي رجال كان لهم باع طويل في الحركة الإصلاحية من خلال وجودهم بالمشرق، ولذا نجد أن معظمهم قد شرب من لبنها، وأن فلسفة

جمعية العلماء هي توجيه وعي الشعب وإيقاظه من خطر الانحرافات والشعوذة التي تنافست بعض الزوايا الشعبية على التفنن فيها، بتشجيع من السلطات الفرنسية التي كانت تتعامل مع بعضها، مقابل خدمات أقلها جعل الشعب يعيش في جهل أعمى، معتبرا الخرافات هي التراث الديني، جاعلا من الولي وسيطا روحيا، قادرا على خلق المعجزات.

لقد كان هدف جمعية العلماء المسلمين هو تخليص الشعب من الانحرافات الاجتماعية والروحية، وخاصة الشعوذة والخرافات، وجعله يعيش واقع المجتمع الإسلامي بحلوه ومره، ولذا سطرت الجمعية أهدافها المرتكزة على التربية والتعليم والتوعية حتى يصبح قادرا على التكفل بنفسه من خلال معرفته لقيمة الحرية.

فعن سبب عدم تنصيصها على العمل السياسي في برنامجها، ذلك لأنها كانت ترى بأن العمل السياسي سوف يعيق أهدافها المستقبلية، لأن الإدارة الفرنسية في الجزائر كانت تتربص بكل من ينشئ تنظيما يسيء إلى سياستها، وبالتالي تفرض حلها، وحجتها في ذلك تلك الصحف العديدة منها "المنتقد"،"السنّة المحمدية "الشريعة" "الصراط السوي" التي كانت تنشرها وأوقفتها فرنسا الواحدة تلو الأخرى.

أما عن عدم المطالبة بالاستقلال، فقد أضاف الشيخ بن عتيق بقوله: أعلم أن ابن باديس كان يحضر لتفجير الثورة منذ سنة 1938، وأنا شاهد على ذلك، فعندما كنت أدير مدرسة تابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمدينة الميلية، وأنا موجود بمنزلي مساء فإذا بالباب يدق، خرجت لأرى من الطارق، فإذا بي أجد الشيخ عبد الحميد بن باديس صحبة شخص لم أعرفه آنذاك، اتضح لي لاحقا أنه أحمد بوشمال، سلمت عليهما ثم دعوتهما للدخول إلى المنزل للاستراحة، فاعتذر الشيخ واخذني من يدي وانفرد بي في زاوية ثم سألني عن أحوالي وأحوال الجهة، فقلت بخير إن شاء الله، ثم بادرني مباشرة قائلا: " يا شيخ أود أن أطرح عليك سؤالا بغاية السرية ضروري أن تجيبني بكل صراحة.

ما رأيك يا شيخ لو أعلنا الجهاد؟ هل هذه الجهة ستقف بجانبنا أم لا؟ فأجبت، فورا بالرغم من دهشتي من السؤال: وهل من شك يا سيدي الفاضل في هذه الجهة التي دفعت الضريبة برفض الاستعمار، حيث فضلت الجهل والأمية على تعلم لغة العدو في معظم دواويرها؟.

ابتسم ابن باديس وابتهج ثم صافحني واعتذر عن الدعوة لدخول المنزل، ثم امتطيا السيارة وعادا من حيث أتيا، وبعد مدة التقيت بزميل لي كان رئيس مدرسة تابعة لجمعية العلماء بمدينة

ببسكرة، وبعد أن تجاذبنا الحديث أسر لي أن ابن باديس قد زاره وذكر له ما قد ذكره لي قبلا .

وبعد مدة استدعينا لاجتماع ضيق في مكان ما بقسنطينة، وكان عدد الحاضرين محدودا، وكانت أول مرة صارحنا ابن باديس بمخططه السري الذي كان في نيته باعلان الجهاد ضد فرنسا وربطها بحدث - خلافا لما يعتقده البعض أنّه يتربص قيام الحرب العالمية الثانية، وأن كان هذا حقيقة في مجمله فإنّه قال سوف نستغل فرصة إعلان حرب إيطاليا وفرنسا بسبب "التشاد"، - كما كانت تهدد ايطاليا بذلك على الدوام لاحتلال التشاد - والسبب أنه عندما تم انعقاد اجتماع عصبة الأمم بعد نهاية الحرب العالمية الأولى بقصر فرساي سنة 1919، تم تقسيم العالم الضعيف بين الدول الكبرى، وقد رأت ايطاليا نفسها محرومة من حقها في بعض المستعمرات كالتشاد، حتى تستعيد بعض الاعتبار لها، غير أن فرنسا كانت ترفض ذلك وبقوة مما قد يؤدي بها إلى إعلان الحرب على ايطاليا في حالة ما إذا طبقت تهديدها، وفي هذه الحالة سوف نغتنم الفرصة ونعلن الجهاد ضد فرنسا[1]، ثم أردف ابن عتيق قائلا: ومن جهة أخرى هل تعلم أن

---

1 - وقفت على هذه الحقيقة عندما حضرت اجتماع لجمعية العلماء في نهاية السبعينيات بمدينة قسنطينة، فأكدوا لي هذه القصة بأن ابن باديس

ابن باديس -خلافا لما يعتقده البعض كذلك - هو المبادر لتحضير للمؤتمر الإسلامي سنة 1936 ، فكيف تم ذلك؟

في الفترة ما بين 1925 -1927 كان الحاكم العام للجزائر"فيولات" يتودد للاندماجيين، الذين كانوا يعتقدون أنه يناصر مطلبهم الاندماجي، المتمثل في إعطاء كل جزائري متعلّم أو انخرط في الخدمة العسكرية الجنسية الفرنسية .

في سنة 1936 عند قيام "الحكومة الشعبية"، برئاسة بلوم فيولات -الذي كان أنذاك في الحكومة - قدّم مشروعا تمّت الموافقة عليه عرف فيما بعد باسم مشروع "بلوم فيولات" مما شجع مجموعة المطالبين بالاندماج أمثال: ابن التهامي وفرحات عباس ومحمد الصالح بن جلول وغيرهم، أن يهيؤوا رابطة تذهب لتعرض على حكومة فيوليت مشروع مطالبتها بالاندماج الكامل، وقد رمى مسمع ابن باديس نيّة هذه المجموعة فخشي أن يسمع لها ، في غياب من يدافع على عروبة الجزائر وعدم قبولها للاندماج، فاستبقى الأحداث ووجه دعوات لمختلف التشكيلات السياسية والاجتماعية والثقافية، بما فيها الشيوعية، وعرض عليهم فكرة تأسيس منظمة مؤقتة تكلف بعقد مؤتمر تناقش من خلاله أوضاع الجزائر، وتقدم مطالبها على أن تقتصر مطالب

كان يحضّر لتفجير الثورة بعد أن أتمّ التشاور مع العديد من الفاعلين في الحياة الثقافية والمناضلين.

كل فئة بما تؤمن به، وهذا من خلال تشكيل لجنة خاصة لتطرح المطالب لدى الحكومه الشعبية لفرنسا.

لقد كان يهدف من وراء هذا اللقاء إفشال مخطط الاندماجيين، عن طريق طرح مطالب الإصلاحيين والاستقلاليين، ولا ننسى أن على الرغم من عدم انتشار حركة شمال إفريقيا بالجزائر بالقدر الكافي، إلا أن بعض الأشخاص كانوا يمثلونه في الجزائر، وقد حضروا هذا اللقاء تلبية لدعوة الشيخ ابن باديس، وعين كناطق عن الوفد رسميا "محمد الصالح بن جلول".

وقبل أن يتوجه هذا الوفد الذي يحمل توصيات ملتقى الجزائر، كان ابن باديس قد أرسل الشيخ الفضيل الورتلاني إلى فرنسا لملاقاة زعيم نجم شمال إفريقيا "الحاج مصالي" ليخبره بخطة ابن باديس، التي ترمي الى افشال مطالب الاندماجيين، طلب منه حضور هذا اللقاء مع حكومة بلوم فيوليت، ويشارك مع الوفد وله حق التقدم بمطالب نجم شمال إفريقيا التي تلتقي مع مطالب جمعية العلماء، في المضمون لكي يفشل مخطط مجموعة الاندماجيين، غير أن مصالي رفض العرض بحجة أن هذا الوفد فيه من يطالب بالإدماج.

ورغم محاولة الفضيل الورتلاني إقناعه وإخباره بأن نية ابن باديس هي إفشال العملية التي بادر بها الاندماجيون، ودعم رأي

حزب نجم شمال إفريقيا المطالب بالاستقلال، ومطلب جمعية العلماء بالحفاظ على شخصية الجزائر العربية الإسلامية، وبالطبع هذا لن يروق للحكومة الفرنسية، وعند الفشل نكون قد وضعنا الشعب أمام الأمر الواقع، ونقول له ها هي فرنسا ترفض حتى الاندماج ولم يبقى أمامكم إلا الرفع من سقف المطالب، لأن فرنسا لن ترضى عنكم حتى وإن تجنستم بجنسيتها وتدينتم بدينها.

ورغم الثقافة السياسية، والذكاء الفائق الذي كان عليه الشيخ الورتلاني فقد عاد بخفي حنين كما يقال، مما اضطر ابن باديس أن يرسلني (بن عتيق) إلى مصالي لإقناعه، ظنا منه أنه لم يستوعب كلام الورتلاني الفصيح، لكني أصبت بنفس الخيبة.

استقبل الوفد كما هو معلوم، ونجحت خطة ابن باديس، حيث تم رفض المطالب، لاسيما عندما جاءت مطالب جمعية العلماء بضرورة المحافظة على شخصية الجزائر العربية الإسلامية، وتدريس اللغة العربية كلغة رسمية، وفصل الدين الاسلامي على السلطة مثله مثل الدين المسيحي واليهودي.

عاد الوفد الجزائري إلى أرض الوطن بدون حصوله على أية مطالب فتقرر أن يعقد اجتماع في"الملعب البلدي" بلوزداد حاليا،

ليُطلع المناضلين في مختلف التشكيلات السياسية بما وصل إليه الوفد وهو الفشل، جعلهم في حالة تذمّر.

ويضيف محمد الصالح بن عتيق أن مصالي لما علم بأن الوفد سوف يعقد اجتماعا عاما بالملعب المذكور، غادر فرنسا في باخرة كانت تابعة لأحد المستوطنين المتطرّفين يُدعى تقريبا Delux وحضر يوم عقد الاجتماع في أوت 1936 ، دخل الملعب وتوجه نحو المنصة وطالب بإعطائه الكلمة بعد ما تداول عليها الخطباء الذين كانوا في الوفد وصرحوا للمناضلين أن فرنسا لا نية لها في منح الجزائريين أية مطالب حتى لو كانت هذه المطالب الإدماج.

رفض رئيس الوفد ، محمد الصالح بن جلول، أن يمنح الكلمة لمصالي الحاج الذي حضر الاجتماع فجأة، لكونه رفض عرض الوفد عليه لمَ يريد أن يتدخل اليوم، لكن ابن باديس قام وأخذ الكلمة وقال: أيها الناس..على الرغم من أننا كنا قد عرضنا على السيد مصالي مرافقتنا لزيارة حكومة بلوم فيولات إلا أنه رفض، وعلى الرغم من أن السيد مصالي ليس له اتباع كثيرون في الجزائر، أصر على التدخل، فما يمنعنا من أن نسمع ما يقوله ؟ منحت للسيد مصالي الكلمة فأخذ معه حفنة من تراب الملعب وقال " إن تراب الجزائر غير قابل للاندماج في تراب آخر.. إن الجزائر تطالب باستقلالها .

ومن بين أعضاء الوفد كان الشيخ الطيب العقبي، وكان سليط اللسان فصيحا في خطبه، لكنه قليل المعرفة بمرونة السياسة، فقام بدون إذن وأجابه بنوع من القسوة قائلا: "كذبتم والله" وأعادها ثلاث مرات، لكن أسكته رئيس اللجنة وقد وقعت ضجة بين الحاضرين، وكان معظم الحضور من شيوخ ومحبي جمعية العلماء[1]، وقد انفضّوا عن هذا الاجتماع، إلا أن ابن باديس تدارك الوضع وقال: أيها الناس...أيها الناس، لقد قلت لكم: إنّه وعلى الرغم من أننا عرضنا على السيد مصالي الحضور مع الوفد وقد رفض، لا اتباع كثيرين له في الجزائر تؤازره، فلما طلب مداخلة وافقنا، لكن بالله عليكم، ماذا جاء في كلامه؟ يقول نطالب بالحرية، أيها الحضور من فيكم ومن فينا ومن في العالم من يرفض الحرية؟ وبذلك عاد الهدوء بين أوساط الحضور، قبل أن يتفرّق الجميع.

وأشير هنا الى أن كلام الطيب العقبي في قوله كذبتم والله - بصفة توكيدية -يرمي الى أن مصالي عند المحك تخلى عنّا، وذلك أننا طلبنا منه الحضور في الوفد لافشال برنامج الاندماجيين، بطرح برنامجنا وبرنامجه رفض، والآن يأتي مدّعيا أنّ ترابها غير قابل للاندماج في تراب الاخرين.

1 - ومنهم من أصبح فيما بعد من أقطاب حزب الشعب الجزائري أمثال حسين عسلة .

كانت فرنسا الاستعمارية بالمرصاد دبّرت مؤامرة لتحطيم جمعية العلماء، حيث أمرت أحد تابعيها المدعو عكاشة بقتل مفتي الحنفية في الجزائر، الشيخ كحول، وطلبوا منه عندما يقبض عليه أن يخبرهم بأنّ الشيخ الطيب العقبي، الذي يمثل جمعية العلماء بالعاصمة، والذي كان على خلاف مذهبي مع شيخ الأحناف، هو من أمده بأداة القتل، وأجّره لارتكاب هذه الجريمة، وهكذا حاولت فرنسا أن تلصق هذه الجريمة بجمعية العلماء، باعتباره من المالكية، منافس لمفتي الحنفية، ولوأنهما في الأصل يعودان إلى مذهب واحد هو مذهب السنة.

ألقي القبض على عكّاشة وصرح بما طلبه منه البوليس السري الفرنسي، فألقي القبض على الشيخ العقبي، وقامت جمعية العلماء المسلمين بواجبها بالدفاع عن الشيخ من خلال توكيل محام، ظل الفرنسيون يماطلون في الحكم على الشيخ فتارة يعتقلونه وتارة أخرى يطلقون سراحه .

بدأت الحرب العالمية الثانية تلوح بالأفق، طلب الفرنسيون من جميع الأحزاب والمنظمات والجمعيات بعث رسائل تأييدية لفرنسا في حالة قيام الحرب ضد ألمانيا.

رفضت جمعية العلماء هذا التأييد، بحجة أنهم لا يمتهنون السياسة، كما رفض حزب الشعب الذي تم حلّه في آخر جويلية سنة 1939، الأمر الذي أدى بفرنسا لأن توقف الشيخ العقبي

وتوجه له تهما وفق المواد التي كانت توزع بالمجان على كل من تشك في قيامه بعمليات القتل أو المشاركة فيها وقالوا له سيحكم عليك بموجب المادة 59[1] من القانون الجنائي الفرنسي أنذاك باعتبار أنك محرض وشريك في عملية الاغتيال وبالتالي سيأخذ حكم الإعدام.

عرضوا عليه طريقة لتفادي هذا الحكم بإطلاق سراحه نظير عقد اجتماع طارئ لمكتب جمعية العلماء المسلمين، يعرض على أعضائه توجيه برقية لتأييد سالفة الذكر.

يقول الشيخ محمد الصالح بن عتيق: أن الشيخ الطيب العقبي قد انهارت نفسيته، فطلب اجتماع المكتب، بعد أن نقل إليهم مطلب البوليس السري، وغاب إبن باديس وحضرت الجماعة لكنها رفضت بالأغلبية طلبه، ولم يؤازره إلا محمد السعيد الزاهري، الذي تم اغتياله سنة 1956 بالجزائر العاصمة من قبل الفدائيين بسبب خيانته .

غاب ابن باديس، وحصل الخلاف بين الحاضرين الذين أجلوا الفصل في الموضوع إلى مجيء الشيخ، وبالفعل جاء ابن باديس إلى الجزائر، وعقد اجتماع المكتب تحت رئاسته، ولما علم بحيثيات

1 - وهي المواد 301 -302 والتي تنص على أن كل من يرتكب جريمة قتل يحكم عليه بالإعدام، والمادة 59 تنص على كل من يشارك في ارتكاب جريمة قتل يحكم عليه بنفس الحكم على الفاعل الأصلي.وهي المواد التي أطالت صاحب المذكرات كما سنرى لاحقا.

الموضوع سأل عن رأي الأغلبية، أجابوا بأنها رفضت الطلب وقال لهم: حمدا لك يارب، لو قالت الأغلبية نعم لهاجرت من هذه البلاد من دون رجعة، فرد عليه الشيخ العقبي بقوله: يا ابن باديس، أنت لك أب يحميك، وأنا ليس لي أبا يحميني، أنت ليس لك أولاد ، أما أنا فلي ستة أولاد، وانتهى الاجتماع بهذا الشكل.

لما رأت القاعدة هذا الخلاف، حاول بعض المناضلين أن يصلحوا بين الطرفين، بحضور مجموعة من محبي جمعية العلماء، ودخل ابن باديس مع العقبي وجماعة الصلح، في مقر الجمعية بمقصورة نادي الترّقي بالعاصمة ونظرا للخلاف الحاد بينهما باء الصلح بالفشل.

رفض ابن باديس مراسلة فرنسا، بينما طالب العقبي بإخراجه من مأزق الحكم الذي قد يلحقه بالباطل، وفي هذا الاجتماع قال ابن باديس مقولته الشهيرة للحضور بعد أن خرج غاضبا "أيها الناس، بما فيكم أولائك الذين ينقلون الأخبار إلى أسيادهم، قولوا لفرنسا إنّ ابن باديس كان ضد فرنسا ومازال ضد فرنسا، وسوف يبقى ضد فرنسا، معنى هذا أن ابن باديس صار صديقا لفرنسا، لأنّ فرنسا أصبحت تعرف ماذا يفكر ابن باديس في سريرته" [1].

---

1 - أكد لي صدق هذه الحقيقة الشيخ أحمد حماني والشيخ علي مرحوم، رحمهما الله.

من هنا بدأ ابن باديس يفكر جدّيا في إعلان الجهاد ضد فرنسا، ويبدو أن نواياه قد بلغت مسامع فرنسا مما جعلها تفرض عليه الإقامة الجبرية، ليلازم الفراش مريضا الى غاية التحاقه بالرفيق الأعلى في 16 أفريل 1940، أي بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية بحوالي ستة أشهر، ويعتقد البعض أن موته كان بفعل مندس من فرنسا " احتمال تسميمه".

كانت هذه المناظرة بالنسبة لي ولكلّ من حضرها من المعتقلين بمثابة اثراء ثقافي نضالي معرفي لم يفسد للود قضية، فهو تمّ بمنتهى الديمقراطية، وفيه احترام للرأي والرأي الآخر، برغم أنه ضمّ سجالا بين تشكيلات نشأت قبل الحرب العالمية الثانية ومنها جمعية العلماء، وجماعة من المركزيين لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية، سليلة حزب الشعب، فإن هذا الإختلاف كان يرمي الى الكشف عن حقائق تاريخية من أجل توحيد الصفوف.

كما قال شاعر الثورة مفدي زكريا:

قمنا بحرب الخلاص شتاتا		وسلكنا الطريق المستقيم

ولولا التحام الصفوف وقانا		لكنّا سماسرة مجرمينا

فذاك جيل الثورة الموسوعي الذي كان ملتزما بثوابت وثقافة وطنية أصيلة.

رغم أن الجميع في الأصل يقضي بقوة القانون عقوبته المحددة إلاّ أن معظم المعتقلين كانوا يقضون مدة فوق منطوق الحكم كما تمّ معي.

كنت أخشى أن يصيبني سوء لأني علمت عن طريق بعض الصحف وخاصة برقية قسنطينة la depeche de constantine التي كانت تصلنا بانتظام سريا بأنّ حملاوي الذي يطلق عليه العدو اسم الزئبق قد ألقي عليه القبض في جانفي 1960 في كمين نصب له بحي سيدي مبروك، وأصيب بجروح بالغة وخفت أن يتعرض حملاوي إلى التعذيب ولن يثبت وسيكشف المسؤول عن تجنيده، ومن أمده بالقنبلة التي ألقاها بساحة لابراش، لكن ذلك الخوف الذي انتابني تلاشى بعد أن وصلتنا أخبار عن طريق نفس الصحيفة عن فراره بنفس الشهر مما جعلني اتنفس الصعداء .

حاول الجنرال "دوغول" أن يبرهن عن صدق نواياه المزعومة، فأمر بإطلاق سراح عدد من المساجين، وكنت من بينهم شريطة أن أبقى تحت الإقامة الجبرية، أطلق سراحي في عملية كان دوغول يظن أنها ذكية، لكنها لم تكن محسوبة جيدا، فمن جهة كانت العمليات العسكرية في ما يعرف بعمليات شال على

أشدها[1]، وكان المواطنون يساقون إلى المحتشدات قهرا، بينما كانت فرق جيش التحرير الوطني قد فككت وقسمت على فرق صغيرة، وتمكنت من تفكيك الحشد الكبير لفرق المسح الشامل والتمشيط الدقيق، فزادت عمليات التصفية لعملاء الاستعمار وغلاة المستوطنين ورجال الشرطة، والواقع أن هذا الطرح لم يكن إلا الورقة الثالثة في مخطط الجنرال الذي شمل ثلاثة محاور رئيسية هي:

1- استعمال القوة من أجل الضغط على جيش التحرير ليقبل بما يسمى بالتهدئة، والتي كان يصر عليها دوغول وجند لهذا العمل ما يزيد عن المليون بين عسكري، ورجل أمن، وجيش مساعد، وكان القصد منه هو فصل الشعب عن ثورته، لكن القوة لم تنجح، رغم المخططات الجهنمية التي طبقها قادة الجيش الفرنسي، فمن جهة كانت الأوامر المعطاة لشال أن يقوم بكل ما يستطيع القيام به عن طريق محاصرة الشعب في محتشدات، والقيام بتمشيط الجبال باعتقاده أنه سوف يقضي

---

1 - وهوالمشروع الذي وعد به الجنرال شال القيادة الفرنسية بل والشعب الفرنسي بأنه سيقضى به على الثورة قبل نهاية 1959، بدأ هذا المشروع في شهرفيفري 1959 بإطلاق عملية "التاج"، لفصل الجيش عن الشعب عن طريق التجويع، بعدد من الجيش يفوق 50 ألف جندي، على أرض شبه عارية من الجبال بمنطقة معسكر، وشرع بالعمل بالولاية الخامسة، محاولا القضاء على ولاية كبيرة ومفتوحة على المغرب، ثم تواصل العمل لتشمل الولايات الأخرى.

على قوات جيش التحرير الوطني، وقد شجع "دوغول" على استمرارية مخططه الترهيبي، لاسيما عندما لاحظ استسلام أحد أبطال الثورة المدعو علي حنبلي[1] وكذلك قضية قادة الولاية الرابعة برئاسة صالح زعموم الذي فضل مقابلة دوغول، لأنهم كانوا يثقون في وعوده السلمية عن طريق دعوته "سلم الشجعان" ثم دعوته بالإعلان عن حق تقرير المصير، وهو حق أريد به باطل.

2- المشروع الاجتماعي - اقتصادي، أو ما يسمى بمخطط قسنطينة، والذي لم يفلح كذلك في تهدئة الأمور، لأن الشعب بدأ يستنشق نسمات الحرية، وأن سقف المطالب قد تخطى المقترحات التي لا تزيد عن عملية استرجاع بعض الأراضي المسلوبة، وتوفير بعض مناصب العمل الحقيرة بالإدارة العمومية، وبعض السكنات التي زادت من مشاكل الدولة بعد استرجاع الاستقلال، سكنات هشة، بيوت قصديرية،

---

1 - علي حنبلي، كان على خلاف مع كريم بلقاسم ودخل في انشقاق ثم لجأ عام 1958 مع فيلقه إلى جبال حرابه وسيدي حامد، في أقصى الحدود مع تونس، ولم يتمكن محمدي السعيد (سي ناصر) من القبض عليه في جانفي 1959، ولما اشتد الخناق عليه من طرف ملاحقيه قرر الاستسلام للفرقة الثالثة خيالة، في 21 مارس 1959، أرادت القوات الفرنسية أن تستغل هذا الالتحاق وهم يتجولون به في الأسواق وفي التجمعات، فتكلم إلى الشعب قائلا" أنا قرد لا تسمعوني أنا خائن للثورة، الفرنسيون يستغلونني ويستهزئون بكم، لكنهم، ولما تيقنوا من عدم جدوى التعامل معه قتلوه.

وعمارات بغرف فردية مستقلة، وبناء مصانع لهم عن طريق القروض.

3- تطبيقا لما جاء في بيان ويلسن رئيس الولايات المتحدة سنة 1917، والتي تتضمن 14 نقطة من بينها نقطة تبنتها عصبة الأمم المتحدة على حق جميع الشعوب المستعمرة في تقرير مصيرها، بعد نهاية الحرب .

كان الجنرال "دوغول" قد وعد بالعمل على تطبيق هذا المبدأ منذ 1944 في خطابه بكينشاسا عاصمة الكونغو، وقد صدق مع العديد من الشعوب الإفريقية، التي كانت تتمتع بالحماية، لكن الجزائر مستثناة باعتبارها أرض فرنسية - حسب دستور فرنسا - بحكم أن بها ما يقارب من مليون مستوطن، وما يزيد عن مائتي ألف من أذناب الإدارة الفرنسية ممن باعوا ضمائرهم من أجل امتيازات واهية، ولهذا فلم تكن هذه الورقة من أولويات الجنرال، وفي هذا الموضوع يستحضرني ما جاء في مذكرات دوغول عندما سئل عن أوضاع الجزائريين بعد استرجاع سيادتهم قال: "أتظنون أننا إذا تركناهم يحكمون أنفسهم بأيديهم بأنهم سيكونون بعيدين عنا وعن أعيننا؟..كلا..إنهم يتكلمون لغتنا ويتقاسمون معنا ثقافتنا".

كانت نية قيادة جبهة وجيش التحرير الوطني هي التدرج في التكوين، نظرا لصغر سني، وكانت زيارتي لفرنسا طريقا

لبلوغ مرحلة النضج السياسي والنضج الفكري، فالسلوك المثالي المطبق بالسجون على جميع المحكوم عليهم، هو بمثابة توجيه، توعية وإرشاد، وصهرهم في قالب "النظام".

كانت العملية التي قمت بها بمدينة نانسي بفرنسا، من دون أمر صريح من قيادة الولاية الثانية، التي كنت انتمي إليها نظاميا لأن تواجدي بفرنسا كان محددا في مهمة محددة تعتبر بمثابة عقوبة تحملت مسؤوليتها بالسجون والمعتقلات. فكنت أعزي ذلك لصغر السن، وتعودي على تحييد كل من يسيء للنظام من الخونة، الذين تثبت في حقهم هذه الصفة، فلم أتأثر لكوني بقيت لمدة طويلة وحيدا لا ناصر لي ولا معين.

كنا نتتبع كل ما يجري في الجزائر من أعمال عسكرية، عن طريق الصحافة الفرنسية، وكما ذكرت سالفا طالعنا بجريدة (la depeche de constantine) في عمود بالبنط العريض "رجال الأمن بقسنطينة يلقون القبض على الزئبق حملاوي"، فخيم الصمت على الجماعة التي كانت معي، لأن حملاوي كان يمثل لفرنسا شبحا مرعبا لا يمكن القبض عليه، والوصول إليه الا بوشاية من عيون الاستعمار.

ولما كانت لمصالح الأمن الفرنسية آذان وأعين مكلفة بمتابعة تحركات حملاوي، وصلهم خبر وجوده بالمدينة، وأنه يتنقل بسيارة يقودها بنفسه، وبالفعل فقد كان يوم 08 جانفي 1960

بشارع مرسال بال، بسيدي مبروك، في سيارة رفقة الفدائية بوبة طرودي، بينما كانت سيارة البوليس في دورية للبحث عنه فإذا بالمخبر الذي بداخلها، يعين لهم سيارة حملاوي المتوقفة بانتظار بوبة طرودي، التي كانت تقتني بعض الحاجيات، فاقتربت سيارة البوليس من حملاوي وأطلقوا عليه النار، دون انذار، أصابوه إصابة بالغة، وتمكنت بوبة من الفرار بالأموال والوثائق، بعد سماعها لاطلاق النار والقبض على حملاوي، فهي غير معروفة لدى مصالح الشرطة.

تمكن حملاوي من الهروب في 09 فيفري 1960 بعد أن بقي بين أيدي مصالح الأمن، بالمستشفى ثم بقسم الأمن، مدة شهر وثلاثة أيام تحت التعذيب والاستنطاق، وقد حكى لي قصة فراره والتي سأذكرها بالتفصيل حيث قال:

كنت في الزنزانة أتظاهر أمام أعين الشرطة بانني معطوب، لا استطيع التحرك، وفي غيابهم أقوم بحركات رياضية أعد نفسي وانتظر الوقت المناسب للفرار، وفي يوم، ومن كثرة العذاب المسلط علي وانا اعتقد أن الإخوة على علم بأني أصبحت أسيرا عند العدو، فيحتاطون ويغادرون المكان الذي كنا نلتقي فيه كشفت المكان لهم على هذا الاساس، وأنا على يقين بأنه خال، فإذا بخلية من الفدائيين مجتمعة به، و من بينهم الأخ عاشور رحماني، المدعو الشريف بن عاشور ومحمد مولاي المدعو

محمد المروكي رحمة اللّه عليهما، وقد القي القبض على العائلة التي كانت تأويهم بينما اسفر الاشتباك من الطرف الاخر على قتيلين وأكثر 17 جريح خمسة منهم في حالة خطيرة.

خرجنا يوم 11 فيفري 1960 على الساعة السادسة صباحا، في اتجاه وادي الرمال (لاموريسيار) مكان تمركز الناحية الثالثة من المنطقة الخامسة، وفي حدود الساعة السابعة والنصف طوق العدو المكان تطويقا محكما، فوقع اشتباك عنيف بين خلية الفداء وفرقة الجيش، دام قرابة الساعة من الزمن، وكنت أنا في سيارة عسكرية صغيرة"جييب"، فهلع السائق وترك السيارة وانبطح أرضا خوفا من الرصاص الطائش، مما جعلني أمسك بالمقود وأتوجه نحو نهج اولاد براهم اين تركت السيارة ولجأت الى دار بودماغ، ثم رافقتني الفدائيه المرحومه علجية بسيارة أحد المناضلين، لأختبئ في نهج (26em de ligne)، عند كريكري الزهرة زوجة المجاهد المرحوم جدو رمضان.

أما الأشخاص الذين ذكرت أسماءهم للعدو فكلهم كانوا إما من المترددين، أو لا يؤمنون بالثورة، ولم نتمكن منهم، كانت هذه المعلومات من فم حملاوي رحمة اللّه عليه، ولا شك في أنّه كان صادقا، بعد لقائنا من جديد بعرين أسود الفداء، قسنطينة، قبيل انتقاله إلى الرفيق الأعلى.

الفصل الرابع

عودتي إلى صفوف جيش التحرير الوطني

بمجرد وصولي إلى قسنطينة علمت أنّ أبي كان بالسجن و قد أطلق سراحه هو الآخر بعد مدة من التعذيب واستعمال الحديد بالكي في ساقه وادخال عمود حديد فيها, مما سبب له عاهة رافقته بقية حياته، ومات وهو يعاني من آثار الكي، رحمة اللّه عليه، وكانت التهم الموجهة إليه أن محل بقالته يعتبر صندوق بريد لجماعة المجاهدين ومخبأ للأسلحة والذخيرة. غير انه صمد ولم يفش سرا من اسرار الجبهة، وكان يدفع في كل مرة المال لقاء خروجه.

بمجرد خروجي من السجن، وفرحة الأهل بسلامتي، جاءت أم حملاوي خالتي عقيلة وقالت لي: سأخبر أخاك بخروجك سالما من السجن، فشجّعتها على ذلك لأن قوانين الثورة تقتضي التحاقي بالجبهة في خلال 48 ساعة، كما أخبرت خالتي عقيلة الشهيد عبد الحميد كغوش لكونه قريبا من العائلة وباعتباره أحد من كانوا سببا في تجنيدي رفقة الشهيد صالح بوذراع، وقد كان متمركزا في مكان قريبا منا كما علمت لاحقا.

باركت خروجي، واتصلت بابنها، وابلغتني قائلة: أخوك قد طلب منك لقاءه بمنتصف النهار في المكان الذي عينه بموقف الترامواي بحي (الشالي) على أن تمسك جريدة بيدك اليسرى فيأتيك شخص بكلمة السر يطلب منك الجريدة تعطيها اياه وتتبعه.

بقيت هناك أنتظر مدة تزيد عن أربع ساعات لكن لم يأتي أي رابط للاتصال، فعدت إلى المنزل، فهمت أني كنت تحت المراقبة.

ولمن يتمعن جيدا فيما فعله الشهيد حملاوي سيدرك المغزى، لأنّ الأمور ليست بهذه البساطة بغية ملاقاة حملاوي، الرجل الذي دوخ فرنسا والتي وضعت مكافأة تقدّر حينها بثلاثين مليون فرنك لمن يبلغ عنه أو يأتي برأسه، فكل شيء وارد في ثلاث سنوات غياب، من غسيل مخ وتغيير سيَر وتخلٍّ عن قناعات.

خلافا لما حصل مع الشهيد عبد الحميد كغوش، فبالموازاة كانت خالتي عقيلة، (أم حملاوي)، قد أخبرته بخروجي، فطلب منها إحضاري في الحين، فالتقيت به في مركز بودماغ بنهج بيان في، وهي دار كنا نطلق عليها اسم دار لاسورتي، أي دار رجل الأمن، محاذية للدرج الذي يؤدي إلى عوينة الفول ومقابلة لبيت عمي الساسي.

كانت ترافقه مليكه حمروش وشخص يدعى سي محمد أدخلنا عنده، وقيل لي أنه نفس الشخص المتسبب في اكتشاف خلية كغوش، قد يكون بن يمينة على علم به وبمصيره النهائي.

تبادلنا الحديث ضحك معي كغوش بقوله ها أنت عدت مع حملاوي، لكن في هذه المرة تحت مسؤوليته بعد أن كان هو تحت مسؤوليتك، فقلت له هذا هو قانون الثورة، فأنا محظوظ

لأني عدت لمنصبي السابق، ثم أن حملاوي يستحق كل تقدير فقد أدى دوره بكل امتياز.

لماذا طلبني عبد الحميد؟ لأنه في الحقيقة وقبل التحاقه بالجبل قبل أحداث 20 أوت1955 كان قد التقى بي وأومأ لي بأنه يريدني في شيء مهم لاحقا، وفي الوقت المناسب، من دون الافصاح عن كنة هذا الشيء، فأبديت له استعدادي دون أن أدري بأنه كان من بين قادة أفواج الفداء بقسنطينة، وبعد مدة طويلة علمت أنه ومعلمي صالح بوذراع اللذان كانا وراء تجنيدي عن طريق رجل الاتصال أحسن كلو المدعو اسديرة الألماني..

طلب مني عبد الحميد أن أبقى في مكان إقامتي العائلية حتى يرتب الأمور من أجل إرسالي إلى الجبل، غير أن حملاوي بادر بلقائي في الحين، ولم يعترض على ذلك.

وأنا في محل أبي ومراقب من رئيس الحي التابع لفرنسا، والذي كان - سابقا قد منحني البطاقة المزورة - سلم عليّ وأظهر أنه فرح بخروجي من السجن، فأخرج من جيبه وساما بعلم فرنسي وأراد أن يقلدني أياه، فرفضته، نظر إلي نظرة غير محمودة وانصرف، فأنّبني أبي وقال لي لما فعلت هذا معه؟، سوف يحرّض علينا هؤلاء العساكر المقابلين لنا، فقلت: لم أتحمل عمله الخبيث ولم استسغ أن يقلّدني هذه الوسام وأنا خارج من معتقلاته ومن سجونه.

في الغد جاءت إليّ زهيرة جدو، زوجة المرحوم رمضان جدو، همست لي أن اتبعه، سرت معها حتى وصلنا إلى شارع 26eme de ligne فعرفت أن المنزل منزلها، أين وجدت هناك أخي وصديق صباي حملاوي، رفقة مريم بوعتورة (يسمينة)، وفدائيات أذكر منهن كريكري زهية، ،أخت زهيرة، وسعدة لرقط ووالدتيهما.

تعانقنا كثيرا ثم طلب مني أخي حملاوي أن أقص عليه مغامرتي ومسيرتي النضالية، وسألني عن التهمة التي وجهها لي البوليس حتى بقيت طيلة هذه المدة في السجن؟ فقلت اتهموني بمحاولة اغتيال، فضحك وقال لي: يا وليد عمي الحكاية اتهموك...فقلت له وهل تريد أن أقول لهم أنني من حاول قتله ليحكموا علي بالإعدام؟ كانت دعابة فنحن كنا ومنذ الصغر نحاول دائما أن ندغدغ عواطف بعضنا، ثم طلبت منه أن يكلمني عن نفسه، عن مساره، لأنه أصبح زئبقا...فأخبرني كيف واصل عمله في دعم الخلايا بالفدائيين، أثناء غيابي، وكيف جنّد العديد من الأصدقاء أمثال خالد بوصبيعة، وموسى غدار، وعزوز وحاجي وغيرهم كثير، (معظمهم استشهد، ذلك أن فرق الجيش والأمن الفرنسية كانت تغتال كل من يقع بين أيديها)

أخبرته بأنني لا أريد ان أعود إلى المنزل، لأن مكائد فرنسا كثيرة ولن تترك لي فرصة النجاة، وسوف تغتالني دون أدنى

شك، لا سيما أنني تحت الاقامة الجبرية تفرض علي الإمضاء في مخبر الشرطة كل أسبوع قال لي مداعبا: يا ولد عمي من قال لك أنّك ستعود الى المنزل؟ فقلت له أريد الصعود إلى الجبل، قال لي: تأهب لذلك، وسأنظم لك الالتحاق بالقيادة هناك عند سي مسعود بوجريو الذي يعرفك جيدا للنظر في أمرك خاصة أنّك خارج من السجن.

رافقني الى الجبل الشهيد الشريف طلحة، المدعو بوركايب، وهو أحد مجاهدي الرعيل الأول، وكان يعرفني منذ الصغر، فهو ابن حي عوينة الفول، التحقنا بمقر قيادة المنطقة الخامسة في بني صبيح، حجر مفروش، وبالضبط في جبل الحدادة أين كان يتمركز رئيس المنطقة مسعود بوجريو، المدعو مسعود القسنطيني والذي علمت لاحقا أنه هو من طلب من حملاوي أن يبعث بي بعد خروجي من السجن.

والجدير بالذكر أنه وقعت في هذا المكان معركة سنة 1959 (المعروفة بمعركة بني صبيح الشهيرة) وكان يقود فيها جيش التحرير الشهيد مصطفى فيلالي، دامت المعركة يومين كاملين، وكانت من أكبر العمليات التي خسر فيها الجيش الفرنسي عددا كبيرا من جنوده، لقنهم الشهيد درسا قاسيا خاصة أن جيش التحرير تحت امرته كان مدججا بالسلاح المتطور الذي جلبوه حديثا من تونس آنذاك، وجدت هناك القائد

مسعود بوجريو، ولم يكن معه إلا عمي "لقزاطي" الذي كان مكلفا بالتمويل والتموين، وكاتبه الخاص؛ سألني عن قصتي، ومن كلفني بنقل الرسالتين إلى فرنسا؟، فقلت لا أعلم، ولكن تسلمتها من عند احسن كلو، المدعو اسديرة، فقال لي إنه في تونس، ثم طلب مني أن أكتب له تقريرا مفصلا عن المرحلة التي قضيتها في السجون والمعتقلات، ما بين فرنسا والجزائر، وعن معنويات المساجين والمعتقلين.

بقيت هناك مدة - وبطبيعة الحال عرفت أنني تحت المراقبة، فالنظام الداخلي لجيش التحرير الوطني يفرض على كل من خرج من السجن أن يبقى تحت للمراقبة لمدة معينة لا تقل عن شهر لاحتمال اندساسه من العدو - وبعد فترة، انفرد بي قائد المنطقة سي مسعود بوجريو وقال: لا يجب أن تبقى تحت أعين الشرطة، فبلاشك أن رئيس الحي يكون قد أخبرهم باختفائك فاعتبر نفسك من المبحوث عنهم.

لذا يجب أن تستعد للعودة إلى قسنطينة، كي تتولى المسؤولية كما كنت في السابق، وفي هذه المرة ستكون قطعا أصعب، فعليك أولا أن تبقى مع حملاوي ومريم بوعتورة، حتى تتمكن من الإطلاع على هيكلة النظام هناك، ثم يتعين عليك أن تستعد لتعويض حملاوي، لأنه بعد إصابته أصبح عاجزا عن العمل الميداني، وهذا يحد من قدرته على تحمل المسؤولية بمدينة بحجم

قسنطينة، إضافة فهو المطلوب رقم واحد بالنسبة للفرنسيين، بالمدينة، ثم إن النظام لا يمكنه أن يخسر بطلا بمثل حملاوي، إضافة الى أنك و بحكم صداقتك له، الوحيد الذي باستطاعته أن تسيطر على بعض تصرفاته التي قد تخرج عن إطار المعتاد، هذا ريثما يعود للجبل.

حاولت أن أتملص من هذه المسؤولية التي قد تخرج صديقي من عرينه -هو الأسد الجريح - في أعز مرحلة من انتصاراته المتكررة، شعر سي مسعود بوجريو بما يدور في رأسي، نظر إلي نظرة حادة، وقال بصريح العبارة: هذه هي الأوامر، وما عليك إلا التنفيذ، أنت إبن المدينة، ولا أحد يعرف مفصليتها وأعماقها مثلك.

حضرت نفسي للانتقال لقسنطينة، امتثالا لأوامر القائد سي مسعود، بعدما زودوني بنصائح هامة ومهمة، وتمّ لفت انتباهي إلى أن قسنطينة التي عرفتها سنة 1956 ليست هي قسنطينة سنة 1960 مما يستوجب عليك الحذر اكثر والعمل بحرص وحيطة لكي تؤدي المهمة كما ينبغي، احتط فالعدو يمكنه أن يخترق صفوفكم في أي وقت وبأي وسيلة عن طريق أشد الناس التصاقا بك، واحذر فالعدو على مقربة دائمة منك وأنت لا تدرك.

لكني لا أخشى عليك، فلا شك أن ما مر عليك من محن وتجارب من خلال السجون التي تنقلت بينها، لقنتك الكثير واكسبتك الحكمة، اذهب في معية الله رافقتك السلامة.

رافقت القافلة المتجهة إلى قسنطينة، وبمجرد أن وصلت المدينة، اتصلت بصديقي حملاوي، وسلمته رسالة كان قد أرفقني بها سي مسعود بوجريو، قرأتها على حملاوي شخصيا، وكانت في مجملها: لقد عينت محمد رفيقك في الكفاح لتستعين به وتطلعه على النظام هناك بكل تفاصيله كي يعوضك لاحقا لدى التحاقك بالجبل. ضحك حملاوي فرحا وباركني وهو يقول مداعبا: مبروك عليك يا وليد عمي، ها أنا ذا سوف التحق بالجبل لأخلي لك المكان ولا تنسى أني سأغادر وانا مسؤول عليك.



أسود الجبال، من اليمين إلى اليسار:عمار بن عودة - لخضر بن طبال
العربي بن مهيدي - و زيغود يوسف

بعد غياب قصير قضيته بمختلف السجون والمعتقلات، تسارعت الأمور، وتطورت الأحداث بالولاية الثانية، وخاصة مدينة قسنطينة، فما يلاحظ على الهيكلة الإدارية بمدينة قسنطينة، أنها وبعد أن كانت تابعة للناحية الثالثة، من المنطقة الثانية، وعلى رأسها ديدوش مراد، ثم زيغود يوسف، فبن طبال، وعلي كافي، وآخرهم صالح ببونيدر، المدعو صوت العرب، وكان على عهد علي كافي وباقتراح من مجلس الولاية الثانية، أصبحت مدينة قسنطينة منطقة مستقلة تحمل رقم خمسة، منذ اكتوبر 1958.

بعد أن عدت إلى عملي السابق، ومن أجل الاندماج مع المجموعة النشطة، بدأنا نخطط للقيام بأعمال ميدانية للتأكيد على أن النظام لم يمت، وأن قسنطينة ولادة، فكلما سقط فدائي قامت مجموعة جديدة، ومن الأمور غير المألوفة عند القيادات العسكرية والأمنية الفرنسية، هي وجود عدد من النساء يعملن مع الأفواج، ليس كأعضاء دعم، لكنهن فدائيات يحملن سلاحا، و ينفذن ما يطلب من الجميع، وهذه تعتبر نقلة نوعية في العمل الفدائي، كان أول ما قمت به، وأنا شغوف إلى ذلك، هو تنفيذ عملية تُحدث صدى في أوساط العدو ولا سيما أننا لاحظنا أنّه بعد انتشار قوات شال بالولاية، انخفضت العمليات الفدائية نسبيا، فاقترح عليّ رفيقي حملاوي أن تُرمى

القنبلة في حانة السلام التي تقع أسفل الطابية، وقد كان يرتادها بعض أفراد الشرطة والعساكر.

هيّأت نفسي بيوم قبل العملية دون مساعد، راقبت محيط الحانة جيدا وكان حملاوي قد أمر بعض المناضلين بإحضار القنبلة التي دون شك كانت مخزنة من قبل، وفي اليوم المحدد، بعد خروجي من السجن بشهر أو شهر ونصف، حملت القنبلة بين طيات معطفي وسرت بها الى زقاق (زنقة) ضيق فوق المقهى التي فيها أحد بائعي الشواء، وتظاهرت أنّني أريد اقتناء الشواء وكانت فرصة لأجهزها للانفجار، باعتبار أني كنت مدربا على استعمالها في بداية التحاقي بالثورة كما أسلفت الذكر، ثم عدت وتوجهت الى الحانة مباشرة، وكان وقتها بعد الزوال، وجدت نافذة الحانة مفتوحة فاقتربت بحذر واتكأت بجنبي الأيمن على الحائط ورميت القنبلة بيدي اليمنى في حركة خفيفة وهادئة كي لا الفت الانتباه. وعدت أدراجي بثبات دون أن أثير ارتياب أحد، إلا أن دوي القنبلة جعل الناس يركضون بهلع في كل ناحية، مما ساعدني في زيادة سرعة حركتي فسلكت طريقا غير التي أتيت منها، ومررت بالمعبر المؤدي الى الكورنيش، وهو طريق الولاية والبلدية إلى أن خرجت إلى باب الواد، ثم دخلت رحبة الجمال حتى خرجت إلى السويقة ثم ذهبت

إلى الأربعين شريفا، فرحبة الصوف، وتوجهت مبـــاشرة الى 26eme de ligne أين كان مركزنا.

لم أجد حملاوي في المركز، فقد احتاط وذهب الى مركز معمل الشوط بسيدي مبروك، التابع لمرسالي، ولما تيّقن بأنّ الأمر مرّ بسلام، عاد في المساء فقبّلني وفرح بنجاح العملية فرحا شديدا.

لم أعرف ماذا كانت خسارة العدو جراء هذه العملية إلا لما أعدتُ تمثيلها لاحقا وقد كانت الشرطة ساعتها تتبادل الحديث بينهم على أنّني ارتكبت في حقهم جريمة فادحة تستحق العقاب الشديد .

ذات مرة كنت في اتصال ببعض المناضلين من التجار، ومن بينهم بن لمليّك والذي له متجر لبيع ملابس الاطفال الى يومنا هذا، عدت بعدها الى المركز فإذا بي اجد مع حملاوي ومريم بوعتورة والمجاهد القائد الجديد في المنطقة الخامسة وهو البشير بورغود، وكنت لا أعرفه، لم ألتقي به من قبل، قدّمنا حملاوي لبعضنا باعتباري صديق الصبا والنضال وأنني كنت بالسجن وحالياً خليفته .

كان يعلم بورغود عنّي لأنّه حمل تعليمات - تنفيذا لأوامر القيادة - من أجل الاسراع بالدفع بحملاوي أن يلتحق بالجبل، كان يتماطل في التنفيذ محتجا بأنه ثمة مشاريع لم ينته منها

بعد، والحقيقة أنه ينتظر الوقت المناسب لتنفيذ حكم الاعدام بأحد الخونة الذي لم يتمكن منه إلا بعدما جنّدتُ الشهيد بخوش عبد السلام، الذي قلت عنه سابقا أنّه رافقني من سجن فرنسا إلى معتقل بوسوي واطلق سراحه معي.

وللتاريخ وطيلة ثورة التحرير التي دامت سبع سنوات ونصف، لم يتسنّى لأي مجاهد أن يبقى في المدينة كفدائي لمدة تصل لستة أشهر، على أكثر تقدير فكيف لشخص بقي فيها طيلة أربع سنوات، وقبل أن تنشأ المنطقة الخامسة بنواحيها الثلاث في أكتوبر 1958 كان حملاوي يشرف على قيادة قسنطينة كلها، وفي كثير الأحيان كان يأمر الفدائيين بتفجير القنابل في مختلف أحياء المدينة، بساعة واحدة من منتصف النهار.

كما أنّه جند أكثر عدد من أبنائها، معظمهم التحقوا بالرفيق الأعلى يصعب علي ذكر اسمائهم جميعا، ومن يريد الاطلاع علي أسمائهم العودة الى القائمة الاسمية التي تم تسجيلها من قبل المنظمة الوطنية للمجاهدين خلال الملتقى لكتابة تاريخ الثورة التحريرية بحضور قادة الانفجار، وعلى رأسهم رابح بيطاط أحد اللجنه السداسية، عبد اللّه بن طبال وعمار بن عودة وغيرهم، وذلك سنة 1981 وما بعدها...فحق تسمية قسنطينة بمدينة الفداء.

ومما زاد حقد العدو على حملاوي ومحاولة الاطاحة به بأي ثمن، وقد كان إسمه يثير الرعب في أنفس حتى صغار المستوطنين الذين كانت أمهاتهم تستعمل اسم حملاوي لتخويفهم.

وقد كان مجيء بشير بورغود متأخرا، حيث لم يبقى في المدينة إلا مدة قصيرة، لكن حضوره أربك نوعا ما المجموعة التي صارت تتكون من أربعة أفراد، وفهمنا الحكمة من التركيبة العددية للخلية التي تتكون في الغالب من ثلاثة أفراد، والتي تشمل سرعة التحرك والانسجام بين أفراد الخلية، وضيق نطاق المعلومة والأسرار، لكن بشير كان لبقا ولينا، وفنانا، وكانت معه آلة نفخ "آرمونيكا" يجيد أداء الأناشيد الوطنية ومنها ألحان النشيد الوطني "قسما".

وللأمانة التاريخية أقول أيضا أن المرحومة مليكة حمروش قد عينت في البداية مع الشهيد حملاوي قبل أن يطلبها عبد الحميد كغوش لمرافقته، كما كانت مريم بوعتورة قد تقدمت بطلب التحاقها بمدينة قسنطينة إلى جانب حملاوي، لقد كانت دائما تردد على الجميع: رغم أني أحسنت اختيار العمل في المدينة، وتأقلمت مع الأوضاع إلا أني لم أتعود بعد على ارتداء الملاية(1)

---

1 - الملاية العباية السوداء الذي تتميز بارتدائها المرأة في الشرق الجزائري، وقد حامت حولها العديد من الادعاءات فالبعض يرجعها إلى التأثير الشيعي بحكم أن

والعجار[1]. تعرفت على المناضل رابح جدو، وكان من قدماء مناضلي فدرالية لجبهة التحرير الوطني بفرنسا [2]، فدخل الجزائر واتصل بالنظام، وأصبح هو همزة الوصل بيننا وبين الجماعات الأخرى، وقبل أن يدمج نهائيا، وكما جرت العادة، حملناه القيام بعملية في نهج (بيان فِي)، فقام بها بكل نجاح.

كان المناضل رابح جدو يظن أنه غير مبحوث عنه، وكنا نوصيه أن لا يأمن جانب العدو، فقد يكون متبوعا دون أن يعلم، ولذا وجهناه للالتجاء إلى دار مناضلة تدعى (طيوشة)، كانت

المنطقة كلها كانت منبعا للمذهب الشيعي الاسماعيلي الذي قامت عليه الدولة الفاطمية، والبعض الآخر يدعي أنه جاء للتعبير عن الأسى بعد مقتل صالح باي، والحقيقة تبحث عن باحث في التراث الثقافي.

1 - العجار هو برقع أبيض لستر الوجه، يوضع على الأنف ليغطي الخدين والأنف والفم والرقبة، أي ستر الوجه كله ماعدا العينين والحاجبين.

2 - فدرالية لجبهة التحرير الوطني بفرنسا ، هي التنظيم السياسي والعسكري للجبهة على التراب الفرنسي (1962/1955) تأسست من طرف محمد بوضياف، عملت على إبراز عمل جبهة التحرير الوطني، والتأكيد على كونها الممثل الوحيد للشعب الجزائري، وكانت للمواجهات التي دارت بينها وبين المناوئين لها في 1957 قد خلفت 4000 قتيل و 9000 جريح حسب ما ذكره محمد حربي، ثم تمت تعبئتها من أجل استقلال الجزائر، فقامت بنقل العمل الميداني إلى قلب فرنسا في أوت 1958. و خير ما قامت به هو أنها وفرت استقلالية القرار السياسي للحكومة المؤقتة بما كانت تقدمه من اشتراكات وتبرعات.

على اتصال دائم بنا من أجل الاقامة بدارها ، فآوته، ويبدو أنها أقنعته أنه قد لا يكون من قائمة المبحوث عنهم، وكي تتأكد من هذا ذهبت الى مركز لاصاص برحبة الجمال يدعى مركز بلقلعية ، قدّمت اسمه على أنه أحد أقربائها ستمنحه حق الإقامة معها ، فلم يعترضوا ، وللحيطة مرت عليه أيام لم يكن يبيت عندها ، إلى أن تأكد أن المستعمر لا يأتي الى مسكنها من أجل الرقابة، فأصبح ملازما لهذا المركز.

بدأ حملاوي يطلعني على مجموعة من المناضلين كان يتمركز عندهم، وبالمقابل معظم من كانوا على اتصال دائم به مكلفين بجمع المال، والتموين، والدواء أو بالاتصال ونقل الأخبار، ولا سيما مع جماعة عبد الحميد كغوش وجماعة عمار أرواق .

وبما أن فرنسا بدأت تتقرب من الحكومة المؤقتة عن طريق المفاوضات، إلاّ أنها استمرت بالضغط السياسي والعسكري علينا بغية وصول ديغول الى أهدافه المسّطرة.

وعن المخابئ وأماكن الالتقاء، التي كنا نلتجئ إليها ، أو نتردد عليها ، نذكر على سيبل المثال لا الحصر، معمل المشروبات الغازية "شوط"، التابع لجماعة مرصالي، وبمحاذاته مكان يدعى (champ de course) ساحة لسباق الخيل قبل أن يتحوّل إلى موقع لتعليم قيادة السيارات، فكان وسيلة بالنسبة إلينا للقاء

المناضلين والفدائيين، بحجة السياقة، لأن مجموعة كانت تأتي ثم تذهب لتأتي مجموعة أخرى بعدها، وهي لا تدري أن مجموعة كانت قبلها عندنا، فهو مكان لائق للاتصالات، وإذا طرأت أحداث فيمكن أن نتصرف فيها باحتياط.

كما كان منزل مدير الطفولة المسعفة بسيدي مبروك مركزا ملائما، والمركز الذي كنا تقريبا دائما به هو مسكن "الزهراء كركري"زوجة المجاهد رمضان جدو، وبمنزل أختها زهية، وكذلك منزل جيرانها المنحدرين من قرية بني مسلم بالميلية، والمدعوة سعدة لرقط، وبمنزل فضيلة بحي السويقة أخت قسّوم رمضان رحمة اللّه عليه، المدعو(بتي رمضان)، وإقامة بجانب المستشفى الجامعي، وفي الشالي وأماكن أخرى عديدة، ومع ذلك فكرنا في اختيار أماكن أخرى جديدة لا يعرفها الجميع حتى تكون ملائمة عند الحاجة، طبقا لتوصية قائد المنطقة الخامسة مسعود بوجريو.

باعتبار أن المنطقة الخامسة كانت تتكون من ثلاث نواحي، وذلك للضرورة الملّحة ولا سيما بعد مجي شال بمخططه الجهنمي، ولذا كان وجودي مع حملاوي في هذه الفترة ودون مبالغة إضافة، لأنّني وجدت أن النظام يعيش صعوبة في إيجاد فدائيين مدنيين يمكن الاعتماد عليهم من جهة، وأن الاعمال الفدائية كانت تقع من قبل الفدائيين المبحوث عنهم والرابضين

بمحيط مدينة قسنطينة، اذا ما استثنينا رابح جدو الذي كلفناه بالقيام بعمليه فدائية جريئة حتى يصبح موثوقا نفذها بالسلاح الأبيض، بصفة رسمية، قبل أن يُكشف بصفة نهائية وضم بخوش عبد السلام رفيقي في المعتقل.

ومما أشير إليه أن شرطيا جزائريا يدعى الشريف التبسي معروف بقيامه بالأعمال الاجرامية والتقتيل ضد بني جلدته دون رأفة ولا رحمة وكنا في حيرة كيف نصل إليه لنقضي على هذا المجرم لأنه كان يجيد تنقله بكل حذر وحيطة، حتى جاءتنا معلومة بأنّه يرتاد مقهى نزل سيرتا، يعتقد أن الدخول والوصول الى ذلك المكان فيها مخاطرة فالدخول هناك شبه ممنوع على الجزائريين المسلمين إلا من هو مجند بصفوفهم، غير أن حملاوي رحمة اللّه عليه كان بحوزته بدلتين لجنود البارا(المضليين الفرنسيين)، لم ادري كيف تحصل عليهما، وعلى هذا الأساس عرض علي الفكرة قائلا: يا ابن عمي ما بقي علينا إلا ان نلبس البدلتين كي نتمكن من الدخول لهذا المكان علّنا نجده، وبالتالي نرى إذا الجو ملائم للقضاء عليه فورا حتى ان اقتضى الحال استخدام خنجرا كي لا نلفت انتباه أحد من الحضور ونفر سريعا، فنبهته قائلا: تغامر، حركتك الآن

بطيئة، ولا زلت تعاني من اثر الاصابة، الا أنّه أصرّ قائلا: لا تبال بذلك لأنّني سأكون في السير ورائك[1]

اتصل بنا مناضلان دائمي العمل معنا، يعملان في تراماواي قسنطينة، يدعى الأول عبد القادر موساوي، والثاني بشير جدو، المدعو باراط، نسبة إلى اسم مدير شركة النقل التي يعمل بها، أعلمانا أنّ زميلا لهم اسمه بن الخروفي، عميلا للاستعمار، ويملك البطاقة البيضاء، فكان لزاما القضاء على هذا الخائن.

الاشكالية أنّ قيادة المنطقة الخامسة بعثت بتعليمات صارمة ضرورة الاخذ بعين الاعتبار مضامينها تنص على أن تنفيذ حكم الإعدام من الآن فصاعدا لا يكون إلاّ اذا اقتضى الأمر ذلك، وبأسلحة بيضاء حفاظا على الذخيرة التي اصبحت في شحّ على أن تكون الأدلّة دامغة، وإلا توقفوا عن العمليات غير الضرورية إلى إشعار آخر، وقد قرأت أنا الرسالة بحضور حملاوي، ومريم بوعتورة، وبورغود.

طلب مني حملاوي بأن أرافقه للتأكد من حيازة بن الخروفي (للبطاقة البيضاء) الخاصة بالعمل مع رجال الأمن، وكيف يكون ذلك؟ فاقترح علي لباس رجال المظلات من جديد، ونتقدم

---

1 - الشريف التبسي تم القضاء عليه قرب سوق قسنطينة قبل توقيف القتال بأيام قليلة وقد كان يهيء نفسه للحاق بفرنسا، إلا أن الفدائي الذي نفّذ فيه حكم الاعدام فر نحو عوينة الفول عن طريق دروج بن زاهية ودخل المقهى سالف الذكر ظنا منه انه افلت منهم لكنهم كانوا ورائه واعدموه هناك رحمة الله عليه.

إليه في مقر عمله، ونطلب منه أوراقه بنوع من الحزم والزجر، فربما يظهر لنا البطاقة، إذا كانت معه، وهو إثبات بتعاونه مع المصالح الأمنية، وفي هذه المرة كان حملاوي هو الذي يقود سيارة أوزقان عمار.

كان ابن الخروفي يبيع تذاكر الركوب في الترامواي، في جنب مستودع سيطروان، قديما، في باب الوادي، والكشك الذي يعمل فيه يقع بالزاوية، ركبنا سيارة عمي عمار أوزقان، التي كانت دوما تحت تصرفنا.

ولعمي عمار أوزقان حكاية معنا فقد وردتنا اخبار أنه كان عميلا، أعددنا له خطه فجيء به إلينا، في ساحة سباق الخيل بسيدي مبروك، القريبة من الطريق الرابع، وهي اليوم كلها بنايات، غابت اثارها القديمة .

حققنا معه، ولأول وهلة،عرفنا أنه بريء من هذه التهمة، فهو إنسان طيب لكنّه لم يحسن استعمال طيبته، حيث كان يسبق الجيش بالتحية، وهذا نادر ما يكون، فتعرف عليه بعض افراد العساكر فأصبحوا يبادلونه التحية بمجرد أن يشاهدوه، مما جعل البعض يشكون به ويبلغوننا أنهم يشمون فيه رائحة الخيانة.

في بداية التحقيق صفعه حملاوي للضغط عليه، فخرج من أنفه مخاط والتصق بسترتي وكانت هذه البدلة جديدة، نظرت إلى ذلك المخاط ثم قلت: انظر يا حملاوي..لقد لطخت سترتي!!

بمجرد أن نطقت اسم حملاوي حتي أغمي على عمي عمار، فقال حملاوي: هيا نأخذه للواد ونذبحه، فلما سمعه عمي عمار استفاق من جديد وهو يتوسل ويقسم بأنه بريء، التفتت لحملاوي وقلت له دعه فأنا أضمنه لك، فقال لي تضمن فيه لما يجهز علينا ونلتقي بالجنة.

الحقيقة أننا منذ البداية على يقين ببراءته، ولكن كانت العملية لمجرد الضغط عليه فقط، فقلنا له: هل تقبل أن تعمل معنا للتعبيرعن نيتك الصادقة نحو النظام، فأجاب: نعم، لكن نحن عرفنا أنه لن يتحمل صعوبة المهمة، فقلنا له: لا نحتاج منك شيئا، فقط نحتاج إلى سيارتك بين الحين والآخر، وإذا تعرف البوليس عليها فقل بأنها سرقت منك.

هذه قصة عمي عمار التي سمحت لنا باستعارة السيارة كلما دعت الحاجة إلى ذلك، وبعد تنقلنا إلى ابن الخروف أوقفنا السيارة على أمتار قريبة من الكشك، أي وراء (سيطروان) وصلت إليه أولا، وكان حملاوي خلفي، فكلمت بلخروف بالفرنسية طالبا منه أوراقه (tes papiers) فأصيب بذعر وهلع، وأخرج لنا بطاقة "العميل" وهو يقول: أنظر...أنظر، فقرأتها ووجدت فيها أمرا من القيادة العامة للأمن تقول: المطلوب من السلطات المدنية والعسكرية السماح بالمرور والعمل ومساعدة

صاحب هذه البطاقة، في جميع الظروف، وجميع الأوقات، وأن لا يتعرض للأذى.

التفت الى حملاوي فوجدت عينيه الحادتين تكاد أن تنفجرا، وقال لي بانفعال: ولد عمي هذه هي البطاقة هذا عميل، فخشيت أن يفعل له شيئا من دون أن يدري، قلت لبلخروي في باللغة الفرنسية: خذ بطاقتك... وعدنا ادراجنا إلى السيارة، لكن حملاوي لم يتوقف عن القول: هذه هي البطاقة البيضاء التي تسمح لصاحبها فعل أي شيء لصالح رجال الأمن.. سترى فيما بعد...سترى لاحقا.

بعد عسكرة الإدارة الفرنسية بمدينة قسنطينة، تمكنت القوات الأمنية والعسكرية، نتيجة لتكثيف عمليات شال بالولاية، فيما يعرف بعمليات الأحجار الكريمة، وحصارها المحكم للمدينة، مستعينة بمن باعوا ضمائرهم للعدو، ولم يكن الفدائيون يجهلون هذا، فحبل الثورة طويل، مبرم لا ينقطع بسهولة، فكانوا عرضة العقاب من نوع العمل، فامتازت العمليات الميدانية التي كان الفدائيون يقومون بها بواسطة القنابل والمسدسات والأسلحة البيضاء، بل وبإلقاء بعض الخونة من أعلى الجسور إلى قعر وادي الرمال، بالجرأة والسرعة والدقة، لكن الرد كان قاسيا على خلايا الفداء بالمدينة، فمن بين العمليات التي غيرت مجريات الأحداث، (أنظر الجداول الملحقة بهذه المذكرات.)



صورة نادرة للسادة، من اليمين:عبد الحميد كغوش،
داودي سليمان (حملاوي) ، بن عباس

الفصل الخامس

معركة قسنطينة
الدبابة في المعركة بالمدينة

بطولات لم أكن مع حملاوي فيها:

في هذا الصدد سأقوم بذكر غيض من فيض، من المعارك التي قام بها الشهيد حملاوي أثناء غيابي بمعتقلات وسجون فرنسا:

- **معركة جويلية 1958:**

لم تكن القوات الفرنسية لتقوى على التنظيم السري للفداء بمدينة قسنطينة لولا عمل الخونة وعيون الاستعمار التي نصبت في كل مكان، وهنا يستحضرني كلام هتلر عندما سئل عن أحقر الناس الذين تعامل معهم في حياته، فقال: "الذين ساعدوني على احتلال أوطانهم".

فيما يتعلق بعملية جويلية فرغم الاحتياطات التي اتخذتها خلايا الفداء بالمدينة، فإن الأنباء المتواترة على لسان المواطنين الذين يفرحون ويبتهجون لكل عمل بطولي، تلتقط الأخبار وتنقل بكل بساطة إلى الطرف الآخر كعمل شريف، فعلى إثر وشاية حوصر حي باب القنطرة من قبل رجال القبعات الحمر، الحي الذي كانت به مجموعة من الفدائيين بقيادة محمد لوصيف، قائد القسم الثالث في الناحية الثانية، ورغم عنصر المفاجأة، فقد دام الاشتباك بينه وبين فرق الجيش 20 دقيقة، استشهد على إثرها قائد الفوج، وألقي القبض على صاحب المركز فأعدم بينما ألقي القبض على عدد من مناضلي الحي.

معركة 7 -8 جانفي 1960

كانت تفاصيل العملية قد وصلت إلى مجمل وسائل الإعلام، ومنها جريدة المجاهد لسان حال جبهة التحرير الوطني، حيث جاء فيها:" الحملاوي الرجل الزئبق" قدمت أوصافه قائلة: إنه، "سي عز الدين" أو حملاوي، شاب في مقتبل العمر، يبلغ من العمر25 سنة، عرف طفولة بائسة، هي طفولة معظم الجزائريين، فكان في صغره يتردد على أبواب قاعات السينما، بسيرتا، يبيع أحيانا أوراق السينما عسى أن يكسب من ذلك ما يسد به رمقه، ومضى يعيش على هذا النحو الرتيب من حياة كادحة متعبة، هذه الحياة التي طبعت أبناء الجزائر، إلى أن جاءت ثورة 1954 ففتحت في وجهه آفاقا جديدة فازدهرت الحياة بأمل جديد، وبانت في الأفق معالم مستقبل زاهر.

وقعت العملية في7 جانفي 1960 برقم 70 من شارع كليمانصو، حيث حاصرت فرقة من الحرس المتنقل، بقيادة النقيب "غروس" على الساعة منتصف الليل وكان حملاوي ورفيقه رابح مريمش في الطابق الثالث من هذا المبنى، أحكم الحرس المتنقل الحصار فلم يترك لهما فيه منفذا للفرار، وكانت معركة وقف فيها حملاوي ورفيقه وحدهما تجاه فرقة كاملة من الحرس المتنقل، وكانا يطلقان النار على رجال الحرس من أعلى المبنى، وقد ساعدهم ظلام ليلة شتوية طويلة على المناورة، لكنهما وجدا أن

قوات الأمن كثيرة العدد، وأنها تريد الصعود إليهما، ارتقيا إلى سطح المبنى المجاور، وراحا يتنقلان من سطح إلى آخر، لكن شاء القدر أن تنتهي رحلة رابح مريمش ويسقط شهيدا، بينما توارى حملاوي عن الأنظار".

ورغم إفلاته من الحصار، لم يفكر في الخروج من مدينة قسنطينة، بل واصل عمله البطولي بها، وهكذا تم القاء القبض عليه مجروحا كما اشرنا اليه سالفا.

هذه واحدة من المعارك الخاطفة التي أثرت في معنويات الفرق الأمنية العسكرية وشبه العسكرية، المعركة التي عثرنا على نص المراسلة التي بعث المحافظ الرئيسي لقائد القطاع العسكري على سبيل الإعلام والإطلاع[1]، وقد جاء فيها:

المحافظ الرئيسي.

قسنطينة في 09 جانفي1960

المحافظ المركزي، رئيس مقاطعة الأمن العمومي لمدينة قسنطينة رقم 251

السيد العقيد قائد القطاع القسنطيني

الموضوع: محاولة اغتيال– القضاء على إرهابي على إثرعملية بشارع " جورج كليمانصو"

---

1 - الأرشيف الخاص الباحث علال بيتور أستاذ التاريخ ، جامعة الجزائر.

يشرفني أن أحيطكم علما بالمعلومات التالية والمتعلقة بالقضية أعلاه، والمشار إليها في المرجع. ففي ليلة 7 -8 جانفي الراهن، وفي منتصف الليل، أخبرت بمنزلي، من طرف قائد الفرقة المداومة بأن طلقات نارية قد حدثت بشارع ج.كليمانصو، بين الثوار وأعضاء من قوات حفظ الأمن، الطلقات التي نجم عنها إصابة أحد الإرهابيين بجروح خطيرة.

سارعت في الحين بإخطار محافظ الشرطة للمقاطعة الثانية الذي انتقل مباشرة لمكان الواقعة وأخبرني بالعملية التي أسفرت عن الوقائع التالية:

في حدود الساعة 23 و45 قامت فرقة من الجندرمة المتنقلة بتطويق العمارة التي تحمل رقم 70 بشارع ج.كليمانصو، حيث لجأ إرهابيان بالشقة التي يملكها السيد "تابتي عبد الرحمان" بالطابق الأول، تمكن الإرهابيان من الفرار من العمارة واتجها نحو ساحة صربيا ملاحقين من طرف مجموعة رجال الحرس المتحرك، فتمكنا من تبادل عدة طلقات نارية، وتدخل حراس الأمن التابعين لمصلحة الساحة، الذين تم إخطارهم بدورهم، وقام الثوار أيضا بتبادل العديد من الطلقات النارية نحوهم.

وأثناء التراشق بالنيران جرح أحد الثوار وأستند إلى الرصيف من جهة الأعداد الزوجية، مقابل الرقم 112 من شارع "ج. كليمانصو" بينما تمكن المتواطئ معه من الفرار من ساحة

صربيا في اتجاه شارع تيار Thiers كان مسلحا برشاش ويحمل المواصفات التالية:

مسلم، عاري الرأس، يرتدي معطفا من القماش المتين" gabardines" رمادي اللون، من دون أي تحديد آخر.

الجريح، غير محدد الهوية من طرف مصالحي، نقل قبل وصولي لموقع العملية من طرف الحرس المتنقل، وعثر بحوزته على مسدس رشاش نوع ماط 49 رقم 30،211، وثلاث خازنات تم استرجاعها من طرف قوات الحرس.

أثناء تحرياتي، تمكنت من العثور على 3 فشكات فارغة تعود لمسدس نوع 9م/م. و7 فشكات من عيار7.65/مم، ورصاصتين من نوع 9مم، منها واحدة لم يتم صعقها، ورصاصة مهشمة مثل ما عثرعليه بداخل المبنى الكائن برقم 70 بشارع ج.كليمانصو حتى محيط عمارة جريدة "لادبياش دو كونسطانطين"، وعلاوة على هذا تم تفكيك قنبلة منزوعة حلقة الأمان، عثر عليها بسلم الطابق الأول من رقم 70 شارع "ج.كليمانصو" عهدت بها إلى الجندرمي "بارجيس" قائد فرقة المتفجرات الذي أخطرته بنفسي...

تسبب هذا الحادث في تحطيم العديد من زجاج نوافذ العمارات المجاورة، كما أصيبت أثناء تبادل إطلاق النار8 سيارات كانت

مركونة بالجوار كالمعتاد بشارع "ج.كليمانصو"[1] كما قدمت تغطية بالصور للمواقع تحت إشرافي من طرف مصالح التحريات القضائية

انطلقت عملية من طرف رجال الأمن مباشرة من أجل البحث عن الشخص الهارب، واصدر في حقه أمر بالبحث والمتابعة، وزع على مختلف المصالح الأمنية المختصة، كما فتح ملف للتحقيق، وأشعر وكيل الجمهورية بالواقعة.

المرسل إليهم:

- المحفوظات.
- السيد عامل العمالة المفتش العام الجهوي(الديوان)
- السيد محافظ المقاطعة، رئيس مصالح الأمن لناحية الشرق الجزائري
- السيد المحافظ الرئيسي قائد القسم الحضري الشرطة القضائية (المنطقة الثانية)
- السيد المحافظ الرئيسي قائد نيابة قسم المعلومات العامة لقسنطينة.

Jean LALANDE

المحافظ العام جان لالند

1 - ويتعلق الأمر بالسيارات (حدّد اسم السيارة، ورقم تسجيلها، والأضرار التي لحقت بها)

- **معركة 27 أفريل 1960 وسط مدينة قسنطينة:**

في أواخر أيام أفريل، ونحن في مركز"حمزة نايت" -أحد العاملين في الشرطة الفرنسية - طرق الباب، ففتح صاحب الدار ليجد امرأة تكاد تنقطع أنفاسها من البكاء، تطلب ملاقاة "سي عز الدين" أو حملاوي، فعرفنا أنها علجية، من سكان أولاد ابراهم، أو نهج بيان في، كانت مكلفة بالاتصال بيننا وبين عبد الحميد كغوش، لتخبرنا بأن عبد الحميد نال شرف الشهادة، فتجمّد الدم في عروقي وخرّ حملاوي على الأرض وهو يبكي، استعلمنا عن الكيفية التي تمت بها العملية فعرفنا أن القوات العسكرية والأمنية للمدينة قد استفادت من عمل استخباراتي مؤكد، وفي 27 أفريل 1960 طوّقت كتيبة من القلنسوات السود حي سان جان، وسط مدينة قسنطينة بكامله، من باب الواد إلى ساحة الهرم، حي عميروش، أي من الناحية الشمالية الشرقية لكدية عاتي، والناحية الجنوبية من المدينة القديمة، وهذا من أجل القضاء على فرقة عبد الحميد كغوش، مسؤول الناحية الأولى، الذي كان متمركزا مع خليته بالعمارة رقم 03 نهج " لوردو رولان" نشبت معركة بعد منتصف الليل بحوالي 10 دقائق "وتواصلت إلى الساعة الثالثة و45 دقيقة، ونظرا لامتناع أعضاء الخلية من تسليم أنفسهم أحياء، بعد النداءات المتكررة، ترغيبا تارة وترهيبا تارة أخرى، أسفرت على استشهاد كغوش وألقي

القبض على بن يمينة عبد الوهاب، ومليكة حمروش، بعد إصابتهما بجروح، كما توفيت صاحبة المنزل وإبنتها الرضيعة، بينما قتل ثلاثة من رجال القلنسوات السود من بينهم النقيب شوفاني، قائد الوحدة مع رقيب أول و12 جريحا.

في هذه الفترة، وبعد أن أخبرتنا الأخت علجية باستشهاد عبد الحميد كغوش، بدأنا نفكر في وضعنا، حيث أصبحنا أربعة[1]، كان المراد من مجيء بورغود هو خروج حملاوي ليلتحق بالجبل، كما ذكرنا، بأمر من قائد المنطقة مسعود بوجريو؛ فحملاوي بسبب إصابته صار يقيم بالمراكز أكثر الوقت لصعوبة حركته وتنقّله، وكان يحاول المماطلة، فقد استحسن وجودي بجانبه، كما أسرّ هو لي بذلك، لأنه قال لي

1 - وكان لوصول بورغود قصة تكشف عما كان يتمتع به "سي عز الدين" أو حملاوي من هدوء ورزانة ورباطة جأش، هو ما وقع لهم بالطريق الذي سلكوه للوصول إلى قسنطينة، فبينما صعد في سيارة 203 كل من حملاوي، خلف المِقود، و بورغود و يسمينة في الخلف، بينما كان في سيارة ثانية كل من الثنائي عبد القادر موساوي، وبشير جدو، وكانت تسير أمامهم لفتح الطريق، وفجأة ظهر لهم حاجز أمني للحرس المتنقل، فمرت السيارة الأولى من دون مشاكل، بينما استعمل حملاوي برودة أعصابه وعقله في المرور برفع صوت مكبر صوت السيارة للحد الأقصى، بينما لعب كل من بورغود وياسمينة دور العاشقين في الخلف، فأشار للحرس بأضواء السيارة ثم رفع يده في شكل تحية، فمر بسلام، لكنه أخذ الطريق الجانبي ودار حول مسبح سيدي مسيد في اتجاه عوينة الفول.

يوما، كيف تريدني أن أغادر المدينة وأتركك لوحدك هنا بعد أن اجتمعنا ثانية، بالمقابل كان يبررلهم تأخره عن الالتحاق بالجبل بأنّه ثمة أشياء عليه إنهاؤها، أمّا في اعتقادي، فحملاوي كان صعبا عليه مفارقة المدينة بعد أربع سنوات صعاب عاشها بقسنطينة، مما جعل العدو يطلق عليه اسم الزئبق، لكنه لم يكن يعلم ما يخفيه له القدر.

كما كان بشير بورغود حديث الانضمام بنا، وحركته بوسط المدينة لم تكن بالخفة المطلوبة، ذلك أنه غادرقسنطينة منذ فترة طويلة، فمعالم قسنطينة ومداخلها ومخارجها قد اختلفت.

إذن أصبحنا أربعة نتنقل معا، وهذا أمر صعب بمدينة مغلقة، فحملاوي، ونتيجة لإصابته، أصبح عاجزا نسبيا عن التحرك، وبقاؤه بالملاجئ يشكل خطرا آخر، خاصة مع كثرة العيون، والنشاط المكثف للمصالح الأمنية، وكذلك بورغود، كان لا يتحرك كثيرا، بسبب انضمامه حديثا كما ذكرنا.

بقيتُ أتحرك، ولكن باحتياط ، فاسمي أدرج تحت قائمة المبحوث عنهم، وصوري موجودة لديهم، ولم يبقى إلا التحقق من اسمي المستعار، فكنت أغير اسمي فتارة مراد، وتارة أخرى علي، الأمر الذي جعلهم يكتبون اسمي عند فراري من سجن الكدية، فرّ رفيق حملاوي" كشود علي" من السجن، وقد كان محكوما علي بالاعدام

غيابيا حينها بسبب رميي للقنبلة في حانة مقهى السلام، فمن الخيارات التي كنا ننوي اعتمادها هي تقسيم الخلية إلى فوجين، ريثما يلتحق حملاوي بالجبل.

كان سليم راشي[1] رفيقي في معتقل (بوسوي) أطلق سراحه قبل سراحي، وبعد خروجي بفترة التقيته صدفة في شارع فرنسا، استفسرت منه عن أحواله وعمله، فاخبرني أنه محاسب عند صالح توات - أحد مناضلي حركة الانتصار للحريات الديمقراطية ومعرفته بسليم راشي قديمة لانتمائهم لحزب واحد - ، أخبرني أنّ هذا الرجل يملك محلا يبيع فيه الأدوات الكهرومنزلية قريبا من هنا، أي في شارع كاورو (حملاوي حاليا) وهو يسكن في الطابق العلوي لعمارة يقطنها الأوروبيون فقط، بما فيها كومندان بالأمن العسكري CRS (الهيئة الجمهوريه للأمن).

شدّ انتباهي كلامه فعرضت عليه الذهاب لمقهى كي نكمل حديثنا هناك، جلسنا بالمقهى فقلت له مباشرة: سليم صف لي هذا المكان الذي يقطنه توات؟ فقال لي عمارته لها مدخلين، مدخل رئيسي، ومدخل ثان من محله، يوصله مباشرة لمسكنه في الطابق

---

1 - سليم راشي من قدماء مناضلي الحركة الوطنية، ومن أعضاء اللجنة المركزية لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية، وأحد المقربين من مصالي الحاج، وكان بعد الاستقلال رئيسا لبلدية قسنطينة بعد لحسن بوجنانة.

العلوي، شعرت بالحماس الشديد، سألته هل هو متّصل بالنظام؟ فردّ علي أنه غير مطلع على ذلك، وأضاف: لا شك في ذلك فهو من قدماء المناضلين كما تعلم..فابتسمت وقلت له: وأنت يا راشي؟ فأجابني أنت تعلم أني خرجت من السجن منذ مدة وجيزة، وسكت....فقلت له: ها أنا فرصتك اذن..فعرضت عليه مباشرة أن يجس نبض السيد توّات إن كانت له قابلية لاحتضان الفدائيين في داره عند الحاجة.

طلب سي راشي مني مهلة كي يمهد له الموضوع ويعرف موقفه، ابلغني بعدها بموافقة الشخص، وأكثر من هذا بشغفه لملاقاة حملاوي، سألت راشي عن موعد تواجد توّات كل يوم ببيته بعد مغادرة محله، فأخبرني عادة على السابعة، فطلبت منه أن يبقى هو أيضا كل يوم لغاية نفس الوقت، حتى إشعار آخر، وكانت الغاية من طلبي هذا، أنّنا اذا ما قرّرنا الذهاب إلى لقاء صاحب المنزل يتم الأمر فجائيا، وهذا من باب الاحتياط.

أخبرت حملاوي بأنّنا تدّبرنا مركزا جديدا، فذهبنا لمعاينة المكان بالضبط، وخشية من كثافة رجال الاستعلامات وضعنا بعض الاحتياطات التي تسبق التجاءنا اليه.

قررنا إذن وضع خطة للخائن ابن الخروفي، كي نأتي به حي، استعلمنا من زميليه بالعمل عن هواياته وعن نشاطاته اليومية، أخبرانا أنه زير نساء...، نظر حملاوي إليّ وإلى بشير بورغود، فحوّلنا نظرنا

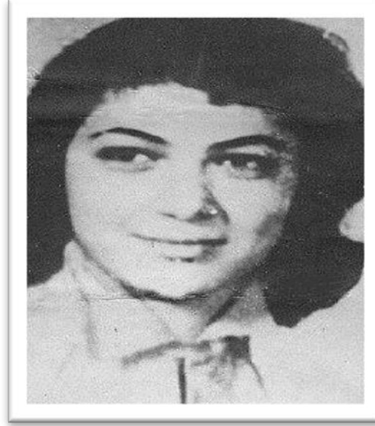
نحن الثلاث نحو يسمينة[1] نظرت بدورها الى حملاوي نظرة حادة، وقالت له: تريدون أن أكون الطعم ؟.سأكون.

لكن كيف ذلك؟ فقال بشير جدو، بلخروي يملك سيارة، ماعليك إلا ارتداء الملاية، وسنخبره أن إمرأة من سطيف لم تجد وسيلة تنقلها، ونعرض عليه ايصالك، فسألتنا قائلة: وعندما أركب أضع له المسدس في صدره وأقوده إلى أين؟ فقال حملاوي: سنبقى هنا، في مكان قريب من واد الحد، فإذا ركبت معه، أخبريه بأنّ لديك لوازم تأخذينها من سيدي مبروك، وأول ما تدخلان ساحة السباق أخرجي مسدسك وأرغميه على القدوم إلينا. وهكذا تمت العملية بالفعل حتى وجد نفسه أمامنا.

لم يكن بلخروي يعرف من نحن، فنحن لا ننادي بعضا بأسمائنا الحقيقية في عمل من هذا النوع، إلا نادرا، بدأنا بتفتيشه فوجدنا عنده البطاقة البيضاء، قلنا له ما هذا؟ فأجاب بأن البوليس أرغمه على حملها، ولكن لم يخبرهم بأي شيء.

---

1 - يسمينة أو ياسمين، هوالاسم الثوري لمريم بوعتورة، ولدت في 17 يناير 1938 في مدينة نقاوس ولاية باتنة، اشتغلت كممرضة في مستشفى سطيف قبل أن تنضم إلى الثوار على مستوى الولاية الثانية سنة1956 بصفتها ممرضة، ساهمت في عدة عمليات فدائية وقد أثبتت من خلالها شجاعة نادرة، ثم كفدائية بالمنطقة الخامسة رفقة حملاوي وكشود وبورغود، استشهدت في ميدان الشرف رفقة حملاوي في 09 جوان 1960 في قسنطينة.



مريم بوعتورة يسمينه قبيل استشهادها

كان موساوي وجدو اللذان بلّغانا يريدان الالتحاق بالجبل، وما دام الصعود إلى الجبل يقتضي القيام بعملية فدائية، توّسلا أن نمدهم بالمسدس للقضاء عليه، ثم الصعود مباشرة إلى الجبل، والحقيقة أننا كنا نخشى من بشير جدو، على أساس أنه جبان ولن يتحمل العذاب لو ألقي عليه القبض، ولذا كنا نريد أن نتخلص منه، عكس موساوي عبد القادر الذي كان يبدو عليه نوع من الرصانة والجرأة، مما جعله يقترح بأن يتولى عملية القضاء عليه، كان بلخروي مكتوف اليدين فأخذ إلى حافة ساقية، و أعطى بشير بورغود مسدسه لموساوي، فتقدم هذا الأخير من الخائن وأطلق النار على رأسه، لكن الرصاصة لم تخرج، لأن المسدس كان مؤمن، مما جعل بلخروي يفك القيد،

من شدة الخوف، ويحاول الفرار، فلحقنا به وأعيد وثاقه، وجهزنا المسدس، فأطلق عليه رصاصة دخلت مفرقه لتخرج من الجهة الاخرى، ثم أطلقت عليه رصاصة ثانية من جبينه خرجت من قفاه، فخر على الأرض مغشيا عليه، فطلبنا من مريم (يسمينة)، باعتبارها امتهنت التمريض قبل وبعد تجنيدها، أن تتأكد من موته فقالت يسمينة لقد فارق الحياة، لكن شاءت الأقدار أن تكتشف مروحية، كانت تطوف بالجوار، جسده وهو ينزف، فتمكنوا من الاعتناء به وأخذه إلى المستشفى.

بعد تنفيذ العملية، ذهب كلّ في اتجاه، حملاوي ويسمينة وبورغود ذهبوا إلى ملجئ مصنع المشروبات الغازية، وأنا كان لي موعد مع بعض المناضلين لتسوية بعض الأمور، ولما عدت علمت أن ممرضة إسمها السيدة داودي، لم أكن أعرفها، أرسلت على جناح السرعة إلى حملاوي تخبره بأن المعني مازال حيا لكنه لا يتكلم، فقال لها: إفعلي ما تستطيعين لإتمام عملية تنفيذ حكم الإعدام، لكن نظرا للحراسة المشددة لم تتمكن من ذلك، وبالتالي سمعته يقول بأن حملاوي ومعه شخص اسمه مراد، وآخر لا أعرفه وامرأة، لكنها لم تقل أنه ذكر اسم بشير جدو وعبد القادر موساوي.

في هذه الحالة طلبنا من موساوي و جدو احتياطا بأن لا يناما بمنزليهما هذه الليلة، ريثما نبعث بهما إلى الجبل يوم غد، أما نحن وحتى لا نترك أي أثر، قررنا أن نبيت في الملجأ الجديد عند صالح

توات، وقررنا الانتقال ليلا من سيدي مبروك بواسطة سيارة عمار أوزقان، التي كنا نتحرك بها تلك الايام.

- **معركة 8 -9 جوان 1960**

عندما خرجنا من ملجأ "شوط"، وكان ذلك في المساء، لاحظت سيارة تسبقنا في السير، وكنت جالسا إلى جوار "سي عز الدين" أو حملاوي وهو يسوق السيارة، بينما يجلس في الخلف كل من بورغود ومريم، فقلت لحملاوي لمن هذه السيارة التي تسير أمامنا؟ فقال لي إنه باراط، يعني به بشير جدو، وموساوي فقلت له: هل أخبرتهما عن المكان الذي نحن إليه ذاهبون؟ فقال لي نعم يا ولد العم، فكيف تسير بلا حماية، أو بدون كشاف، فقد تقع في كمين، فأجبته: نحن في الكمين..وهل يوجد كمين أكثر من الذهاب إلى مكان يعرفه كل الناس، فنظر الي وهو يبتسم وقال لي: أظن ان السجن قد أثر فيك، لم أعرفك مهزوزا من قبل.

ذهبنا من سيدي مبروك، وفي طريقنا أوقف حملاوي السيارة قرب المستشفى المركزي، أمام دار لأحد المناضلين كانت مركزا لناأ وناداه فخرج صاحب الدار فتبادلا الحديث لفترة قصيرة، ثم رجع دون أن يذكر لنا عما تكلمّا ونحن بدورنا لم نسأله.

تابعنا طريقنا عن قنطرة المستشفى، ثم دخلنا عن طريق القصبة، من أجل أن نصل الى مقهى الأثرياء (Café riches) أين

نسلم لرجال حمايتنا السيارة لنكمل السير راجلين، بعد أن ننقسم الى فوجين، ونتوجّه الى المركز الجديد لدى توات بطريقة مفاجئة، قبل الساعة السابعة، لكن فاجأتنا دورية متوقفة أمام المقهى، الأمر الذي أدى بحملاوي أن يكمل سيره لنقوم بدورة ثانية عن طريق الغيران.

أما موساوي فقد ذهب بسيارته، وبقي جدو ينتظر نزولنا من السيارة ليعود بها، ومن الغد يأتينا إلى المكان لنخرج ونركب معه ليوصلنا إلى مركز لصاحبه المدعو بودماغ أحد مفتشي الشرطة، متقاعد، يوجد في رأس الدروج التي تؤدي لعوينة الفول، وبعدها نكلف مجموعة الاتصال بنقلهم إلى الجبل.

لكن المفاجأة التي غيرت من خطتنا هي أن ابن لخروف نجا وتعرف علينا وقال للشرطة بأن زميليه في الشغل، موساوي و بشير جدو هما اللذان نصبا له المكيدة.

والمفاجأة الثانية، هي أنهما لم يمتثلا لأمرنا بعدم المبيت في منزليهما، لأنهما كانا يظنان بأن بلخروف قد مات.

والمفاجأة الثالثة انّ الشرطة قصدت بيت طيوشة أين يقيم رابح جدو إبن عم المبحوث عنه بشير جدو..فأخذوه الى مقرهم، وتعرض الى التعذيب كي يدلي بمحل سكن بشير جدو، فدلّهم على مقر سكناه، ظنا منه أنه محل شك فقط، كما علمتُ منه لاحقا..ألقي

القبض على بشير جدو الذي سئل عن مقر مسكن عبد القادر موساوي فتم القبض عليه.

اذن القي القبض على موساوي، فأخذوه هو الآخر فخضع الاثنان للبحث، وبدأ التحقيق مع الثلاثة، فاستثنوا رابح جدو، لانهم تيقنوا من عدم معرفته أين نتمركز، لكنه بالمقابل، ومن كثرة التعذيب، كشف قيامه بعملية اغتيال أحد الخونة، وأنه وسيط بين الفدائيين والجماعات الأخرى كما كشف لهم بعض المراكز التي كنا نلجأ اليها.

انصبّ تركيزهم على كل من موساوي وبشير جدو، وكان كل واحد يستنطق لوحده، ثم يأتون للثاني فيذكرون أن الأول أقر بوجود المخابئ والأشخاص المتعاملين معنا، وبعض المراكز التي كنا نلجأ إليها عند بعض الشرطة الذين كانوا يتعاملون معنا وتم تطابق الأوصاف والتأكد من نفس المعلومات عند الثلاث، غير أنه بقي لهم معرفة الملجأ الذي يأوينا.



مدخل شارع كارامان

دلهم رابح جدو على منزل ضابط الشرطة (حمزة)، فربما كنا التجأنا إليه، فهاجموا منزله ليلا، لكنهم لم يجدوننا عنده، أخذوه وعذبوه، لكنه لم يدلي بأي معلومة، لأنّ وجهتنا لديه مجهولة، فهو لم يكن يعرف شيئا عن تنقلاتنا، ولا عن الملاجئ المهيأة لنا ومع هذا لم ينكر أنّه كان يأوينا في بعض المرات وكذلك زميله عثمان.

اذن بقي الأمر بين أيدي موساوي وبشير جدو، فبعد العذاب الشديد الذي تلقياه، كشفوا لهم مــلاجيء: الشالي، ومصنع شوط، و 26eme de ligne المقر الاساسي لاقامتنا.

وفي الأخير انهار بشير ودلّهم على الملجأ الذي نحن فيه، فواجهوه بموساوي الذي لم يكن قد أدلى بمكاننا، بل تمسك بقوله أننا

بالشالي - وقد عرفت هذا من موساوي نفسه بعد مواجهته لبشير جدو لما كنّا معا في سجن القصبة - وكذلك بعد الاستقلال.

ذكر بشير أنّنا نوجد بنهج «كورو» نهج حملاوي حاليا، مما قد جعل العدو يستعين بالخريطة الجغرافية ثم يتنقل صحبتهما الى المكان للمعاينة الميدانية سرّيا قبل محاصرة المكان، الذي يمكن الدخول إليه من شارع فرنسا، أو عن طريق زقاق، انطلاقا من أمام مقهى الأثرياء (Café riches)، أو من الطريق الذي يسلك بين المقهيين المطلتين على ساحة الشهداء والمؤدي الى الباب الرئيسية.

بينما تحتوي الشقة التي تأوينا على مخرجين، إما عن طريق المحل المخصص لبيع الأدوات الكهرومنزلية، والباب الثاني كان مخرج العمارة، إلا أننا لم ننتبه عند دخولنا في البداية لأن نسأل صاحب المنزل عن مفتاح تلك الباب، لأنها كانت مغلقة، ويبدو أن صاحب المنزل لا يستعملها، ويكتفي بالدخول والخروج عن طريق المحل، حتى يتجنب سكان العمارة الاوربيون بما فيهم قائد « CRS » الذي يسكن معه.

عرفنا ماذا يعني "الاختراق الأمني" وعملنا به، فكما كانت المصالح الأمنية توظف أعوانا لها عن طريق الترغيب تارة والترهيب تارة أخرى، كان المواطن البسيط ممن تعاطفوا مع جبهة وجيش التحرير الوطنيين، وليس في مقدروهم العمل الميداني - إما لكبر سنهم أو لأسباب صحية أو اجتماعية - فقد ساعدونا كثيرا في الوصول إلى الخونة، وهم من كان يحمي ظهورنا، وكذا بعض المجندين ورجال

الأمن من أبناء المدينة، فعندما يكتشف بداية خيط المعلومة، ويتضح لهم أننا داخل المدينة، والتي لم نغادرها في غالب الأحوال، يحاصرون المدينة ويغلقون مداخلها ومخارجها، ويبحثون عنا في كل حي، تأتينا معلومات من هؤلاء لتخبرنا ببداية البحث عنا في الأماكن المحددة من قبل قيادة الأمن الحضري، ومن بين هؤلاء الأعوان الضابط حمزة، والضابط المدعو عثمان «le Brigadier»، اللذان كانا خير مساعدين، إذ كنا نلجأ إلى سيارة الشرطة، لالتقاط الأخبار عن طريق الراديو، على أساس أننا من الشرطة القضائية ونبحث عن خلية حملاوي، ولمعرفة الأماكن التي يراد تفتيشها، فنبتعد عنها اضطرارا لما يشتد الحصار على المدينة.

كما كنّا نلجأ لصنع مواكب للاعراس فيلبس حملاوي لبس العروس ويجلس وسط امرأتين بالسيارة، إحداهما مريم بوعتورة، وأكون أنا بجانب السائق باعتباري أحد اقرباء العريس... فتفتح لنا الممرات ونسير لغاية بلوغنا مكانا آمنا، أما إذا لم يسعفنا الحظ واضطررنا الى الدخول في اشتباك مع العدو، فكل واحد يتصرّف بما يقتضيه الحال للفرار، وللاشارة فإن حملاوي ومرافقيه الذين كانوا معه قبل التحاقي به - قبل أن يُصاب كان كثيرا من المرات هو المبادر بالهجوم على بعض الدوريات المتنقلة، وقد يطول بنا الحديث في هذا الصدد.

لم نكن على علم بما وقع، حيث أننا كنا قد أمرنا موساوي وجدو بعدم المبيت في منزليهما، وأن الملجأ الجديد لا يعرفه سواهما، فعندما دخلنا إلى المحل الذي من خلاله نصعد إلى الشقة، مكث سليم راشي معنا قليلا، وكان متلهفا لرؤية حملاوي، وكذلك صالح توات، ولم يصدقا بأن حملاوي أمامهما، نظرا لما سمعوه عن (الزئبق) الذي رصدت لمن يدل عليه قيمة 30 مليون فرنك، كما سلم علي توات بلهفة بقوله: على السلامة يا ابن خالي، ولم أكن أعلم أن والدي هو خاله إلا بعد زيارة والدي لي في السجن لاحقا - فقد كان راشي قد أخبره عن اسمي وأنني كنت رفيقه في معتقل بوسوي لما استفسر توات عمن أكون وعن كيفية اتصالي به في البداية .

بعدما خيم الظلام على المدينة، استأذن سليم راشي بالذهاب إلى منزله، فنظر إليّ حملاوي نظرة المتسائل عن ثقتي في الرجل والسماح له بالذهاب، فأومأت له براسي بالموافقة، ثم قلت له: هذا من بين الأوائل الذين كانوا من مناضلي حزب الشعب الجزائري، وكان رفيقا لي في معتقل بوسوي.

وعند خروج سليم راشي صعدنا نحن مع صاحب المنزل صالح توات، وطلبنا منه البقاء خارج الغرفة التي نحن بها وذلك لعقد اجتماع ضروري، فاستاذننا، ليأتينا بوجبة من المطعم المحاذي لمنزله، لأنّ زوجته في فترة نفاس، وزيارتنا كانت فجائية.

وبهذا يكون سبب لجوئنا الى هذا المركز الجديد، أولا باعتباره مركزا غير معروف، بالاضافة الى عقد اجتماع لتقسيم الخلية إلى فوجين، لأن بقاءنا بفوج متكون من أربعة يشكل لنا خطرا في التنقل.

لكن اختلفنا في من يكون مرافق الآخر، فاقترح حملاوي على بشير بورغود أن نكون أنا (ابن العم كما كان يناديني) وحملاوي معا، وبشير ويسمينة معا، فرفض بشير وقال له أنا وأنت، ومراد ويسمينة، فرفض حملاوي، وحاولنا أن نقنع بعضنا فلم نتمكن، فعارض حملاوي اقتراح بشير بقوله: اعتبارا أني ومحمد أصدقاء منذ الصغر، وشاء القدر أن نفترق كل هذه المدة، فنحن في حاجة لبعضنا البعض، ثم أني سأغادر إلى الجبل، ومحمد هو من سيعوضني، فهو في حاجة لمعرفة كل الأسرار وكل خفايا التنظيم، فأجابه بشير بقوله: كلنا إخوة، جنود جيش التحرير الوطني، بقي أن نتوزع حسب المصلحة، ثم أنهينا الجدل بطلب بورغود - دون أن يستخدم سلطته باعتباره المسؤول الأول - أن نؤجّل الفصل في هذا الى حين وربما كان يقصد أن الأمور ستصبح عادية بعد التحاق حملاوي بالجبل.

فتقرّر أن تنام يسمينة في البيت الذي تنام فيه زوجة صاحب الدار، التي لم تتعافى بعد، وبقي على الثلاثة أن يعيدوا الجدال من جديد، ففي الغرفة سرير قرب النافذة التي تطل على الشارع، وفراشان على أرضية الغرفة، فبدأ الاختلاف على من ينام على السرير ومن ينام على الأرض، فاقترح حملاوي مباشرة على بشير قائلا: أنت الابن الذي

عاش في بحبوحة، فمقامك هو السرير، أما أنا وابن العم، فنحن أبناء الشعب البسطاء ننام على الأرض، فرفض بشير مرة أخرى، وقال له: أنا وأنت ننام على الفراش ومراد ينام على السرير، وتم الاتفاق على هذا النمط، لكن هذا الاختلاف لم يكن إلا مزاحا بين الإخوة.

والحقيقة أنّني وحملاوي كنا متشوقين لبعضنا، فقد افتقدنا بعضنا لمدة تقارب الأربع سنوات متتالية، مما جعلني أداعبه بقولي: "أيه أين كنا وأين أصبحنا"، لا أحد يعي المقصود من المعنى غيري وحملاوي الذي كان تحت مسؤوليتي، في البداية، بينما جعلته أعماله البطوليه قائدا بعدما عوضني أثناء غيابي في سجون الاستعمار .

من شدّة المودة التي تربطنا معا، كان حملاوي، يرد علي بعد كل مداعبة قائلا: يا ابن العم، الطاعة ثم الطاعة، فالثورة لا ترحم، وكانت هذه الكلمات البسيطة، العفوية، بمثابة توجيهات نظامية وتأديبية جعلتني أتمم دروس الانضباط بمدرسة القيادة الثورية.

بعد أن لجأ كل واحد إلى مضجعه، بدأ بشير بورغود يعزف أنغام السلام الوطني ببراعة، ثم توقف فجأة وتوجه نحو حملاوي قائلا: بصحتكم..أنتم هنا تعيشون في بحبوحة: من مقروط وغريبية وبقلاوة، وقطايف وغيرها من الحلويات الشهية، ونحن في الجبال نعيش مع الخنازير، ونأكل البلوط .

ضحك "سي عز الدين" وقال له: نعم نحن نعيش في بحبوحة، وسط أصحاب القلنسوات المختلف ألوانها، وخيرة الأجهزة الأمنية الفرنسية

تكوينا، نواجه الموت يوميا ألف مرة، فإذا وقعت الواقعة ندفع الثمن بالجملة، فالأحكام المطبقة علينا لا تقل عن المؤبد، أو الإعدام، فنحن نقضي على الشر في منشئه، وعن أذنابه في منازلهم وفي الثكنات، وختم كلامه: تصبحون على خير.

بعد اقتسام أماكن النوم، وانشاد بشير السلام الوطني، بواسطة آلة النفخ التي تحدثت عنها سابقا، الهارمونيكا[1]، أطفأت الإنارة القريبة من سريري، وخلد الجميع إلى النوم، لكن وفي حدود الساعة الثالثة وخمسين دقيقة شعرت بحركة مريبة في الشارع، ففزعت ونظرت من النافذة، ثم تمعنت في الساعة التي كانت بمعصمي، لأطمئن هل لاح الصباح ، فشعر حملاوي باستيقاظي ونظر من ثقب النافذة فلاحظ ما لاحظته أنا، فأمر الجميع بالاستعداد، لأننّا حوصرنا، ثم توجه إليّ وقال لي يا بن العم خاننا باراط[2]، والحقيقة أن حدسه صدق، وقد عرفت هذا بعد ما التقيت مع موساوي، حيث قص عليّ كيف

1 - هي آلة نفخ موسيقية حرة، تحوي عدد من الريش المصنوعة من البرونز أو النحاس مثبتة من جهة واحدة، أو من الجهتين، تصدر نغمة أو أنغاما معينة باهتزازها الحر في فتحة ممر هوائي ذي أبعاد مماثلة. اخترعت من طرف الألماني كريستيان لودينغ بوشمان سنة 1821 م.

2 - وكان يقصد بشير جدو، والسبب في ذكر بشير ولم يذكر موساوي أنه لم يكن يثق فيه وكان دائما يقول له: يا باراط، لو يلقى عليك القبض من قبل الجيش الفرنسي فمن الصفعة الأولى تقول كل ما تعرفه.

كان البوليس يحقّق مع كل واحد منهما ، وكان هو قد أوهم البوليس بأننا في مكان مجهول، بينما باراط لم يتحمل التعذيب، وكشف مكان وجودنا ، وبالتالي تقابل مع موساوي أمام البوليس، مما جعل بشير يؤكد على موساوي بأننا في هذا المكان، فجهزت قيادة القوات الأمنية المتكونة من فرق الجيش المدعمة بسلاح آليات الميدان، من شاحنات ومدافع بل وبدبابة - للأمانة التاريخية - استعملت لأول واخر مرة بالمدينة، بل وبالجزائر كلها طيلة فترة الثورة الى الاستقلال.

ولهذا يطلق على المعركة هذه معركة الدبابات، كما دعمت الوحدات بالحرس المتنقل، و الجندرمة والشرطة، ورتبوا أمورهم بتأنٍ، فأخرجوا سكان العمارات من منازلهم القريبة من الملجئ، ونصبوا فيها الرشاشات، وقاذفات القنابل، موجهة كلها نحو الشقة التي نحن بها .

أول ما قام به جهاز الأمن هو نصب مكبر الصوت وبدأ الضابط الملازم "روسو" ينادي من خلاله: "حملاوي نحن نعرف أنك هنا ، أخرج" ، فلم يرد عليه، ثم كرر النداء مرة أخرى، فخيم الصمت على الجميع، وبدورنا بدأنا نفكر في كيفية المواجهة، فاتفقنا أن نجتمع في مكان واحد ، مع الابتعاد عن بعضنا في احتلال المساحة ، فالشقة تحتوي على غرف قليلة، وعلى طابق سفليّ المتمثل في المحل التجاري، وعلى باب

خلفي مغلق، كنا قد طلبنا منه إعطاءنا مفتاحه أول ما حوصرنا، لكنه بحث عنه ولم يجده ربما من شدة خوفه.

فالجيش وفرق الحرس المتنقل تعمّ المكان، وقد ضربت طوقا محكما علينا، فقد وزعت الفرق على السطوح بمداخل العمارات، وبتقاطعات الطرق، ومابين العمارات، وكان الظلام يحجب علينا الرؤية، لكن كنا نلاحظ أن بعضهم كان يتحرك بين العمارات، المطلة على نهج فرنسا، لم ينقطع النداء عبر مكبر الصوت طالبين منا الخروج، فقالوا إنكم محاصرون ونجاتكم مستحيلة، لا تخاطروا بحياتكم، وحياة العائلة التي هي معكم.

والحقيقة أن الجيش، كما علمنا لاحقا قد طوق نصف المدينة بالأسلاك الشائكة، لاسيما النواحي القريبة منا، وحتى إذا تمكنا من الخروج فلا يمكن أن نفلت، وكما علمنا من المسجونين فيما بعد، فقد شددت الحراسة حتى على السجناء بالقصبة والكدية، فمنعوهم من الخروج للفناء من أجل الراحة كما كانوا متعودين.

فكرنا في عائلة توات، الزوجة ومعها مولودها وأبناؤها الصغار، فصاح حملاوي أنتم تدعون بأنكم إنسانيون، دعونا نخرج إليكم العائلة والصغار، فرد عليه الضابط وهو يحاول أن يعرف مكان وجود المتكلم، كم عددهم؟ فأجاب حملاوي المرأة ومعها أطفالها الصغار وزوجها، فأجاب الضابط وقد استعمل بشير وموساوي كأذرع بشرية: اخرجوا المرأة والأولاد، ثم يخرج صاحب البيت لوحده.

في جو من الترقّب والخوف، خرجت المرأة تحمل رضيعها، وخلفها أبناؤها الخمسة، وعندما حاول الزوج الخروج طلب منه حملاوي أن ينبطح على الأرض بمجرد أن يتخطى عتبة المحل، وكنت مع مريم وبشير نراقب ما يجري في الخارج من خلال شقوق نوافذ الطابق الأول، بأضواء مطفئة، فنزلنا وتموقعنا نحن الأربعة مترقبين مواجهتهم، وبمجرد خروج توات أطلقنا العنان لزغردة الرشاش، ولم نستثني أحدا حتى بشير ومساوي، لكنهما انبطحا أرضا ولم يصابا واحتمى القائد روسو بزوايا الجدران، فردوا علينا بالرصاص الكثيف من جميع الآليات، والقاذفات، ومنها«lance feb» قاذفات القنابل، كنا نفكر في الخروج في اتجاه رحبة الجمال، مستعملين القنبلة اليدوية الوحيدة التي كانت بحوزتنا، وتغطية باستعمال الرصاص بكثافة، لكن المنافذ كانت قد أغلقت بالأسلاك الشائكة، ودعمت بفرق من الحرس المتنقل، فمحاولة الخروج أضحت من المستحيلات.

عدنا بعدها إلى غرف الطابق الأول أين كانت يسمينة بصدد اتلاف جميع الوثائق، في المرحاض، وكان هذا على فترات، انتبهت يسمينة أنَ للمرحاض نافذة صغيرة للإضاءة تطل على الباب الخلفي للشقة، جاءت مسرعة إلينا، فوجدتني أمامها فجذبتني من يدي وهي تقول بصوت منخفض: مراد، مراد، تعالى معي، فدخلنا- وكنت أظن أنها ستريني بعض الوثائق الهامة- فإذا بها تشير إلى الضابط « روسو » وهو القائد الذي شن

الهجوم في شهر أفريل على جماعة عبد الحميد كغوش- ،فصوّبت سلاحي لأطلق النار عليه، لأنه جاء منحنيا وبيده رشاشة ماط (49) وهو يستعد لإطلاق النار علينا من خلال الباب المغلق، لكن مريم رحمة اللّه عليها، توّسلت قائلة: يا مراد دعني أقوم بالعملية، أخرجت مسدسها من نوع (ماك50)، وأطلقت عليه النار وهو يستعد لمباغتتنا، فخرّ صريعا أمام الباب، وفر الجنود الذين كانوا وراءه ليقدموا له الغطاء بنيران أسلحتهم عندما يريد الانسحاب بعد تنفيذ عمله.

بعد العمل البطولي، الذي لم يكن على بال قادة الهجوم، ولم يحتط له الضابط روسو، الذي اكتسب شهرة كبيرة في القتال، هذا الضابط الذي قاد عملية القضاء على فوج الشهيد عبد الحميد كغوش، فكان لمقتله ردة فعل كبيرة، إذ جن جنون قادة الفرق، فكثفوا من إطلاق النيران علينا، وكان الرد من طرفنا بقدر يسمح بقطع صمت أسلحتهم، حفاظا على الذخيرة القليلة التي كانت بحوزتنا، لكن حملاوي، الذي ألف صوت البارود، وفك الحصار في كل مرة، خرج عن الاستثناء، وساير عنفهم بطلقات متكررة وعشوائية، وهو يصرخ أره يا نقيب، أره كابتان، أنت كابتن وأنا كابتن...مما جعلني أنبّهه إلى ما يقوم به قائلا: ما بك؟ أنت تتلف الرصاص وقد يتمكنوا منا كالفئران، فيعود إلى رشده ويقول لي: صحيح يا إبن العم، ثم

يحاول أن يناقش طريقة الخروج بعيدا عن النوافذ، فلم نجد حلا لذلك ولا مخرجا.

وحتى يخفف من روع المعركة التي نحن فيها، توجه إليّ وقال مداعبا: ما رأيك يا إبن العم لو نضع اسطوانة محمد عبد الوهاب - لأننا كنا في صبانا نذهب إلى مقهى"بوليلة" وهي معروفة بتخصصها في بث أغاني محمد عبد الوهاب من المجموعة الثرية من الأسطوانات الموجودة بها، وكانت بمثابة مكتبة لأغاني محمد عبد الوهاب، وكنا نستمع كثيرا إلى أغنية "أحب عيشة الحرية" - فلم أجبه ولم أرد، وعرفت حينها أن حملاوي يدخل في حالة غريبة، لما ينطلق صوت الرصاص وإلا كيف نفسر ما أضافه قائلا: يا ابن العم..نحن الآن في معركة، وسنستشهد عمّا قريب، لكن المطلوب منك، هو أن تبقى تحت مسؤوليتي، لأننا عندما ندخل إلى الجنة سوف تجد فيها كل خيرات، فإنّني أبقى أنا المسؤول عليك هناك بحيث سأسمح لك بأن تأكل من فاكهة ولا تأكل من أخرى.

فاجأنا رجال الطوق، فبعد الهجوم الأول الذي قام به الرقيب "دونيس" أطلقنا نيران أسلحتنا دفعة واحدة، فقتل الملازم والرقيب وعسكريين، فردت علينا قوات العساكر بنيران كثيفة، ليهدأ صوت الرصاص بعدها.

كنا نراقب كل حركة بالخارج من خلال الفراغات التي توفرها شقوق النوافذ المغلقة، ومن المرات التي كان يتردد فيها حملاوي بحذر نحو النافذة، رأى أحد الضباط برتبة نقيب، وهو يقوم بتوزيع جنوده وتوجيههم نحو النقاط المكشوفة، توجه حملاوي نحوي مسرعا، وقال لي وهو في لهفة للتصدي لهذا الضابط، فقال لي يا إبن العم، وهو يشير لي بأصابع يده الثلاثة الوسطى، ويضعهما فوق كتفه، ثم قال لي" إنه بوثلاثة (نقيب) فوقفت جنبه وبقيت أنظر معه، فوجدته يظهر تارة ثم يختفي وراء زاوية الجدار المقابل، ثم ظهر جزء منه فقط، فوضع حملاوي رشاشه على كتفه وصوب إليه جيدا وضغط على الزناد، إلا أن الرصاص لم يخرج، لقد كان حملاوي، وعلى غير عادته، يحمل سلاحا من صنع تشيكوسلوفاكيا، سلاح جميل المظهر وسهل الاستعمال والإخفاء، لكنه، وكما كنا نقول "يخون صاحبه"، ففككّه ثم ركّبه في ثوان معدودة، ثم وضع به مذخّرا أو مشطا، وبقينا ننتظر من جديد ظهور ذلك النقيب.

وفي حماس القائد، الذي كان ينتظر تقديم التقرير النهائي الذي يعلن فيه القضاء على الزئبق و أعوانه، خرج نصفه عن زاوية المنزل المقابل، فلم يضيّع حملاوي الفرصة وأطلق عليه النار، فسقط الضابط وسط الطريق، وسارع عدد من الجنود لإبعاده عن الرماية، في محاولة لإنقاذه، وسط وابل من الرصاص

للتمويه على سحبه، بينما بقيت أنا في دهشة كيف أنّ الرصاص اخترق جسد النقيب طوليا.. صرخ حملاوي قائلا: أطلق النار إنهم أخذوه، انتبهت فأطلقت الرصاص، وبالي منشغل بحملاوي هذا الرجل الذي كنت سأعوّضه على عرين لا يليق إلا به، وفهمت المغزى الحقيقي للمثل القائل: ليس من يعرف الطريق كمن يسير فيه. رحمة اللّه عليك يا أخي يا حملاوي.

بعد الرد الذي أسكت لغة الرصاص، تغيّر مجرى العملية كليا، لأن القوة المهاجمة التي لم تتوقف عن النداء باستسلامنا، جلبت ما كانت ترى أنه يقضي على المقاومة، إنه دبابة توقفت بالمكان الذي سقط به النقيب، حاولنا أن نقوم بشيء لإيقافها، لكن لم يؤثر الرصاص فيها، وكنا ننظر كيف كان يقوم بالمناورة لبداية عملية الهدم .

جنّ جنون العدو، مما أجبر المحاصرين لجلب دبابة مهيئة خصيصا للمكان الذي نوجد به، والذي كان في زقاق (زنقة) ضيق، أعني بذلك الدبابة بمدفع متحرك، فتم تصويب مقدمة الدبابة[1] التي استقرت في شارع فرنسا نحونا وأنذرونا للمرة الأخيرة بقولهم : اخرجوا والا سنهدم المنزل عليكم.

---

1 - تتخذ الدبابة عادة وضعية رأسية مواجهة بالمقدمة نحو الهدف لأن الجانبين تحفظان الذخيرة الحية، ولأن المقدمة مهيأة لصد الرصاص وتحويل الضربات يمينا وشمالا.

لم يكن لدينا مخرجا بعد جلب الدبابة وتوجيه فوهتها نحونا ، قطعنا الأمل في النجاة، وفكرنا في الخروج من هذا الجحيم بطريقة مشرفة، فالسلاح الذي نملكه لن يفي بالغرض، أمام قاذفات القنابل ومدفع الدبابة وطلقات الرشاشات الثقيلة، والطوق الأمني المضروب على المنزل، بينما لم يبقى معنا سوى القليل من الرصاص، وقنبلة واحدة، من صنع انجليزي، لكن كيف نرميها وكل شيء مغلق، الأبواب والنوافذ، وخلف كل واحدة منها مجموعة من الرجال، خشينا أن يقبض علينا أحياء فوصلنا إلى حل، و قررنا أن ننتحر بواسطة القنبلة الوحيدة التي كانت معنا ، وتم الاتفاق على أن نتكاثف، وقد كلفتُ أن أفتح مشبك الأمان...وبعدما قمت بنصف العملية، صاح بورغود، توقف، فضغطت على مقبض القنبلة، حتى لا تنفجر، فقال: نحن مسلمون والدّين يحرم علينا الانتحار، مع العلم أن السي بشير بورغود رحمة الله عليه من خريجي المدرسة الفرنكوإسلامية، التي تكوّن القضاة والباش عدول والمفتين، وهو على معرفة كافية بمبادئ الشريعة الاسلامية، نظرت إليهم وإلى القنبلة التي بيديإ فقال لي بشير: أرمها خارج المحل، فرميتها لكنها اصطدمت بالستار الحديدي، وانفجرت داخل المحل، ومن حسن حظنا أننا كنّا منبطحين محتمين بالثلاجات وآلات الطبخ المعروضة هناك، فلم يصب أي منا بأذى، قال حملاوي: نقاوم

حتى الليل، ثم نحاول أن نخرج، فمن تمكن من الإفلات فليحافظ على الأمانة، ومن يستشهد فذلك هو مبتغانا، وفي هذا الوقت نادى الضابط عبر مكبر الصوت: حملاوي...عليكم بالخروج، هذا ندائي الأخير، فرددنا عليه بطلاقات من رشاشنا، وصعدنا إلى الطابق الأول، فعم الصمت لثوان، وإذا بالضابط يقول أطلق (feu) خرجت النار من فوهة المدفع وانفجر المكان، فخرقت القذيفة الجدار المواجه، ثم انفجرت داخل الشقة، فخيم الدخان على الجميع، كنا نظن أنهم رموا علينا قنبلة دخان غازي من أجل أن تشل أعصابنا، وهنا صاح بشير وقال: كل واحد منكم يبلل منديله ويستعمله كقناع، لكننا تيقنا بعد قليل أن القنبلة للقتل وليس للتحذير.

انفجرت اول قذيفة في وسطنا فأصابت مريم في فخذها ولم تبقى ساقها متصلة بجسدها إلاّ بخيط رفيع من الأربطة، سقطت على الأرض وهي تتألم، فسمعت أنينها وهي تقول بصوت خافت لقد أصبت، لقد أصبت...حينها أسرع بورغود إليها وصنع لها ضاغطا لوقف النزيف "garrot" بواسطة منديله، كنت على مقربة منها تفقدت رجلها فإذا بعظم الفخذ قد انكسر ولم يعد يربط رجلها بالحوض إلاّ رباط جلدي صغير.

سحبتها ووضعتها على أول الدرج، هنا طلبت مني قائلة وهي تكاد لا تقوى على الكلام: يا مراد كمّل عليا أي (أجهز علي). نظرت إليها

وأنا مشفق على حالها دون أن أنبس ببنت شفة، تقدّم مني حملاوي وقال لي : واش كانت تقلك يسمينة؟ فقلت له لا تبالي.

نادت يسمينة بدورها على حملاوي: عز الدين.. كمّل عليّ، كمل علي (أي أجهز علي) فسمعته يقول لها وهو في حالة غير طبيعية، ...سألها: وعندك الشجاعة؟ أي: وهل تملكين الشجاعة كي أقوم بذلك؟ خشيت أن يحقق رغبتها رأفة بها، كما كان يعتقد، فتقدمتُ نحوه وأوقفته قائلا: يا حملاوي ماذا تريد أن تفعل؟؟ فأجابني: ألا ترى يا ولد عمي، هي من طلبت مني هذا، فقلت له يا حملاوي متزربش(أي لا تستعجل) فرنسا عارفة أنّنا وأنت بالخصوص هنا، ستستخدم كل قواتها حتى لو اقتضى الأمر أن تهدم قسنطينة علينا...كي تنال منا.

وللأمانة التاريخيه كانت لمريم مكانة خاصة لدى حملاوي، من إجلال وتقدير واحترام، وكانت رحمة الله عليها تبادله نفس الشعور.

قالت يسمينة وهي متأثرة وكأن بحلقها غصّة: أعلاه (لماذا) يا مراد؟...تحب العدو يشمت فيا؟ تحب العدو يفرح فيا؟ لم أجبها إلاّ بقولي سوف ينتهي كل شيء بعد قليل.



صورة نادرة للشهيدة مريم بو عتوره بثانوية سطيف

استرجعت ساعتها لما كنت وياسمين ندخل عند أصحاب بعض المراكز، للوهلة الأولى فتسألها العجائز، هل هذا أخوك؟ فترد أنه أخي فيسألونها مجددا: فعلا؟ فعلا أخوك؟... فتجيب مقسمة: والله إنه أخي...وهي تقصد أني أخاها في الجهاد، فكانت العجائز تتعجّبن ويقلن: سبحان الله أخوين في الجهاد معا.

بعد عدة طلقات أخرى من مدفع الدبابة، تهدم السقف والجدار الذي يفصل بين الغرفة التي كان بها بورغود وبيننا، فأصيب بجروح وشلت حركته، صعدت إلى الطابق الأول فوجدت حملاوي يفكر في طريقة تسمح له بالخروج عنوة من الطوق الذي ضرب حولنا، فوقفت إلى جانبه الأيمن، جنبا الى

جنب، وهو متكئ بكتفه اليمنى على كتفي اليسرى، وقال لي: يا ابن العم: أتعرف الحل النهائي الواجب علينا القيام به؟ فقلت ماذا؟ فقال لي نخرج أنا وأنت تحت غطاء من الرصاص عشوائيا، فيختبئ العساكر الجبناء، خوفا من ذلك، فنتمكن من الفرار، فقلت له: ليس في الوضع الحالي، أنت ترى أنهم سيّجوا المنطقة التي نوجد بها، وهم موجودون أيضا بالعمارات المقابلة لنا، فسيتمكنوا منا بمجرد تخطينا المحل، فلن يسمحوا لنا بالخروج بأية صفة حتى ولو هدمت المدينة كلها من أجل القضاء علينا، فالعملية يهدفون من ورائها حملة دعائية ونفسية، ولا يهم في ذلك لا العمران ولا السكان، فأعاد واقترح اقتراحا آخر وقال: ننتظر أن يخيّم الظلام ونخرج بنفس الطريقة، فلفت انتباهه قائلا: هل نسيت الإضاءات وكشافات الضوء المسلّطة علينا؟ فأنّى لنا ذلك؟ قال:عندك الحق يا ولد عمي.

صمتنا لوهلة، ثمّ سمعنا أمر القائد أطلق(نار) (feu)، فأظلمت أمامنا الشقة مرة أخرى، فإذا بحملاوي يتهاوى على كتفي اليسرى، فقد أصيب بشظيتين من قنبلة الدبابة في كتفه اليمنى، وفي رأسه، فأسند رأسه على كتفي وأخذ يدي ووضعها على موضعي الإصابة وقال لي: يا ابن العم (اتقست) أصبت، ثم نظر في وجهي وهو يبتسم، وقال لي: يا ولد عمي، الآن افعل ما تريد، فأنت وحدك.

ورغم أني كنت جنبا الى جنب مع حملاوي متساندين كتفي اليسرى ملتصقة بكتفه اليمنى، فقد أصيب رحمة اللّه عليه، وشاء القدر أنّني لم أصب ولو بخدشة.

أظلمت الدنيا من حولي، فكيف لا وقد فقدت أخي وصديقي، في الوقت الذي أنا في أشد الحاجة إليه، تذكرت حينها كلماته الخالدة: - اسمح لي برميها وأحسبها عليك..يجب أن تبقى تحت مسؤوليتي، فغدا ستكون في الجنة تحت مسؤوليتي.. نخرج تحت غطاء كثيف من نار الرشاشات، فهم جبناء يخافون الموت.

رافقت حملاوي وهو متكئ علي ووضعته قرب يسمينة، ثم أخذت سلاحه وسلاح مريم وحاولت أن أطلق النار في كل مرة بسلاح مختلف، ومن مكان مختلف، حتى يعتقد المحاصرون بأننا ما زلنا جميعا على قيد الحياة.

وعندما بدأ ضوء الفجر يلوح، وبدأت الرؤية تكشف ما حل بالعمارة، سمعت أحد القادة يقول: استعدوا للهجوم، فبدأت التغطية من العمارات المقابلة، فنزلت إلى المحل لاستقبال الدفعة الأولى، واحتميت بثلاجة معلبة، وبينما أنا متحصن هناك سمعت طلقة، ولم أشعر بشيء حولي، لأنّني كنت أرى بأني في حلم بشارع فرنسا والمطر ينزل عليّ، لم أدري كم هي المدة التي استغرقتها وأنا في حالة غيبوبة، وعندما استعدت وعيي وجدت

نفسي بضيعة أمزيان، مستلقيا على الأرض إلى جانب حملاوي ومريم بوعتورة، والدم يغطي نصف وجهي وجانبي الأيسر.

كنت أشاهد ما يجري وأنا شبه مشلول الحركة، إذ أصابتني شظية في الجانب الأيسر من رأسي، ما زلت أحمل آثارها إلى اليوم ولازالت تتحدى الزمن، ولا تريد أن تفارقني.

كان من الحركى(الخونة) المساهمين في العملية، مرتدان عن الثورة: الأول يسمى مخلوف، والثاني إسمه كشكار، وخز أحدهما جسد مريم بحقنة ففارقت الحياة بعدها مباشرة، ولست أدري إن كانت الحقنة للاجهاز عليها أو لمساعدتها لتوقيف النزيف، انتقل مخلوف إلى حملاوي، وهو لا يزال على قيد الحياة، لكنّه ينزف، وبعد أن شتمه بمختلف أنواع السب والقذف، مسكه من عنقه وبدأ الشد على رقبته، قال له حملاوي وهو يحتضر في آخر انفاسه: اللّه يلعنك راني خوك متستحيش؟ أي لعنة اللّه عليك إني أخوك الا تستحي؟ وقد فارق الحياة بهذه الكلمات.

لقد كان هذا المكان الذي اجتمع فيه العديد من المناضلين الذين ألقي عليهم القبض سابقا، ومنهم رابح جدو، الذي كان يسمع ما يدور بين حملاوي والخائنين، وشاهد مخلوف وهو يجهز على الشهيد عن طريق الخنق، فتأثر جدا، و أحس بالذنب واعتبر نفسه مشاركا في الكشف عن مخبئنا، ولو أنه لم يكن

يعرفه، ولكن عن طريق الإدلاء للأمن عن مسكن إبن عمه بشير جدو، صاحب موساوي، ولذلك حاول أن يكفر عن ذنبه، كما حكا لي هو شخصيا كيف تمت العملية عندما كنا في سجن القصبة معا[1]، كما أكدت لي ذلك مليكة حمروش، لأنها كانت تراقب من خلال الحجرة المنفردة التي كانت بها، والتي تطل على فناء ضيعة أمزيان.. بدأ جدو يضرب الباب وينادي ضابط الشرطة المدعو فيدال"Vidale"، الذي أشرف على استنطاقه سابقا، وكان هذا على مسمعي قبل نقل جثتي الشهيدين ونقلي، فجاءه وساله: ماذا يريد؟.

1 - كل ما جاء عن طريقة وكيفية اكتشافنا من طرف النظام الأمني بقسنطينة كان من أفواه المعنيين بالأمر، لأننا التقينا كلنا في السجن: واعترف الجميع رابح جدو، بشير جدو، عبد القادر موساوي، الضابط حمزة، صالح توات، الذي اضطر أنّ يذكر أنّني من اقربائه حضرت وهددته بالسلاح والقتل كي يأوينا، فلم أنكر هذا وتحملت المسؤولية كاملة،حتى ينجو شخصيا، لم ألم أحدا منهم ولو أنهم اعترفوا بأنفسهم بأنهم لم يتمكنوا من الحفاظ على السر، ولم أتفوه بكلمة واحدة في حقهم، لأني عشت ويلات السجون والعذاب قبلهم، ويكذب من يقول بأنه يتحمل العذاب، إلا إذا موه زبانية الاستنطاق باحتمالات خاطئة يتقبلها عقلهم، وإلا الاختيار بين البوح بالحقائق وبأعمال لم يقوموا بها هم أنفسهم، أو الموت ..ولم يكونوا ينوون الإساءة إلينا، ولكن الإنسان ضعيف.



الشهيد حملاوي بعد دقائق من استشهاده

عن جريدة (la depeche de constantine)

فقال له: عندي أمر مهم أريد أن أنقله لك، ففتح باب الزنزانة، وأخذه معه، فقال لهم: إن كشكار ومخلوف كانا على اتصال دائم معنا، وإذا لم تصدقوني اسألوا كشود، إنه على علم بذلك، ومن باب الصدفة، لم أكن على علم بهذه الاتصالات، ولكن لما سمعته يصيح وينادي على فيدال ارتبت، ولما سئلت عن صحة ما ذكره جدو، أكدت ما يقول دون اعتراض، فقال لي فيدال: ومن كان الاتصال بينكم؟ فقلت رابح جدو، ولا أعرف كيف، فأخذ الحركيين إلى قاعة التعذيب، ولقي أحدهما حتفه وهو على ما أظن، الحركي مخلوف، الذي أجهز على حملاوي.

ويبدو لي أنّ ما فعله رابح جدو حال دون إعطاء فرصة للخائنيين للإجهاز علي أنا أيضا، والدليل على ذلك أن القائد العسكري للضيعة أمزيان والمفتش فيدال أمرا بعلاجي وتوقيف النزيف الذي كنت أعاني منه، ليتم استنطاقي كما فهمت فيما بعد.

وبعد إتمام اغتيال حملاوي بيدي مخلوف، عن طريق الخنق، جاء أحد الضباط بمقص وأخذ خصلة من شعر حملاوي، أخذها معه كذكرى، وقد قيل أن الضابط جاء من الجزائر وهو يحمل رتبة أعلى، لهذا الغرض كما طلب من زبانية ضيعة أمزيان أن يبقوا عليّ حيا ويحاولوا معي أن أكشف لهم الخلايا النائمة من الفدائيين بقسنطينة.

بينما بقي كل من حملاوي ومريم ملقيين على الأرض، جثتان هامدتان، أخذوني إلى المصحة وقدموا لي بعض الأدوية ووضعوا ضمادات على الجرح، إنهم في حاجة إلي وأنا متعافي، من أجل تحمل العذاب الأليم الذي ينتظرني، من أجل كشف بقية الخلايا النشطة في المدينة من المدنيين.

في الحقيقة كانوا ينوون اغتيالي لأنهم جردوني من لباسي المدنية وألبسوني لباسا عسكريا من عندهم، وكان ذلك يعني أن يكملوا علي في الأماكن التي يقومون فيها عادة باغتيال الأسرى، والتي غالبا ما تكون بجبل شطاية أو كهوف جبل فلتان ببلدية واد سقان.

بدأ التحقيق معي من طرف زبانية خبراء، يتقنون لغة الشتم والسب، وفن التعذيب بامتياز، وكان التحقيق انفرادي، فطرح علي سؤال حول التقائي مع حملاوي؟ فرويت لهم الحقيقة، أنه بعد خروجي من السجن، وبقائي تحت الرقابة، فضلت الالتحاق بالجبل، وبعد مدة طلب مني أن أعود إلى قسنطينة والعمل تحت أوامر حملاوي، وعن سؤال متعلق بمن هم الرجال الذين ينشطون في المدينة؟ وهم يقصدون بذلك الفدائيين المدنيين، ذكرت لهم بعض الموجودين بالجبل مثل الشريف طلحة، المدعو بوالركايب، وقدور بومدوس، ومحمد الصغير بوفنارة، ولم يتركوني أتمم ذكر الأسماء، فقال لي فيدال وهو يشتم و يسب ديني ووالدي، لو قلت لك من أين بومدوس فكيف ترد؟ قلت إنه من نهج أولاد براهم، فقال لي ها أنت لا تعرفهم، فنحن نعرف هؤلاء أحسن منك، نحن نريد أن تكشف لنا أسماء الفدائيين المدنيين غير المعروفين، فقلت لهم: أنا حديث العهد بالجماعة بقسنطينة،

لأنني خرجت من السجن في شهر أفريل، إذا فأنا لست على اطلاع كامل.

لكن الذي أعرفه أنّ النظام غيّر موقفه في سير العمليات الفدائية وحجتي في ذلك أنه بعث تعليمة من القيادة تطلب منا حظر تكليف المدنيين القيام بالعمليات، وفي حالة الضرورة نستنجد بالفدائيين الذين ينشطون خارج المدينة، وهم الذين ذكرتهم لكم من قبل، وسألوني عن دليلي فيما صرّحت به؟ فقلت إن كان بشير بورغود موجودا، والذي لم أكن أعرف إن كان على قيد الحياة، فهو يشهد بذلك فجيء ببشير، وكانت حالته مزرية، نتيجة للجروح التي أصيب بها والتعذيب الذي مورس عليه، ولا شك أنهم استنطقوه فيما قلته لهم، قبل المجيء به، ولابد أنّ بشير قد استوعب مقصدي من ذكر الرسالة، وحاول بحنكته إجابتهم بما يوافق أقوالي، وعندما تمت المواجهة بيننا سأل الشرطي بشير: ما هي هذه الرسالة التي قال عنها كشود؟، وما مدى صحتها؟ كانت اجابته مبهمة حيث قال: نعم لقد وردتنا تعليمة من القيادة وكشود أعلم بمضمونها، لأنه هو من قرأها علينا بحضور كل أعضاء الخلية التي قضيتم عليها، يطلبون فيها التوقف عن عمليات الفداء...ولم يتمم الجملة، لأن الشرطي اعتقد ان الكلام يتوافق مع ما صرّحت به، وظن أنه في نفس السياق الذي قلته، فأسكته قائلا: خلاص أغلق فمك.

الحمد للّه أنّ الأمور سارت على هذا النحو وإلا كانت الكارثة، ولولا فضل اللّه أنّني اختفيت وراء كوني خرجت حديثا من السجن، وأنّني لم أطلع بعد عن النظام في المدينة بسبب أن حملاوي عاجز عن التنقل، ولذا بادرت أنا بإنشاء مراكز جديدة نختبئ فيها، فقال لي: ولماذا لم تعد إلى طريق الصواب بعد أن خرجت من السجن، فقلت له لقد كنت تحت الإقامة الجبرية ولذا قررت الالتحاق بالجبل، بعد ما طلبوا مني ذلك.

أما حقيقة الرسالة، فقد وردتنا بالفعل من القيادة بأن نتوقف عن استخدام الرصاص ضد الخونة، ونستخدم السلاح الأبيض عند الحاجة، والقيام بالعمل الميداني إلى إشعار آخر، ويبدو من ذلك أن الاتصالات مابين فرنسا والحكومة المؤقتة، قد بدأت في"مولان" وذلك سنة 1960، وأنا تعمدت أن أذكر بأن الرسالة كانت تطلب منا أن نتوقف على تجنيد الفدائيين المدنيين، ولذا كان غموض إفشاء محتوى هذه الرسالة في صالحي، وقد صدقوني لا سيما وأن بشير برغود قد أكد كلامي بأنني أنا الذي قرأت الرسالة وقد صدقوا ما أدليت به حيث أنهم عرفوا تاريخ خروجي من السجن، وعدد السنين التي كنت فيها أسيرا، وأن المدة قصيرة لاطلاعي على نظام المنطقة الخامسة كلها في خلال هذه المدة.

هذه هي الأسباب التي قد تكون أنقذتني نوعا ما من متابعة التعذيب، ومع ذلك لم أنجوا منه، حيث مورست عليّ ألوان وأنواع منه وأنا مصاب بجروح بليغة في رأسي، ومن هذه الأنواع: الكهرباء، حيث توصل المناطق الحساسة بمؤشري الكهرباء، وتستخدم آلة الصعق« la gégène » لتجعل المرء يصرخ من شدة التيار، وإن لم يفعل فسيضاعف شدة التيار، حتى ينهك السجين، أو يستعملون خرطوم الماء، حيث تربط الرجلين واليدين، ويوضع قضيب بين الركبتين ثم يجلسني وسط روضة ورأسي بين ركبتي المعذّب، ثم تفتح حنفية بقوة كافية لامتلاء بطن المستجوب ويضيق التنفس، وفي كل مرة يكرر علي أن أرفع أصبع السبابة عند إرادة التكلم والبوح بالأسرار، وكثيرا ما كان يغمى علي في مثل هذه الحالة وكنت مرارا، عندما يزورني الموت، أرفع اصبعي ولكن لا أقول شيئا، وتكرر هذا معي إلى أن تحققوا بأني ليس لدي ما أخفيه نتيجة الأسباب المقنعة التي ذكرتها لهم من قبل.

ومن بين الأسئلة الكثيرة التي كانت كلها تدور حول العمليات التي يقوم بها الفدائيون، ثم التعقيب الذي يراد منه أنه لا أحد يمكنه أن يفر من العقاب، سئلت عن عملية مقهى السلام في القصبة التي فجرت بها قنبلة، فاعترفت أني الفاعل لكني استعملت حيلة في ذلك، فهم يملكون الحقائق كلها حتى أنّ

التهمة كانت قد نُسبت إليّ منذ تنفيذ العملية واتهامي قائم من يومها، ولم أكن أعلم من الذي أفشى لهم بذلك .

أخذوني للمكان الذي نفذت فيه العملية، فسألوني عن تاريخ تنفيذ العملية وتوقيتها والمكان الذي رميت منه القنبلة، ثم طلبوا مني إعادة تمثيل الطريقة التي تمت بها فمثلت الدور لكن بطريقة مخالفة لما وقعت عليه في الحقيقة، لا من حيث التوقيت ولا الزمان ولا حتى لموضع الذي رميتها منه، وكان الغرض مما فعلت هو خلط الأمور عليهم، كي أجعلهم يعتقدون أنّني اعترفت فقط من شدة التعذيب ولست المنفّذ الفعلي، ولا شكّ أن ما قمت به هو حنكة اكتسبتها في سنين تنقلت فيها بين السجون والمعتقلات .

بعد أن تعرّضنا إلى أشد أنواع التعذيب النفسي بالشتم والإهانة والسب،واستعمال التعذيب الجسدي بالكهرباء وأعقاب السجائر، والضرب المبرح، وختموها بخراطيم المياه، وكان في اعتقادي أن أصعب وسيلة للتعذيب هي الكهرباء، لكن اتضح لي أن الكهرباء يتعود عليها الجسم، أما الماء فأنت تعيش خنقا منظما.

وبعد الاستماع إلينا وإنهاء التحقيق معنا، أخذوا بشير بورغود إلى المعتقل، لأنه لم يكن متورطا بالأعمال الفدائية، وباعتباره كان جنديا ودخل المدينة منذ مدة قصيرة، فلم يطلق عليه اسم

الارهابي فهو يعتبر من أسرى الحرب، أخذ إلى حبس انفرادي بغرفة تحت الأرض بسجن القصبة لمدة تسعة أشهر، كاد أن يجن، نتيجة للوحدة القاتلة التي فرضت عليه، وبعدها تم نقله الى مختلف المعتقلات حتى نهاية الثورة التحريرية، كما روى لي ذلك بنفسه لاحقا .

أما أنا فكنت بالنسبة لهم بمثابة إرهابي (terroriste) باعتباري قمت بأعمال فدائية، أو كنت مسؤولا عن البعض منها، فبمجرد أن تماثلت للشفاء من الجروح التي أصبت بها في المعركة - مازالت شظايا منها برأسي، وعلى الرغم من أن الدولة الجزائرية أرسلتني لفرنسا من أجل نزعها، إلا أن المختصين نصحوني بتركها، لأنها مستقرة وغير متجهة نحو المخ - أخذوني مباشرة إلى سجن القصبة، في جناح المحكوم عليهم بالإعدام، وكنت أعيش في عزلة تامة، حيث أخرج إلى الاستراحة في الفناء بمفردي وأنا مقيد اليدين والرجلين، ولا يحق للأهل بزيارتي، وكنت أنتظر تنفيذ حكم الإعدام دون محاكمة، لأن كل الدلائل تشير إلى ذلك، وكنت أرتدي زيا عسكريا بدلا من اللباس المدني، ومن بين الذين كانوا معي في سجن القصبة: الشريف دربال، السعيد بولحليب، وبعض الإخوة من خارج مدينة قسنطينة، وبعد وقت قصير نقلوني إلى زنزانة أخرى حيث وجدت عبد الوهاب بن يمينة الذي ألقي عليه القبض مع عبد الحميد كغوش، لم أكن

أعرفه من قبل، ولم أعرف حتى أنه كان معه في المعركة، وبعد أن تعارفنا ارتحت له، وتذكرت أثناء الحديث أن علجية التي كانت واسطة بيننا وبين عبد الحميد قالت بأنهم تمكنوا من القبض على كاتب عبد الحميد حياً، مكثنا في زنزانة واحدة قبل أن أحال على المحكمة العسكرية، كما ألحقوا بنا رابح جدو وكان متهماً بعملية فدائية.

أما الآن فيجدر بي فتح قوس لأدلي بحقائق تاريخية، وأنا أتأسف لمحاولة البعض تشويه حقيقتها عندما أصبحت اسمع من هنا وهناك أو من أطراف لا علاقه لها بالموضوع وهي تدعي أنّها على اطّلاع، وأنا مازلت على قيد الحياة وقد أدى بالبعض لأن يكتب عن المعركة دون أن يكلف نفسه أن يسألني ولو بحرف واحد عن ما وقع؟ كيف تمت فمنهم من تذرع أن المرحوم بشير بورغود كان قد كتب القليل من الكثير عن هذه المعركة، ومنهم من تجرأ وقال لقد عرفنا كيف حصلت المعركة، ومنهم من ذهب الى القول أن صاحب المركز هو من حكى كيف تمت المعركة، ومنهم من تجرّأ ووجّه اتهامات باطلة للشهيد حملاوي دون مراعاة حرمة استشهاده، وبهذا لا يسعني الا أن أوضح النقاط الاتية:

1 - لقد ذهب البعض الى أن ينفي عمليه لابريش عن حملاوي باعتبار أنهم قرؤوا في الصحف أن من قام بها قد اعترف بفعله وتم تنفيذ حكم الإعدام فيه.

2 - منهم من أراد أن يلبس الشهيد حملاوي رحمة اللّه عليه تهمة بإدّعائه أنّه لما ألقي عليه القبض انهار و أفشى اسرار عن أسماء المتعاملين معه ولا شك أنّني أوضحت هذا الأمر بما فيه الكفاية.

3 - حاول البعض إلصاق تهمه الخيانه للمرحوم راشي عبد السلام المدعو سليم) االذي سمحنا له أن يعود الى سكناه ليلا، وهذه التهمة عارية من الصحة، وقد وضحت ذلك، وعن شهادة المعنيين بالأمر رحمهم اللّه كيف كشف العدو مركزنا.

4 - وقد ذهب البعض إما نكاية أو حقدا أو جهلا الى الادعاء ان توات صاحب الدار قد حكى لهم مجريات المعركة من بدايتها الى نهايتها وفي هذا الصدد كيف لشخص غادر المكان الذي كنا فيه قبل بداية المعركة أن يصوّرها بتفاصيلها.

والحقيقه أن مثل هذه الادعاءات والتهم الباطلة، والتي تدعو للسخرية أحيانا لا تمت للحقيقة بصلة، والعقلاء من الناس لا يقبلونها، لكن وجب علي أن أوضح ذلك قبل اتمام مذكراتي،

إنصافا وإحقاقا للحقّ وصدق الحكيم الذي قال قديما كان في الناس الحسد.

- **القوات الفرنسية توثق عملية مقتل حملاوي**

تحت بنط عريض كتبت جريدة la dépêche de Constantine et de « l'Est Algérien » : حملاوي الذي لا يمكن القبض عليه (الزئبق) يقتل بمركزمدينة قسنطينة، واعتبرت الحادث نجاحا باهرا لقوات الأمن، وعلقت في بداية الحديث عن المعركة بقولها:

هجوم استعراضي بواسطة المدفع بالقرب من شارع كارامان بالشقة التي حولت إلى حصن منيع حيث كان يلجأ حملاوي، وفي إشارة إلى محمد كشود يذكر بأن قوات حفظ الأمن ألقت القبض على إرهابيين منهم مرتكب عملية إلقاء قنبلة ضد مقهى السلام (الذي يوجد بشارع دامريمون)[1].

وفي فقرة أخرى يعدد الأعمال الميدانية التي قام بها حملاوي فيذكر قائمة مقتضبة عن الأعمال الفدائية التي كانت من عمل أو من تحريض حملاوي لمدة طويلة، نذكر بالعمليات والهجمات الأكثر استعراضية والأخطر والتي مازالت بكل تأكيد بالذاكرة الجماعية لسكان مدينة قسنطينة:

1 -La dépêche de Constantin et de l'Est Algérien.09 /07/1960

- استعمال الرشاشات في حديقة "لينا بارك" حيث جرح ثلاثة أشخاص.
- تفجير قنبلة بالسوق الكبرى حيث بلغ عدد الضحايا 37 ضحية
- استعمال الرشاشات بحي بيلار[1] حيث قتل شخصان من بينهم مفتش بالأمن "سولي" وهجوم بسيدي مبروك أسفر عن مقتل محافظ الشرطة "كايول"[2] وزوجته بواسطة مسدس رشاش استعمله حملاوي.

اشتباك مع قوات الأمن بنهج بيانفي والذي أسفر عن قتيل وجريحين..

معركة 16 -17 جوان 1960:

وأنا في سجن القصبة سمعنا بما وقع لخلية رواق، وكانت الوشاية حاضرة في هذه العملية أيضا، فبعد تحديد مكان تمركّز الخلية التي يقودها السعيد رواق، المدعو عمار"مسؤول

---

1 - العملية كانت عبارة عن نصب كمين لهذا الفوج من الشرطة وذلك في إطار الهجومات التي كان رحمة الله عليه خطط لها هي وغيرها.

2 - بودّي ان أفند ادّعاءات فرنسا بأنّنا كنا عبارة عن قتلة مجرمين لا نفرّق بين إمرأة ولا طفل واستدلت في ذلك بزوجة كايول وابنه والحقيقه للتاريخ أن عملية قتل المحافظ كايول لم يكن ينوي حملاوي اصابة زوجته وابنه كما ادعت فرنسا في بعض الصحف فالذي حدث ان كايول كان مقابلا لزوجته عندما وجه له الشهيد رحمة الله عليه رشاشته فشاهدته زوجته التي كانت تحمل طفلها وارادت ان تدفع به كي لا يصاب فأصيبت هي دون قصد، ولا ندري ما الذي حدث لابنها.

الناحية"، بمعية عمار قيقاية، فضيلة سعدان، ومليكة بن الشيخ، الذين كانوا محتمين عند عائلة بربار بوسط المدينة، وردا على طلب قائد الحصار بوجوب الاستسلام، نظرا لتطويق المكان المسمى الرصيف، من جميع الجهات، رد الفدائيون بطلقات نارية على الصفوف الأمامية، فنشبت المعركة ودامت نيرانها مدة ساعتين استشهد خلالها كل من السعيد رواق، وعمار قيقاية، وفضيلة سعدان، وألقي القبض على مليكة بن الشيخ بعد إصابتها بجروح، بينما تمثلت خسائر القوات الفرنسية في ستة قتلى و109 جرحى من بينهم ثلاث من ضباط الصف.

هكذا كان مصير أبطال فدائيينا الذين وقعوا بين المطرقة والسندان، مطرقة القوات العسكرية والأمنية للجيش الفرنسي، وسندان قوة الشر، قوة من باعوا ضمائرهم للعدو مقابل فرنكات معدودة، وهم على يقين بأن الثورة ما هي إلا مرحلة وتعمّ "التهدئة" التي طالبت بها الإدارة الفرنسية منذ أول نوفمبر 1954م.

والجدير بالذكر أنّه بالقضاء على الفوج الذي كان يقوده الشهيد سعيد رواق ومجموعته تكون المنطقة الخامسة التي كانت تؤطّرها النواحي الثلاث التي كنا نديرها قد تمّ تفكيكها بصفة نهائية غير أن النظام تمكّن في الحين من تعويض النواحي بأُطر أخرى وخاصة بعد أن التحق بالرفيق

الأعلى مسعود بوجريو قائد المنطقه الخامسة والذي اقترح أن يكون عضوا بالولاية فقد عوضه المجاهد خلف اللّه مصطفى المدعو مصطفى بوتميرة وبرؤساء نواحي أمثال المرحوم دقيوس صالح، والمرحوم بومدوس قدور، وعبد الحكيم نعيجة، الذين واصلوا المسيرة بنفس الجدية والتضحية.

ولا يمكنني ان أتكلم عن هذه المرحلة بالتفصيل، لأنني كنت قد غادرت قسنطينة، وأترك للأمانة التاريخية تفاصيل كيف تم اعادة بناء المدينة للذين عايشوها ومعظمهم مازال على قيد الحياة..وهذا ما جعل من مدينة قسنطينة عن جدارة تحمل لقب مدينة الفداء.

بمجرد خروجي من ضيعة أمزيان المخصصة للتعذيب والتقتيل، اخذوني مباشرة الى سجن القصبة، وأودعوني في زنزانة بجناح المحكوم عليه بالاعدام بالطابق السفلي وكنتُ مكتوف اليدين ومغلول الرجلين، البسوني كما ذكرت لباسا عسكريا وبما أنني لم أكن اعرف اجراءات الحكم كنت اعتقد نفسي أنّني في زنزانة أنتظر تنفيذ حكم الاعدام، وكنت أخرج الى الفناء بمفردي لا التقي أحدا وحتى الحراس كانوا يعاملونني معاملة المحكوم عليهم بالإعدام وينتظرون تنفيذ الحكم، فمن خلال حديثي مع الاخوة الذين كانوا بالزنزانات التي بجانبي ينتظرون استئناف الحكم، حاولوا أن يشرحوا لي بأنّ الحكم الذي

كان ضدّي غيابيا يسقط بعد إلقاء القبض عليك لكن لم آخذ كلامهم هذا على محمل الجد، لأنني كنت اتساءل ولماذا يتركونني مربوط اليدين ومغلول الرجلين ويخرجونني منفردا. وكما عرفت منهم أن الذين سيتم فيهم حكم الاعدام يوضعون مباشرة بالطابق السفلي الذي أنا موجود فيه، أمّا في حالة استئناف حكم المحكمة فسيضعونني في الطابق الاول.

كنت في حالة انتظار دائم كغيري نصلي طوال الليل ونترقب بزوغ الفجر ومروره كي ننام، فحكم الإعدام عادة يتم عند الفجر، فإذا مرّ نمنا.

في صبيحة يوم من الأيام جاء الحرّاس لأخذي فأطلوا علي من فتحة الزنزانة الانفرادية، وجدوني نائما فاستغلوا الفرصة لترويعي وجعلي أنهار نفسيا.

فتحوا الباب فجأة فاستيقظت فزعا، وقد ظننت أنّ الفجر بزغ، أستغلوا روعي ومثلوا أنهم ياخذوني الى المقصلة، فارتعدت فرائسي، وفقدت القدرة على السير، انقضّ علي السجّانين يشدونني، أحدهم من الجانب الأيمن والآخر من الجانب الأيسر، واقتادوني عنوة وأنا لا أقوى على المشي قلت بصوت يكاد يسمعه من كانوا بزنزانات مجاورة: يا إخوتي قد أخذوني.

كنت أجهل الاجراءات القانونية التي تؤدي الى تنفيذ حكم الاعدام، أما السجناء بهذا الطابق السفلي فقد كانوا ينتظرون

نتيجة طلبهم أحكام الاستئناف فإما يمكثون هناك، إمّا لتنفيذ الحكم فيهم أو للاستفادة من العفو الرئاسي، أو يقبل استئنافهم فيصعدون إلى الطابق الأول، المخصص للذين لم يتم إصدار الحكم النهائي في حقهم.

اعتقد السجناء كما اعتقدت أنا انهم يقتادوني لتنفيذ الحكم، فأنا كنت في زنزانة انفرادية بالطابق السفلي المخصص للذين يؤخذون مباشرة الى المقصلة، ولم أنقل إلى الطابق الأول وكنت البس زيا عسكريا، وكنت أسرح للفناء منفردا ويداي ورجلاي مغلولة، فكل هذه المعطيات جعلتهم يظنون كما ظننت أنهم يقودونني الى المقصلة، وبدأوا يضربون أبواب زنزاناتهم ويصيحون مجرمين قتلة... assassins criminels اللّه أكبر...اللّه أكبر.

ذهبت مع الحارسين إلى غاية مكتب المراقب العام للسجن منحوني قلما، وطلبوا مني الامضاء في سجّل، من بين الحراس كان أحدهم جزائريا يدعى بوستة، وكان ذلك اليوم مخمورا رفضت الامضاء، وكنت اعتقد أنّني سأمضي على ذهابي للمقصلة، فنطق هو من هناك وسبّ ديغول وقال تبا لديغول كيف يمنح العفو لشخص في جعبته مائتي قتيل، والحقيقة أن فرنسا هي من كانت تدرج هذا العدد في صحفها كلّما تعلق

الأمر بخلية حملاوي، فهمت فيما بعد أن الإمضاء يعني أني أصبحت من المتهمين فقط لا من المدانين.

لما أنهيت الإجراءات قادوني الى الطابق الأول كمتّهم، بعدما تخلّصت من الأغلال والقيود نهائيا، وادخلوني لزنزانة كان عبد الوهاب بن يمينة الذي أسر في معركة الشهيد عبد الحميد كغوش فيها لوحده ولم أكن اعرفه من قبل.

بقيت في انتظار المحاكمة حوالي ثلاثة أو أربعة أشهر، ومن بين الحالات التي مررت بها في هذه الفترة وأنا بسجن القصبة أنّني أصبت بمرض في معدتي، وكنت كلّ الذي أتناوله أستفرغه، ولا شك أن المياه القذرة المستعملة في تعذيبي هي السبب، ولم أجد أوفى من رابح جدو الذي تكفل بي واهتم لأمري، وكلما تأزمت حالتي وأنا بساحة السجن يحملني بين يديه الى المصحة رحمة اللّه عليه، أما إذا صادف وتكرر معي الألم والقيء وأنا في الزنزانة، فلا أحد يستطيع أن يساعدني.

كما بودي أن أسرد قصة طريفة وقعت في هذه الفترة، لقد كان الفدائي الشريف دربال، هو مؤذن جناح المحكومي عليهم بالاعدام وكان معنا في الطابق السفلي ينتظر الاستئناف أو العفو، ومعلوم لديه أنه في كل صلاة يقول اللّه أكبر اللّه أكبر خافتا ثم يعلو في حي على الصلاة حي على الفلاح، وهذا معناه أنه يؤذن للصلاة أما اذا بدأ بكلمة اللّه أكبر جهرا فهذا

يدل على أن واحدا منا إلى طريق المقصلة، وبذلك تكون كلمة الله أكبر هي بداية إطلاق صرخات الاحتجاج على جرائم الزبانية.

وكان أنذاك شخص يدعى manga ولست اعلم إن كان إسمه على الحقيقة أو يدعى به فقط، ينتظر كالباقين إما الاستئناف أو العفو، وقد أصيب باختلال عقلي، فكان يصيح: يا فرنسا راني كلحتك راني قضيت على 22 خائن، وأنا قريت لك بزوج، أي: يا فرنسا قد استغفلتك قد قضيت على 22 خائن ولم اعترف لك إلاّ بإثنين، تدهورت حالته لدرجة صار يضرب جسده بالجدران ويحاول القيام بأفعال غريبة، مما أدى بمديرية السجن أن تجهّز جدران زنزانته بالاسفنج كي لا يؤذي نفسه لما يرتطم بالحائط ليس رحمة به بل رغبة في الحفاظ عليه سالما كي ينفذ فيه حكم الاعدام، فالعدو يتلذّذ بذلك.

وكان صراخه مستمرا وصيحاته لا تنقطع فرقّ لحاله الفدائي الشريف دربال وطلب من المراقب العام أن يمنحه فرصة كي يدخل معه الى الزنزانة ليوم أو يومين لعّله يستطيع مساعدته وتهدئته كي يعود له إدراكه، ويتفهم الوضع الذي نعيشه بإعطائه الأمل من جديد، لكن المفاجأة كانت لنا أن الشريف دربال بعدما منحت له رخصة وجوده معه، فاجأنا بالاذان بمنتصف الليل...الأمر الذي جعله يطلب العودة الى زنزانته.

كان معنا أحد المتقدمين في السن، يحسن الغناء الشاوي أو الركروكي، وخاصة أغاني عيسى الجرموني، وكنت استحسن ذلك اللحن، وخاصة "عين الكرمة"، و"آش واش"، وهذه الأغاني الخالدة من حلق سجين زادته روعة، وكان كل المحبوسين يهللون له، ويتأثرون لكل الصيحات الحادة والإلتواءات الصوتية التي تزيد الأغنية بهجة ورونقا، ومن شدة ما تكررت أنغام القصبة على مسامعي أثرت في وأصبحت من محبي غناء الركروكي إلى يومنا هذا.

بعد مدة ألقي القبض على الفدائي عبد الرحمان بخوش، وكنت أنا من أدخله النظام، وكان من الفدائيين الممتازين، قام بعدة عمليات ناجحة، وخلال عملية الاستنطاق والتعذيب، كشف بأني من أدخله العمل الفدائي، فأضيفت قضية جديدة إلى ملفي قبل أن أحاكم .

عكس ما وقع لي في فرنسا، اجتمعت كل الأدلة ضدي بوجود شهود بأني كنت نائب حملاوي، مثل الفدائيين رابح جدو، وعبد الرحمان بخوش، وضابط الشرطة حمزة، وتوات صالح، وعملية مقهى السلام، بالإضافة إلى العملية الأخيرة التي ألقي علي القبض فيها والسلاح بين يدي، وبعد أن مثلت أمام قاضي النطق أبلغوني بمحضر التهم الموجهة إليّ، والمواد الملائمة لها من خلال قانون العقوبات.

ومن بين المواد التي تقابل هذه الأفعال، والتي كان "محافظ الحكومة"، يشدّد على كل مادة منها، أتذكر منها ما يلي: المادة 302 من قانون العقوبات الفرنسي والتي تنص على أن: كل من يقوم بفعل ارتكاب جريمة قتل يحكم عليه بالإعدام، والمادة 59 تنص على أن كل مشارك في الجريمة يحكم عليه بنفس الحكم على الفاعل الأصلي نفسه، أما المواد:77، 78، 79 والتي تنص على أن جرائم القتل مع سبق الإصرار والترصد، تساوي الحكم بالإعدام، ثم المواد 301، 302 و تنص على أن مرتكبي جريمة الترصد مع سبق الإصرار يحكم على صاحبها بالإعدام.

تقدمت أمام المحكمة العسكرية الموجودة أمام ثكنة القصبة أين يوجد المحكوم عليهم بالإعدام، فوجدت الوالد، رحمة اللّه عليه، قد وكل محاميا يهوديا من قسنطينة للدفاع عني، اسمه (بنيستي) وقد أعطاه كل ما طلب، واشترط عليه فقط أن لا يحكم عليّ بالإعدام، ولما وقفنا أمام قفص الاتهام وجدت محاميين من فرنسا عينتهم الجبهة، من بينهم أحد الأعمدة من ليون مع محامية أخرى، وهنا عرفت قدرة جبهة التحريرالوطني على المجابهة وعلى المناورة، وقيمة المنخرطين فيها عند قادتها.

افتتحت الجلسة بسرد التهم الموجهة إليّ، من طرف ضابط عسكري، (كاتب الضبط) وبعد ذلك أحيلت الكلمة إلى العقيد "محافظ الحكومة" العسكري، الذي يقابله في النظام

المدني "الوكيل العام"، وكان يرتكز على رجل اصطناعية، ومن خلال مواقفه أعتقد أنه أصيب في الجزائر، وما هي إلا ردة فعل لحادث.

استدعى بالقاعة مجموعة من النساء اللواتي فقدن إما زوجا أو أخا، أو أحد الأقارب، ولكي يصنع نوعا من التأثير على المحكمة، بدأ بشحذ الحقد فيهن، كان يركز على كل تهمة يوجهها إليّ، فينادي عليهن ويذكّرهن بأن هذا الشخص الذي يمثل أمامهن هو المتسبب في اغتيال أقاربهن، قامت بعضهن وتوجهن نحوي وهن يقسمن بأن فقيدهن لم يكن مخبرا، ولكن كان يبحث فقط عن لقمة عيش ليعيل بها أبناءه...فتكوّن جو مشحون بالحقد والكراهية نحوي وأنا بمنصتي التي تعلو قاعة الحضور، وخاصة عندما توجه محافظ الحكومة نحو هؤلاء النساء وقال: أيتها السيدات..أمام هذا المشهد المؤثر، ما هو الحكم الذي يستحقه هذا المجرم كشود؟...ألا يستحق أن يحرق بالنار؟ كما حرق السفاح قائد النازية "هتلر"بسبب جرائمه، ولذا فإنّني أطلب من السادة القضاة الحكم بالعقوبة القصوى « la peine capital»، لم أفهم جيدا في الحقيقة، آنذاك، معنى هذه الجملة، رغم أنني فرحت بأن المحافظ لم يتفوه بكلمة الإعدام، لأني لم أكن أعرف بأن العقوبة القصوى هي الإعدام.

أخذ الكلمة المحامي الذي كلفته جبهة التحرير الوطني، والقادم من مدينة ليون، وكان ماهرا، وكان من المقاومة الفرنسية، ويظهر عليه تقدم في السن، فتوجّه بداية إلى رئيس الجلسة، وكان حسب ظني برتبة لواء، فقال له: سيدي الرئيس، أظن أنّني أنا وأنت نتعارف، فنظر إليه الرئيس لكنه لم يرد عليه، ولكن لم يدع الحيرة تعلو وجوه الحاضرين، فقال له: معنى هذا أنا وأنت تعارفنا عندما كنا نقاوم النازية، أي كنا مثل هذا الطفل الذي هو أمامكم، والذي لم يقم إلا بواجبه نحو وطنه، فها نحن الآن نجرمه على أفعاله التي كنت أنا وأنت نقوم بها.

رجع إلى آخر القاعة، ثم عاد بعد أن شمر على لباس المحاماة ثم صرخ وقال محتجا على ما جاء على لسان محافظ الحكومة: أنا خجل من أن أكون فرنسيا وكرر الجملة ثلاث مرات «j'ai honte d'être Français» فاحتج محافظ الحكومة ووجه له إنذارا قبل أن يغادر القاعة، فصمت قليلا، ثم أمره الرئيس بالمتابعة، فأضاف: كيف نقارن أعمال هذا الشاب وشخصيته بأحد السفاحين العالميين الذي استطاع أن يهول العالم ويقضي على أكثر من خمسين مليون شخص؟ كما حصل للمجرم هتلر الألماني إبان الحرب العالمية الثانية.

بعد ذلك أخذت المحامية كلمة أرادت أن تكون في نفس السياق، تلاها المحامي الذي عينه لي أبي فحاول تبرئتي وإلقاء كل اللوم على حملاوي الذي كان صديق الصبا فقط، مما جعلني ألتقي به، وهذه رعونة الطفولة، وليس للمحققين أي دليل فعلي لتجريمي يمكن الاعتماد عليه لمحاكمتي.

والحقيقة أن الأدلة كانت موجودة، فأنا فار من الإقامة الجبرية، حيث كنت تحت الرقابة القضائية، وكنت متابعا في قضية مماثلة بفرنسا، ومررت بعدة سجون بكل من فرنسا والجزائر، ثم المعركة التي قمت بها بالمدينة، والشهود الذين ذكروا في حيثيات الحكم، وإعطاء أوامر للفدائيين للقيام بأعمال ميدانية، ثم تحضيري لأعوض قائد الفدائيين بقسنطينة، ولهذا عاملوني كمجرم وليس كجندي فقط، ولم أبح إلا عن العملية التي قمت بها بعد عودتي في حانة السلم بالقصبة، وأجروا معي الخبرة هناك على أساس أنا من قمت بالعملية وكفى، ولم تكن لهم أدلة قاطعة لأنني جعلتهم يشكون في كوني الفاعل الأصلي بسبب تمويهي لحقيقة كيفية تنفيذ العملية.

هذه التهم فقط يكون الحكم فيها بالإعدام، لأن عقوبة الفدائي كما قال حملاوي، نتمتع بالحلويات، لكن إذا وقعنا ندفع الثمن كاملا، لأنهم كانوا يرون فينا خطر على

المستوطنين بالأساس، ثم على الأمن العام، بينما المجاهد تكون الأحكام التي تصدر في حقه أقل، فهو في الجبال، يواجه رجالا مسلحين، يقتل ويُقتل، وهذا ما وقع مع بشير بورغود القادم من الجبل، حيث لم توجّه له إلا تهمة حضور المعركة الأخيرة ولذا أحيل الى مختلف المعتقلات أين لم يسلم من العذاب بطريقة إجرامية كما حكى لي هو بنفسه الى غاية نيل الاستقلال.

رفعت الجلسة، وأحيلت القضية للمداولة، وبعد أسبوع تم النطق بالحكم المؤبد في حقي، ففرحت، لكن ما أحزنني هو أن عبد الرحمان بخوش حكم عليه بالإعدام، لأنّ الأخت التي سَلَّمت له خنجر العملية التي نفذها لم تتحمل العذاب المسلّط عليها وواجهته بالحقيقة.

وعلي هنا أن أشير أن عدم الحكم عليّ بالإعدام قد يعود الى ما طلبه بنيستي من والدي من مبلغ باهظ، كان والدي رحمة الله عليه يعجز عن توفيره، مما جعله يسّر بالأمر إلى صديق له، تاجر كبير إسمه عمي حمدي رحمة الله عليه، الذي قال له: أنا موجود افعل اللازم وسأمدك بالمال الذي تحتاج.

وفي الحقيقة فإنّ بنيستي اليهودي كان يُقسم لوالدي بما يفرق بين ديننا ودينه، بأنّ المال الذي طلبه لم يكن له بمفرده بل نصفه لجهات معينة تساعده، وطلب منه ألاّ يسأل من تكون، أما

والدي فلم يكن يهمه إلاّ فعل كل اللازم كي لا يحكم علي بالإعدام.

فرح زملاء السجن بعد عودتي فرحا شديدا، لكوني نجوت من المقصلة، لكن بعد أيام قليلة جاء والداي لزيارتي، فلمّا التقيت بهما، وأنا فرح بالحكم الصادر في حقي، لاحظت أن أبي يخيّم عليه الصمت، وأن أمي بدأت عيناها تدمع، فاحترت وأردت أن أتساءل عن السبب، فقلت: مابكما؟ ألستما فرحين بأنني نجوت من حكم الاعدام؟ عندما كنتما تأتيان لرؤيتي كنت آتي ويداي مكبلتان، ورجليّ مغلولتان، أما الآن فها أنا بدون قيود، فرد عليّ أبي في دهشة، فقال ألم يقولوا لك أي شيء؟ فقلت لا، ماذا هناك؟ فقال إذاً الذي قرأ لي الجريدة قرأ الخبر خاطئا، فعدت إلى الزنزانة وأنا محتار في أمري.

لم تطل المدة حتى جاءني الحارس وطلب مني أن أرافقه إلى مكتب المراقب العام للسجن، فسرت معه، ولما دخلت المكتب، فتح لي سجل كالعادة وقال لي: أمضي هنا، فقلت على ماذا أمضي؟، فقال لي: على إستئناف الحكم، فقلت: أنا راض به، ولم أطلب الإستئناف، فرد علي بأن محافظ الحكومة هو من طلب الإستئناف، ولم أكن أعرف بأن للمحافظ الحق في طلب الإستئناف للحكم بالاعدام.

سقط الخبر عليّ كالصاعقة، كيف لا وقد كان لكلام المحامي الذي أتى من ليون، والذي بالنسبة لجميع الفرنسيين الموجودين بالقاعة، كلام استفزازي، وخاصة بعدما ردد جملة "أنا خجول من كوني فرنسي"، مما دفع بمحافظ الحكومة أن يستأنف، وكان الجميع على ما يظهر راض بما تلقاه من المحامي اليهودي من رشوة، ومن كلام القاضي "الليوني"، لكن، كيف انقلب المحافظ على القضاة، واستأنف الحكم من أجل المطالبة بالحكم علي بالإعدام.

بعد استئناف الحكم نقلت إلى سجن سطيف لمحاكمتي من جديد، كما طلب المحافظ، فصارت القضية بين الجلاد والضحية، وفهمت أن الفرنسيين يريدون تنفيذ حكم الإعدام في حقي في كلّ الأحوال، والحجة في ذلك كما ذكرت أن الاخوة الذين كانوا في مثل حالتي لم يمثلوا أمام المحكمة وتَمّ الإسراع بالنسبة إليّ، فبدأت أفكر عن احتمال القيام بفرار منظم، نقلوا معي الشهيد عبد الرحمان بخوش، لأنه استفاد من الإستئناف تلقائيا وهذا بسبب طلب المحافظ أما بشير ورابح جدو، و موساوي، فقد تَمّ الحكم على هذين الأخيرين بالإعدام، وحكم على بشير بالسجن.

• في سجن سطيف[1]:

بعد أن قبل المجلس الأعلى في باريس طلب محافظ الحكومة، الذي كان يطالب بالإعدام، نقلوني صحبة عبد الرحمان بخوش، الذي ألقي عليه القبض بعد مدة من معركة الدبابات، من سجن القصبة إلى سجن سطيف تحت حراسة مشددة، ولم يتحمل التعذيب وكشف بأنني أنا الذي جندته، وأنّ أمر تنفيذ حكم الإعدام في أحد الخونة قد تَمّ لمّا أتته الفدائية كريكري زهيرة وسلّمته أداة التنفيذ، وذكرت له أنّ هذه الأوامر من حملاوي، وقد واجهته بذلك لدى استنطاقها بعد تعذيب شديد، فلمّا وصلنا، حوّل عبد الرحمان إلى عنبر المحكوم عليهم بالإعدام، بينما أدخلت مع الذين لم يحكم عليهم بعد، ومع الذين تَمّ الحكم عليهم وينتظرون ترحيلهم.

وبمجرد ما دخلت الباب الأولى المؤدي إلى الفناء الفاصل بين العنبرين المتقابلين الخاصين بغرف النوم، والتي كانت تحتوي كل منها على حوالي 15 شخصا بكل غرفة، وبمجرد أن أغلق

---

1 - سجن سطيف ضيق الحجم كان به مدخل يفضي إلى فناء وحجرتين، خصصتا للفدائيين الذين ألقي عليهم القبض وينتظرون الحكم عليهم، معظمهم من مدينة العلمة، والباقي من سطيف، ومن بين الموقوفين الذين مروا به فقد نشرت قائمة ببعض الأسماء خاصة الذين حاولوا الفرار منه، والقائمة موجودة بمتحف الــوطني للمجاهد (مقام الشهيد)

الحارس باب العنبر، تقدم إليّ شخصان من المسجونين، تحت غطاء مساعدتي في نقل أشيائي الخاصة فرحبا بي، وسألاني عن إسمي، ومن أين أوتي بي؟ أي من أي سجن، فقلت محمد كشود، من سجن قصبة قسنطينة، لم يعني لهم إسمي أي شيء في الأول.

وكان هذا قبل المثول أمام لجنة السجناء من أجل التحقيق معي، والسبب في كون أعضاء اللجنة لم يتعرفوا على إسمي هو أن جلهم من أبناء العلمة، المدينة التي قدمت النفس والنفيس، وكان لها باع طويل في العمل الفدائي في مجال مفتوح، لكنه ضّيق، والحركة فيه تتم بحساب دقيق، ومن بين هؤلاء "الأبطال" بوقرة وكان أعور فاقد لعينه، وكذلك بلقاسم محروق، ومزيان... وآخرون، كما يوجد عدد آخر من مدينة سطيف، وغيرهم ومن الولاية الثالثة والأولى، لأنه كما نعلم أن مدينة سطيف كانت نقطة محورية تتقاسم أراضيها الولاية الأولى والثانية والثالثة، وكان من المجاهدين لحسن حموش، الذي كان رئيس قسم بالولاية الثالثة، على ما أعتقد، وعبد الحميد صابري، ومن الفدائيين، الربيع بوهدة..وغيرهم.

بأمر من أعضاء اللجنة، جلست معهم، وعلمت أنهم وضعوني في قفص الإتهام، ولكنني متعود على مثل هذه الأمور.. وبدأ كل واحد بإلقاء سؤال محدد مثل: متى ألقي عليك القبض؟ وما هي

التهم الموجهة إليك؟، وغيرها من الأسئلة، وكان بإمكانهم رفض وجودي معهم إن ظنوا فيّ شيئا، وكان أول سؤال بطبيعة الحال: من هو محمد كشود؟ سكت ولم أرد، فطلب مني، ما هي التهم الموجهة إليّ؟ فقلت مجرّد شكوك أنا بريء منها، وكان ردي هذا نظرا لكوني في حالة نفسية مزرية، تركوني لوحدي، وذهب أعضاء اللجنة للتشاور فيما بينهم، من أجل أن ينادوا على الحارس ويطلبون منه أخذي إلى حجرة مجاورة، خاصة بالذين لم تثبت في حقهم التهم، وهم في الحقيقة كانوا على حق فالمحققون كثيرا ما يدسون بعض المخبرين بين صفوف المساجين الذين ما زالوا قيد إثبات الأدلة في حقهم.

بينما كانت اللجنة المختصة بالتحقيق مع السجناء الوافدين الجدد، وقبل أن ينادوا الحارس لنقلي إلى غرفة ثانية، تليق حسبهم بالأجوبة التي رددتها عليهم، والحقيقة أني لم أكن على تركيز عالي في الرد على استجواباتهم، فقد كنت متعبا صحيا ونفسيا، بالي مشغول بالتفكير في طلب المحافظ الإستئناف، كما أن جرحي ما زال لم يلتئم ولم يبقى لي إلاّ حل وحيد يتمثل في الفرار.

بقي معي شخص واحد، وتم الإتفاق من قبل لجنة المساجين بأن ينادوا الحارس ويطلبون منه تغيير حجرة حبسي، باعتبار أن قضيتي يسيرة وقد تنتهي في أقرب الآجال.

كان الشخص الذي بقي معي يحاول التقليل من روعي، وقال لي فيما أتذكر: لا تخف يا أخي، أنت حسبما ذكرت لنا، يهمك أن لا تبقى معنا في السجن إلا لمدة قصيرة، فقلت في نفسي إن شاء اللّه...إذا لم يأخذوك إلى المعتقل، ثم أضاف: أنظر ذلك الشخص أمامنا، محكوم عليه بعشرة سنوات، والآخر المقابل له بعشرين سنة، ونحن ما زلنا ننتظر، لا تخف.

استجاب الحارس لنداء أعضاء لجنة السجناء، فجاء وفتح كوة الباب، أو النافذة الصغيرة التي يراقب منها السجناء دون أن يفتح الباب، وسألهم عن ما يريدون، فقال أحدهم، بالنسبة للمتهم الأخير الذي جئتم به فقضيته لا تتطلب بقاءه معنا هنا، وعلى هذا يمكن أن تأخذوه إلى العنبر الآخر.

ضحك الحارس ضحكة استهزاء، وقال لهم: وهل تعرفون من هو؟ إنه نائب الزئبق، حملاوي، بقسنطينة، ألقي عليه القبض في معركة قسنطينة، إن التهم الموجهة إليه تساوي التهم الموجهة إليكم جميعا، ثم أغلق الباب وعاد من حيث أتى.

فوجموا لما عرفوا حقيقتي من فم الحارس، نظروا الى بعضهم البعض وعلامات الإندهاش بادية على وجوههم، أمّا أنا فبقيت صامتا دون أن أعقّب.

فسارع أحدهم ودخل إلى مكان كان يخفي فيه جريدة لا ديباش، الصادرة يوم11 جوان 1960، التي تصف معركة

قسنطينة، وكيف تم القضاء على خليتنا، وبعد أن تيقنوا بأنّني المذكور، عادوا مسرعين إليّ، وقال لي أحدهم معاتبا: لمَا لم تقل شيئا أخي الحبيب؟ لم نكن نعلم من تكون...فقدمت لهم اعتذاري، وحاولت أن أوضح لهم أني كنت منشغل البال بأمر آخر، ولم أكن أدري ماذا أقول، فأنا قد جيء بي إلى هنا معكم للحكم علي بالاعدام...فذهبوا من جديد لعقد اجتماع طارئ، ثم عادوا وطلبوا مني الحضور معهم في جلسة اللجنة، وكانوا قد اتفقوا على كل شيء، فبمجرد دخولي، طلبوا مني أن أقبل تعيني كرئيس للجنة جديدة، فحاولت أن أرفض، لكنهم كانوا يتصرفون بمنطق الثورة، فأجابني الرئيس وكان إسمه احسن حموش، ألقي عليه القبض في "زمورة" وكان حينها رئيس قسم: لسنا نتصّدق بها عليك..أنت مقدم علينا، نظرا لمكانتك بالأمس كمسؤول من جهة، واتهاماتك أخطر من اتهاماتنا من جهة أخرى، ومنطق الثورة يمنحك المكانة.

عند سماعي لهاته الكلمات تذكرت ما عزمت عليه سابقا من وضع خطة للفرار تكون قابلة للتنفيذ، فقبلت الاقتراح، وطرحت سؤالا على الأعضاء: ألم تفكروا يوما في الفرار من هذا السجن؟ فنحن لسنا مجعولين للبقاء بالسجون، ولم نعد لهذا وإخواننا في الجبال والمدن يكافحون؟، فتبادل الجميع نظرات

الاستفهام، واستحسنوا الفكرة، وقبلوا الاقتراح، فصارت اللجنة خلية تعد للفرار، وبدأنا في التفكير في الحلول المناسبة.

كانت الملاحظة الأولى عن الفدائيين الذين كانوا بالسجن، أنهم متحمسون كثيرا، لكن لم تكن لهم التجربة في كيفية معرفة تصرفات العدو ومواجهتها، وهذا لصغر سنهم من جهة، ثم أن التجربة تنقصهم، ولم تكن لهم معرفة بكيفية تعامل العدو مع الأسرى في كثير من الأحيان، إذ يوجد من بين الحراس من هو في مهمة من النظام داخل عنبر معين، يخضع لنظام الثورة كالسجناء تماما، لكن عمله يتميز بالسرية، لا تستخرج منه المعلومة لا بلين ولا بقوة.

ونظرا للفراغ الذي كنا نعيشه، ولنخوة الفتوة، وحماس الشباب، الذي كان رفقاء السلاح يتحلون بها، أرادوا أن يبرهنوا للسجّانين أنهم غير موافقين على الإجراءات المطبقة في المؤسسة العقابية، ومن جهة أخرى، لإحياء الذكرى الخامسة لعمليات 20 أوت 1955 التي أنعشت سير المواجهة المسلحة بين جبهة وجيش التحرير الوطني وجحافل الجيش الفرنسي والمليشيات المسلحة الداعمة له، طلبوا مني عقد اجتماع طارئ، وللتعرف عن هدف هذا الاجتماع الطارئ، تركت الشباب يتكلمون، فاقترحوا علّي أن نقوم بغوغاء وصياح، وخبط الأبواب، والقيام بما يلفت انتباه

الإدارة على ما تقوم به من عقاب نفسي وجسدي ضدنا، ولنتفاعل مع الحدث الهام.

طلبت منهم ضرورة التعقل وقلت لهم: لا تنسوا أننا في قبضتهم، وبإمكانهم أن يفعلوا بنا ما يشاءون، ونحن لا نملك بأيدينا شيئا، فيغتنمون الفرصة من خلال هذه الهفوة وهذا العمل الذي طالما خططوا له، ليظهروا لنا أننا في أضعف وأسوء حال، فلا تنسوا أنهم يعملون أي شيء يعبرون من خلاله على إذلال السجناء خاصة "ذوي الرؤوس الخشنة"، أي المحكوم عليهم بعقوبات عالية، ثم الشباب، حتى لا يثور من جديد، ثم أنكم في خانة "سجين خطير" لا يسمح له بالخروج من السجن لأي سبب كان أي أنهم سيتلذذون بتعذيبنا بسبب هفوات قمنا بها .

كنت أظن أن تعييني على رأس لجنة السجناء سيكون له معنى، لكن لم يكن لكلامي أي تأثير، فلم يكترثوا له، وبدأ "الحيص بيص"، وبدأوا يصيحون ويكسرون كل ما يصادفونه من عتاد، في الفناء، فاغتنم مدير السجن الفرصة واستنجد بفرق الأمن الخاص « CRS» وبدأت المواجهة بين رجال مدججين بالسلاح، مدربين على مكافحة الشغب، بأعداد كبيرة، ضد شباب أعزل، محصور داخل فناء صغير لا تتعدى مساحته 40 م^2، فاشفوا غليلهم فينا، مستعملين العصي وأخمص بنادق MAS 51، أسقطونا أرضا، وأصبح الفناء عبارة عن بركة دم، كنت

متكأ على حائط الساحة لا أستطيع أن أتحرك والدماء تتدفق من مختلف جوارحي، بينما لم يتم إنقاذ إلا من لاحظوا فيهم حالة الخطورة، وهذه حالة من يتهور في إرتكاب أمور بديهية.

محاولة الفرار من سجن سطيف:

سمحت لي هذه الأعمال بالتفكير جديا في تدبير عملية فرار، وكنت مُصِرّا على اتخاذ جميع التدابير الاحتياطية من أجل عدم الوقوع في ما وقعنا فيه عند محاولة الفرار من سجن سان موريس لاردواز، أمّا ما يحفزّنا فهو نجاح عملية فرار جماعة مصطفى بن بولعيد من سجن الكدية، فعقدت مع أعضاء لجنة السجناء اجتماعا طرحت في البداية عليهم اقتراحين:

- طلبت من إخوين إثنين، الأول من الولاية الأولى والثاني من مدينة سطيف بأن يتصلا بالنظام في سطيف كي يتّصلوا بأحد الحراس الجزائريين، لينسّق معنا لاعداد خطة للفرار، لاسيما أننا كنا نتوسم في اثنين منهم الخير، كان الأول من مدينة بجاية، إسمه يحيى والثاني من مدينة سطيف، اسمه بلهوشات الخيّر.

- أما الاقتراح الثاني فهو توفير آلة حادة تمكننا من حفر جدار السجن، لأنه كان هشا، بني منذ وقت قديم، وكان ملاطه من تراب، ويمكن نبشه حتى نتمكن من تعرية الحجارة، لنكون فجوة تمكن الشخص المرور عبرها إلى جدار ممشى الحراسة،

بمحيط السجن، حيث كانت دورية تقوم بالرقابة عليه، قبل أن نتسلق الجدار الثاني المحصن بالأسلاك الشائكة، وكان يبدو لنا كل شيء بسيط و سهل، يمكن التغلب عليه في نظرنا، فاستحسنا الفكرة.

فبالنسبة للاقتراح الأول، لم يتم الاتصال بالنظام عن طريق الاخوين المذكورين سلفا، فبادرنا لطلب الاعانة من الحارسين فجاء الرد بالإيجاب، من كليهما، ولا شك أنّهما كانا بدورهما على اتصال بالنظام، فوضعنا خطتين متمثلتين فيما يأتي: أن نقترح على الحارسين فتح أبواب الزنزانات للفرار، وفي حالة عدم نجاح الخطة نضع خطة بديله تتمثل في الحفر لغاية أن نصل الى ممشى الحراسة ونحتاج في ذلك لمخطاف، نطلبه مسبقا منها.

فوافقا على بذل ما في وسعهما، وأكّدا أنهما سيحولان صنع الظروف الملائمة لتنفيذ العملية بنجاح بعد اختيارالوقت المناسب لذلك، كما أحضرا لنا المخطاف.

إذن نجحت عملية فتح أبواب زنزانات المحكوم عليهم بالإعدام، مما جعلهم يفرون كلهم، وكان من بينهم زميلي وصديقي عبد الرحمان بخوش، الذي التحق مع رفاقه إلى الولاية الثالثة، وأنهى واجبه هناك باستشهاده فداء لهذا الوطن.

أما بالنسبة إلينا ، فقد بقينا نترجى لكن بدون أمل إذ لم يأتي إلينا أحد حتى يوم الغد ، حيث لاحظنا أننا بقينا في حجراتنا ولم يفتح علينا للخروج إلى الفناء للترويح عن أنفسنا ، كما جرت العادة.

وبعد مدة عرفنا أن عملية الفرار قد تمت بالنسبة للمحكوم عليهم بالإعدام، ولم يتمكن الفاعلون من فتح أبواب حجراتنا لضيق الوقت، فرحنا كثيرا لنجاح الجزء الأول من الخطة ، وفرار السجناء المحكوم عليهم بالإعدام، وكنا سببا في ذلك ، وفرحتي كانت أعظم بفرار صديقي عبد الرحمان بخوش ونجاته من تنفيذ حكم الإعدام فيه ، حيث كنت وراء أعماله الفدائية ، كما كنت وراء عملية فراره، فرحمة اللّٰه عليك يا أخي عبد الرحمان.

سقط إذن دليل من الأدلة الدامغة التي كان يعتمد عليها القضاء، في نجاح محافظ الحكومة في حصوله على حكم الإعدام في حقي.

لم نيأس من الخطة البديلة، أي الاقتراح الثاني، فبدأنا بتطبيقه ، وكان همنا الأول هو توفير آلة حديدية تساعدنا على الحفر، فلجأنا إلى فك باب مدفأة قديمة غير مستعملة ، رغم أن العمل كان صعبا ، غير أننا كنا نرى أمل خلف كل لحظة

عمل، وبعد كل نجاح في نثر التراب في مجاري المياه، وفي صندوق القمامة.

وحتى لا نلفت نظر الحراس إلى عملية الحفر، تقرر إنشاد ما نعرفه من أدب الثورة، وسلام وطني، أو نقوم بالغناء والرقص ونحن وقوف، لأن الحرس كان يقوم بين الفينة والأخرى بعملية المراقبة، وقد جاءتنا هذه الفكرة بعدما سمعنا عن قصة فرار جماعة بن بوالعيد من سجن قسنطينة.

لم تكن الخلية المكلفة بالحفر هي المهتمة الوحيدة بالعمل الجاري[1]، فالحفر كان سهلا، لأن ملاط الجدار كان هشا، وكنا نعمل على فتح ثغرة، أو ثلمة صغيرة، تمكّن من خروج الشخص خارج جدار الغرفه التي كنا فيها.

فبينما كنا مهتمين بحفر الجدار كي نتمكّن من الخروج الى الممشى يبقى أمامنا تسلق السور الأخير ولتحقيق ذلك نحتاج لوسيلة نربطها في المخطاف، وكنا نفكر في استعمال ملابسنا لصنع حبل، ففاجأنا أحد السجناء يدعى"بوقرة لعور" بعمل فردي، وهو ظفر حبل متين من أشرطة صغيرة استخلصها من بطانية.

---

1 - استنادا إلى تعليمة من وزارة المجاهدين، تتعلق بجمع مآثر الثورة والوسائل المستعمل في تنفيذ جزيئات الفعل التاريخي، أخذ هذا الحبل وهو معروض بالمتحف الوطني للمجاهد ومتحف الجيش.

تفاديا لإكتشاف الأمر من طرف الحراس، فقد أبقينا الخبر سرا، حتى على الحجرة الملاصقة لحجرتنا، وبما أن عددنا يبلغ 15 فردا، واستعدادا للخروج، تم توزيعهم على ثلاثة مجموعات، بكل مجموعة 5 أفراد، لكن المفاجأة الكبرى التي أدهشتنا هي أن جهاز الأمن بالسجن تمكن من الوصول إلى المعلومة التي تحدد نوع العمل الذي نقوم به، بفعل الوشاية التي نجهل مصدرها، إذ ورغم كل الاحتياطات السرية، والعمل الدقيق، كان على علم بما نقوم به، مما جعله يتخذ جميع الاحتياطات للقضاء على الفارين فور خروجهم من الجحر والوصول إلى الممشى المعد لدورية الحراسة، فتركنا نتابع أعمال الحفر والتقدم نحو السور الخارجي، وقد لاحظنا أنه حتى الحارس المعتاد الذي يراقب الغرف قبل النوم لم يمر آنذاك.

اتفقنا على الطريقة التي نطبقها، وأسندنا المهمة إلى إخوة من مساجين جيش التحرير الوطني لإتمام هذه العملية، لأنهم أكثر دراية بالطرق التي يجب أن نسلكها، حتى نصل إلى المكان المقصود، فقمنا بعملية اقتراع عن من يخرج الأول من الأفواج، حتى لا يقع ازدحام وتفشل العملية، وأصبح كل شيء جاهز، ثم بقينا ننتظر حلول الظلام، لأننا حددنا العملية بالساعة الصفر.

وفي الوقت المحدد، وكلنا ثقة بأننا سنغادر حتما السجن في هذه الليلة، طلبت من الجماعة الابتعاد عن الفتحة، ووضعت

غطاء فوق عصى المكنسة، ورفعتها ثم أعدتها، وقربت أذني من الحائط فسمعت تخزين ذخيرة الماط 49، فشممت رائحة الخيانة، وعرفت أن الحراس على أتم الاستعداد للمواجهة، فعدت إلى الوراء وكأن صاعقة نزلت عليّ، فأعاقت كل جوارحي، وبقيت مذهولا، وخيم عليّ الصمت الرهيب، ثم أمرت كل واحد أن يلتزم مكانه، فبدؤا بطرح أسئلة متتالية، ومتكررة، وبدأت التعاليق تتوالى، وأنا أنظر إليهم في حيرة من خيبة الأمل، دون أن أنبس بكلمة، لكن لم تمضي إلا لحظات حتى فتح باب الحجرة، ودخل علينا الحراس مدججين بالسلاح، وطلبوا منا خلع ملابسنا كاملة، ثم أخذونا إلى الزنزانات الانفرادية، ومن الغد جاء قاض للتحقيق معنا.

بعد تعنيف جسدي ولفظي من قبل حراس السجن، أخذونا إلى المحكمة، وكان يرافقنا عدد من الجندرمة من كبار السن، كالعادة وشاع الخبر في سطيف بأن السجناء الذين حاولوا الفرار من السجن سيحاكمون، وأن الفدائي الخطير الذي استشهدت معه البطلة مريم بوعتورة وحملاوي سيمثل أمام المحكمة، وباعتبار أن مريم، كانت عائلتها تقطن مدينة سطيف، وهي خريجة مدارس سطيف، فحضر جمع غفير لمتابعة مجرى المحاكمة، والتعرف علي، انا الشخص الذي آخى

الجهاد بينه وبين مريم، واستشهدت بحضوره الإيجابي إلى جانبها.

أدخلونا قاعة المحاكمة، التي توجد بالطابق الأول، وكانت أول مرة أمثل أمام قاض مدنيّ في الجزائر، وهم يفكون القيد من يدي ويفعلون نفس الأمر مع من رافقني لاحظت من بين الحضور امرأة، تنظر الي باهتمام وتركيز شديدين، فبادلتها النظرات، وفتحت لها ذراعي وانا أنادي عليها أهلا بك يا أختي، فجاءت بكل شوق مسرعة لتحتضنني، إلاّ أني جعلتها واسطة بيني وبين ضابط الجندرمة، وبقيت هي مذهولة مما أصابني، وهنا أغتنم ذكر اسمها المجيد، بعد ست وخمسين سنة من الواقعة، لأترحم عليها حية أو ميتة، وأطلب منها الصفح عما بدا مني نحوها، شعرت أني خدشت كبريائها، لكني لم أقم بهذا العمل إلاّ رغبة في إتمام المهمة النبيلة التي بدأتها مع حملاوي ومريم بوعتورة مدللة السطايفية، لأن الشعار الذي كان يلازمني دائما هو" وللحرية الحمراء باب بكل يد مدرجة تدق"، لكن هذه الأخت تأكدت من أن شقيقتها مريم لم تكن في زمرة جبناء، و تحققت من أنها كانت تتمتع بشجاعة وقوة إخوانها الفدائيين.

وفي لمح البصر قفزت نحو الباب المؤدي لخارج قاعة المحاكمة، ثم وصلت السلم، فقامت القيامة في القاعة، وكثر

الصراخ من طرف قائد الجندرمة: لقد هرب...أقبضوا عليه، تمكنت من الوصول للمخرج الرئيسي، وعندما فتحته وجدت مسدسا رشاشا موجه إلى صدري، فأذعنت للأمر وأعادوني إلى القاعة بالطابق العلوي الذي تتم فيه المحاكمة.

عند نهاية سرد الوقائع سأل رئيس الجلسة النائب العام عما يريد قوله في حقي، فأجاب "ماذا يمكن أن أقول لكم، لقد جئنا به من أجل محاكمته على محاولة فرار، فها هو يحاول أن يفر من بين أيدينا، وسط هذا الحشد، وهذا العدد من رجال الأمن، ولذا أطلب منكم الحكم بما يلاءم هذه الأفعال".

تمت محاكمة الجماعة ونطق بأحكام تتراوح بين ستة أشهر وأربعة أشهر، وعندما أعادونا إلى السجن طلب منا هل يوجد من يريد استئناف الحكم؟، فأجبت بنعم، فقال لي المفتش الرئيسي للسجن، لماذا تستأنف؟ وعن ماذا تستأنف؟. أنت محكوم عليك بالمؤبد و 20 سنة، وتنتظر حكم الإعدام، فماذا يعني لك الحكم بستة أشهر أو أربعة؟ فقلت له هذا حقي، وأصررت على الإستئناف.

لاشك أنهم لم يفهموا قصدي من الإستئناف، لأنه عندما نستأنف ينقلوني إلى سجن آخر أي منحي فرصة أخرى للفرار، لأنّ الأمور بهذا السجن أصبحت لا تطاق، من خلال الاحتياطات التي اتخذوها منذ محاولة هذا الفرار، ثم أني كنت أفكر في

التخلص من قيودي والفرار عند نقلي، لأني كنت متيقنا أنّ المرافقين للمساجين سيكونون من عناصر الجندرمة القدماء، ولذا طلبت من أحد الأصدقاء الذي طلب هو الآخر الاستئناف حتى يكون مرافقا .

نقلنا تحت حراسة مشددة من طرف حارسين يشاركانا في الأصفاد التي تزين معصمينا، فقلت لصاحبي: عندما أشير لك برأسي، قم حالا بخنق صاحبك الجندرمي، مستفيدا من عنصر المباغتة، وأقضي أنا أيضا على صاحبي، ثم نأخذ المفاتيح ونفك أغلالنا ونفر من القطار قبل وصوله إلى المحطة، فقبل الخطة.

جلسنا في مقصورة عربة واحدة، على مقعدين متقابلين، لكن لما اقتربنا من مدينة العلمة أشرت له برأسي، فأدار لي رأسه مبديا عدم استطاعته، ورفضه للعملية، فلم أستطع أن أنفذ العملية وحدي، وتابعنا طريقنا والنار تأكل أحشائي بسبب الفرصة الضائعة.

أعترف أنه عندما وصلنا إلى قسنطينة ووجهونا إلى سجن الكدية، ولما دخلت بابه أذرفت الدموع لأول مرة على عدم تمكني من الإفلات من بين أيدي الجندرمة المتقدمين في السن، وقد كانت لنا فرصة حقيقية ولكن شاء القدر أن أواجه قدري بهذا السجن.



بأحد مراكز جيش التحرير الوطني بالناحية الثانية المنطقة الثانية من الولاية الثانية من اليمين: المجاهد عمار النجار احد خريجي جامعة الزيتونة. محمد كشود(المدعو عبد الله)، المجاهد الحبيب بن مستورة من الغرب الجزائري.

الفصل الخامس

نسيم الحرية

- **بسجن الكدية بقسنطينة**

وصلنا إلى محطة القطار بقسنطينة، فنقلونا إلى سجن الكدية، وأخذونا إلى القاعة الشهيرة، التي فر منها مصطفى بن بوالعيد وجماعته، فوجدت بهذا السجن جماعة كبيرة ممن كنت أعرفهم، وفيهم من تعرفت عليهم، أمثال: حسين زعموش، (المدعو لمشلط)، وكان من أشاوس مجاهدي جيش التحرير الوطني بالمنطقة الثانية، ألقي عليه القبض خلال معركة قرب الميلية، ومقداد جدي، أحد رؤساء منطقة الأوراس، وقد ألقي عليه القبض هو الآخر مرتين، تمكن في المرة الأولى من الفرار، ومحمد بلعايب، وهو من الفدائيين، كما التقيت بمحفوظ بنون، وكان المبعوث الدائم للأخضر بن طوبال، وعبد الكريم سرايدي، وعبد الرحمان طلحة، (المدعو بن الميلي)، وبوبيدي عبد الرحمان (المدعو بتي لبان)، أي اللبان الصغير، كان يبيع الحليب ويتنقل به عبر الشوارع، وأثناء الحرب قام بعملية جريئة، وهي اختطاف مسدس رشاش من يد أحد الجنود السنغاليين كان يقوم بالحراسة بنهج "بيان في"، غير بعيد عن سكنه، في حي أولاد ابراهم، وكان له صديق يلازمه اسمه "خوجه"، وكان كثير التردد على السجن، بسبب المخالفات التي كان يقوم بها، وكانت لي مع بتي لبان قصة سأسردها في حينها.

التحق بتي لبان مع بعض من أبناء حي أولاد ابراهم أمثال مسعود الماصو ويوسف خلاصي، وغيرهم، لكن إستراتيجية الثورة جعلت البعض منهم يصعد إلى الجبل، بينما أبقت على البعض الآخر، ولم يكن من الممكن أن يسأل عن السبب، ولا عن اختيار الأشخاص.

بمجرد وصولنا إلى سجن قسنطينة أو سجن كدية عاتي، والتعرف على هؤلاء الرجال، حاولت أن أناقش معهم إمكانية الفرار، فقلت لهم بأنه لسنا من يرضى بالسكون تحت سيطرة العدو، وتم الاتفاق بيني وبين حسين زعموش المدعو "المشلط"، والمقداد جدي، الذي كان رئيس منطقة بالولاية الاولى، قبل أن يلقى عليه القبض، فأجابوني بأن الأمور هنا ليست كما أتصورها، فهي صعبة للغاية، خاصة بعد عملية الفرار الناجحة التي نفذها بن بوالعيد ورفاقه.

لما دخلت سجن الكدية وجدت أحد الفدائيين القدامى المدعو بوبيدي، وكما قلت فالقصة التي وقعت لي معه هي أنه بعد خروج "خوجة" من السجن جندناه، فسلك الطريق المستقيم، في الجبل، لكن نظرا للشكوك التي كانت تحوم حولهما (خوجة، وبتي لبان) أرسلهما النظام إلى الحدود التونسية، لكن بتي لبان انخرط في فرقة سليمان لاصو، المحارب الشجاع، الذي اشتهر بتهوره، حيث أسس كومندو من نفس طينته، وكان مكلفا

بإدخال السلاح وإيصاله إلى الولايات الداخلية، لا سيما الولايتين الثالثة والرابعة، وكان حسن لمشلط يحاول أن ينبهه إلى ضرورة التحفظ في التعامل مع المجالس المحلية التي كان يحتقرها، قبل أن يتخذ معه طرقا أخرى قد لا يحمد عقباها.

ألقي القبض على بوبيدي، وجيء به إلى سجن الكدية، لمحاولة فراره من قبضة الجيش الفرنسي، لاسيما و ان التهم وجهت له على انه سلم نفسه للعدو، ثم ندم فحاول الفرار فلم ينجح، فلما رآني فرح واستبشر خيرا، لأنّ جل الفدائيين القدماء قد استشهدوا أو التحقوا بالجبال، فوجدني وهو يرجو مني أن أضمن فيه بعد الاستقلال.

كان معنا في الحجرة الشهيرة الممثل القدير"قاسي القسنطيني"، والذي مثل عدة أدوار سينمائية، فيما بعد، ومن بين الأدوار التي مثلها: براح قرية تالة في فيلم العفيون والعصا، والمشهور بصيحة: يا ناس تالة، اللّه يسمعكم بالخير والعافية.

وكان يروح على النفس ويجعلنا ننسى همومنا التي نعيشها، ومن بين المواقف المضحكة التي فاجأنا بها، موقفه مع الشريف دربال الذي أصابه مغص وألم شديد في بطنه، فبدأ يتخبط ويلتوي من شدة الألم، فسأله قاسي: ما بك تئن؟، ماذا أصابك؟ فرد دربال : بطني أظن أن سرتي سقطت(طاحت) فقام قاسي مسرعا وصاح في النزلاء الموجودين في الحجرة: أيها الإخوة، قفوا

في أماكنكم، وبدأ يبحث تحت أفرشتهم، ثم قال مخاطبا الجميع: أرجوكم من عثر على سرة الشريف يأتينا بها حالا لنخفف الألم عنه بإعادتها إلى مكانها، فانفجر الجميع ضاحكين بما فيهم الشريف دربال الذي قام معافى لا يشتكي من ألم.

كنت في بعض الأحيان أقوم بإمامة المساجين، غير أن بتي لبان كان يقبع في زاوية ليتفرج على المصلين، ونحن خشوع في الصلاة يقوم بتي بلبان بالتعليق فيقول: يا إخوتي، من لا يعرف إمامنا في صغره يقول بلا شك هذا خليفة الشيخ ابن باديس، فلا أتمالك نفسي من الضحك، ثم أعاتبه على فعلته، هذا قبل أن يلتزم بالصلاة فيما بعد، وإلاّ سيجبر على دفع غرامة تتمثل في كيلو من السكر كنت أنا نفسي أدفعها بسبب كسلي عن القيام لصلاة الفجر جماعة، مما اضطرني أن أستعمل كل المال الذي كان أبي يحضره لي في شراء السكر ووضعه في رف علوي فوق مكان نومي، فأنا لم أكن بفضل الله أدخن ولا أقتني الشمة، فكلما اتى أحدهم لايقاظي أشرت له بأخذ كيلو سكر من فوق.غفر الله لي.

عملية الفرار من سجن قسنطينة:

شكلنا فوجا متكون مني ومن زعموش والمقداد للبحث عن وسيلة للفرار، ونظرا لكوني مسجون جديد، فلم أكن أعرف

التفاصيل عن مخطط البناء، صرت أنطوي على نفسي للتفكير في كيفية إيجاد حل ملائم يعتمد على حل داخلي وخارجي، لأن كل عمل ناجح يتطلب فكرة صائبة و دراسة ناجحة.

بعد وقت قصير، طلبت عقد اجتماع الفوج، فاقترحت أن نطلب من السجانين السماح لنا بالخروج للساحة، فنقوم ببعض التمارين الرياضية، وبعدها ننقض على الحارس الوحيد الذي يرافق عمال البلدية المكلفين بالنظافة، وبعد أن نقضي عليه نأخذ سلاحه ونخرج ما دام مفتاح الباب معه.

كنت أظن أن الخطة المقترحة قابلة للتنفيذ، لكن فاجأني حسين زعموش بقوله: "الاقتراح غير صائب، وهل تظن أنت أنه في حالة قبول مدير السجن اقتراحك، يتركنا مع الحارس الوحيد والمفتاح في جيبه"، فرفعت الجلسة.

جاء الاقتراح الثاني المقدم للفوج، بعد أن لاحظت وجود سلم طويل بالساحة، فاقترحت عليهم أن نقتل الحارس الذي يتجول معنا ونأخذ المفتاح من جيبه ثم نخرج بواسطة السلم، نضعه على الحائط، ثم نقفز، فأجاب حسين زعموش بقوله: "إذا قمنا بكل هذه الخطوات وصعدنا السلم فأين نصل؟...نصل إلى درب محيط السجن، أي يبقى سور آخر، فكيف نخرج من هذا الحائط؟". فقلت: يأخذ آخرنا السلم ونستعمله للمرة الثانية للوصول إلى

سطح السور الثاني، فأجابني: ومن يمنحك كل هذا الوقت لكي تقوم بهذا السيناريو؟.

التزمت الصمت برهة، ثم قمت مرة أخرى من الاجتماع، من أجل لملمة أفكاري، والبحث عن طريقة عملية بديلة، وبعد وقت قصير، طلبت من الفوج المصغر الاجتماع، واقترحت عليهم خطة أخرى تقضي باستعمال القوة والخروج عنوة بعد قتل الحارس، ثم نفتك السلاح منه، ونأخذ المفتاح... تأملني زعموش جيدا، وبعدأن فهم أني أصبحت متأثرا ومنزعجا، واني أفكر بحماس غير منطقي، فلامني على الموضوعية في طرح الأفكار، ضحك معي وقال لي: يا محمد اقترح علينا فكرة عقلانية قابلة للتنفيذ، والخروج من السجن سالمين، نحن نرى فيك فدائيا، تنقض، تقتل...قل لنا رأيا ليس فيه القتل، أو لأنك أنت مؤهلا للمقصلة تريد أن تأخذنا كلنا معك؟.

ورغم أن كلام زعموش كان من باب المزاح فقط، إلا أنه كان يعرف أني كنت منفعلا، لكن كلامه لم يسقط في أذن صماء، إذ أني انتبهت الى أن عملية الفرار يجب أن لا تكون عملية انتحار، كما تبين لي، الفرق بين تفكير الفدائي، الذي يتطلب عمله السرعة واتخاذ قرارات ظرفية، نظرا لعمله بين زبانية النظام وأتباعه، عدم التردد، لأن الوقت من ذهب إن لم تغتنمه دهب، وتفكير المجاهد، الذي يستدعي التدقيق في

الأمور والتخطيط لكل عملي مسبقا، وبعد النظر، ومباغتة العدو... فرحمة الله عليك يا أستاذ زعموش.

جمعت أفكاري، وأعددت سيناريو جديد للهروب، فخطرت على بالي فكرة، راعيت فيها نصائح زعموش، غير أنها تتطلب أقل عدد ممكن من الفارين، فأسررت بها إلى أحد أصدقائي وهو حسن بن القبي[1]، فاستحسن الفكرة، وتتلخص العملية في طلبنا للأهل أن ياتوا لنا كل واحد بعباية "ملاية" عند زيارتهم، وعند الخروج ننضم إليهن بالممر المؤدي إلى المخرج الرئيسي، ونخرج كزائرات، وعوضا عن التحضير للعملية، واتخاذ جميع الاحتياطات وشروط النجاح، تصرف حسن وحده، فأوصى عائلته، وتمكن من إدخال ملاية، ولبسها، وحاول الخروج عن طريق الباب المفتوح، لكن عندما وصل إلى الباب الرئيسي، اتّجه نحو الحارس دون أن يدري، بسبب أنه لم يكن يلبس نظاراته التي لا يرى بوضوح دونها مما جعل الحارس يتفطن له، ويلقي عليه القبض، فأعادوه إلى الزنزانة، وكلما تذكرته، تذكرت محاولته الفرار بلباس العباية، أنشدت في حقه أغنية أم العباية، وهي من التراث العربي القديم، تقول:

يا أم العباية، حلوة عباتك جمالك آية، زينة صفاتك

---

1 - حسن بن القبي، مجاهد من الرعيل الأول، وهو اخو صالح بن القبي المعروف بنضاله وبجهاده، وبدوره السياسي والدبلوماسي.

وجهك لمنور، هلال مدور   سبحان من صور، حسنك وذاتك

بعد فشل الخطة مع أول منفذ لها، بدأت أفكر من جديد في إمكانية الفرار بطريقة أخرى، إما عن طريق الاتصال بمنظومة الفدائيين الذين خلفونا بمدينة قسنطينة، أو عن طريق رأس المنطقة الخامسة، الذي أصبح يقودها عبد العزيز خلف اللّه، المدعو (مصطفى بوتميرة)، خلفا للشهيد مسعود بوجريو، من أجل أن يساعدوني، عند قدومي إلى مستشفى قسنطينة.

أما الحل الثاني فيتمثل في صنع مفتاح لباب الحجرة المشهورة في سجن الكدية، ولكن كيف ننفذ هذه العملية ؟ وأين نقوم بقولبة المفتاح وصنع نسخة مطابقة عنه؟

جال بخاطري العمل الذي قام به زيغود يوسف وزملاؤه أثناء تنفيذ عملية الفرار من سجن عنابة، فطلبت من اللجنة الانعقاد لمناقشة الاقتراح الجديد، قائلا لهم، لماذا لا نقوم بما قام به من سبقونا إلى تنظيم عمليات فرار ناجحة، بصنع مفتاح لقفل الباب الخارجي، ما دام بيننا حرفي حداد، وما علينا إلا الحصول على قطعة من الحديد، وسأوفرها لاحقا، ومن باب الصدفة اتصل بي بعض الحراس الجزائريين، وطلبوا مني أن أنظف تاريخهم، وأوهموني بأنهم كانوا يتصلون بنا أنا وحملاوي، ومن بينهم المدعو مراكشي، فسرت أنا معهم في هذا الإدعاء، دون أن أكون متأكدا، مستغلا حماسهم لتنفيذ الفكرة المطروحة على

اللجنة التي استحسنت الفكرة، وقال بعضهم: هذه فكرة قابلة للتنفيذ، فارشدتهم للاتصال بحداد كان معنا بالسجن واطلق سراحه من فترة، الذي طلب مهم توفير عجينة التشكيل لصناعة شكل المفتاح، ثم يحضرونها اليه كي يقولب المفتاح على شكله، قبل الحراس، واخذوا للحداد ما طلب، وصنع لهم مفتاحا، لكن الامر لم ينجح فطلب منا احد المساجين ممن على اطلاع بصنعة الحداده كذلك، أن نأتي بمبرد فتم تسريب مبرد إلى داخل السجن، من أجل إدخال تحسينات على المفتاح، لكن من دون جدوى، لأننا قولبنا شكل المفتاح، وكان علينا صنعه بطريقة مقلوبة.

طال بقائي بالسجن، ولم أكن راضيا على وضعي ولو لدقيقة واحدة، الحقيقة أني كنت مصرا على الفرار لأني لم أتحمل الكفاح من داخل السجن، وتعودت على الحرية، ثم أني كنت أخشى أن يدبر لي العدو مكيدة للقضاء عليّ في السجن، بأية صفة كانت، حتى ولو كانت عن طريق منظمة الجيش السري الذين عاثوا في المدنية فسادا[1].

---

1 - منظمة الجيش السري(OAS) تكونت فعليا من غلاة المعمرين وعدد من الفارين من الجيش الفرنسي، قامت بأعمال إرهابية قبيل وبعد انقلاب أفريل 1961 كما قامت مواجهات دامية بين الجيش الفرنسي وهذا التنظيم منذ نهاية شهر مارس 1962 ، خلفت أعمال منظمة الجيش السري الوحشية ما يزيد عن 2500 قتيل و5000 جريح ، متبعة في عملها سياسة الأرض المحروقة.

في خضم هذا الصراع بين البناء والهدم لحلول تتعلق بالطريقة العملية للفرار التي نغصت علي عيشي، فكل حل محتمل يتعارض مع طريقة تنفيذه، وكل اقتراح يحمل في طياته أسباب الفشل، فلجأت إلى فناء الحجرة السادسة لأتفقد كل واردة وشاردة، محاولا العثور على ثغرة يسمح استغلالها للفرار.

جاءتني فكرة أن أتمارض وترتيب عملية الفرار من المستشفى، مستعملا نفس الطريقة التي طبقها زملائي النزلاء في السجون التي قضيت فيها قسطا من حياتي، باستعمال حيلة التمارض بالزائدة الدودية، والصراخ، مع المسك بيدي بأسفل البطن بالناحية اليمنى، وبالتالي يتمّ نقلي إلى المستشفى بقسنطينة، ومنه أتدبر أموري للفرار، فطلبت من الجماعة مساعدتي على تنفيذ الفكرة، لأني موجود بفوهة بركان، حسب ما أخبرني به بعض الحراس، وطلبوا مني الحذر، فاستجابوا لطلبي، رحمة بي وشفقة عليّ، وشاء القدر أن يكون في تلك الليلة حارس جديد جيء به من سجن تازولت[1] كان

1 - شيدت مدينة تازولت لتصبح عاصمة الرومان في مقاطعة إفريقيا من قبل الإمبراطور أدريان سنة 128م، تحولت ابتداء من النصف الثاني من القرن الثالث من مستعمرة لتصبح عاصمة نوميديا، أنشئ بمدينة باتنة السجن العسكري في شهر جانفي1850 في وسمي لامبيس نسبة لمدينة تازولت لامبيز التاريخية، ونظرا لطبيعة الإقامة به والحراسة المشددة على نزلائه، فقد أصبح كناية على العيش تحت القهر والاستعباد، فيقال للشخص: أنت وجه لامبيس.

دائما مخمورا، سمع الصياح والطرق على الأبواب، ففتح كوّة الباب، وسأل عن سبب هذه الفوضى، فقيل له هذا مريض بمرض خطير، وكنت أمامه أتماوت، فقال: سنأخذه إلى المصحة ثم ننادي سيارة الإسعاف لنقله إلى المستشفى، وكما قال؛ أخذني إلى المصحة، وكنت بمفردي بها، ذهب الحارس لاتخاذ الإجراءات اللازمة، فإذا ببوبيدي يلتحق بي، ويدخل وهو يصيح، كما كنت أفعل، لأنه، كما قال لي، عرف أنها مسرحية، وأني أكون قد رتبت عملية الفرار مع فدائيي المدينة، وبالتالي ستتمكن من الفرار، وتذهب إلى الجبل وتستشهد، وأبقى أقبع في زنزانتي، وعند الاستقلال سأخرج ولا أحد يعرفني من القدامى، فيعتبرونني خائنا سلمت نفسي إلى فرنسا، فيحكم عليّ بالإعدام، وهذا هو سبب قيامي بنفس ما قمت به.

دخل علينا مدير السجن فجأة وكان أكتع، مقطوع اليد، فطلب من الحارس جديد الوضع، فقال له: لا شيء، ما عدا وجود حالتي مرض بالمصحة، وقد أرسلنا في طلب سيارة الإسعاف لنقلهما للمستشفى، فأراد أن يعرف من هما هذان المريضان، فوجد أمامه بوبيدي "بتي لبان"، وهو يئن، فقال له: أصبر سنبعث بك إلى المستشفى، ثم تقدم نحوي وكأنه يعرف مسبقا من يريد الذهاب إلى المستشفى في مثل هذا الوقت، نظر إليّ مليا، فعرفني، ثم قال بكل برودة أعصاب: آه يا كشود، لا تلعب

بخبزة أولادي، أنت تعلم بأنه غير مسموح لك بالتداوي في غير مصحة السجن، فإذا كنت قد كرهت من القاعة وتريد أن تبقى في المصحة، فلك ذلك، وإن كنت تريد أن يأتيك الطبيب من خارج السجن فلك ذلك، أما الذهاب إلى المستشفى فهذا غير ممكن، لم أكن أدري بأنه ممنوع علي وعلى حسين زعموش، والمقداد جدي، من التداوي خارج السجن، لأننا مسجلين في خانة "خطيرون جدا" ولا يسمح لنا مغادرة السجن لأي سبب كان.

نظرت إلى المدير بعد أن أصبت بإحباط، ووقفت أريد الرجوع إلى حجرتي دون أن أتفوه بكلمة، فاستحسن المدير هذا الموقف ومنحني وعدا أنه لا يرفض لي بعض المطالب داخل السجن، استغلها عند الحاجة.

عدت إلى حجرتي، وأنا كئيب، تفاجأ الجميع لعودتي، فحكيت لهم القصة، أما بالنسبة لبوبيدي، فقد تعقدت الأمور أمامه، وخاف أن ينقل إلى المستشفى فيتعلم الأطباء الجدد على جسده في مجال الجراحة، فبعد أن جاءت سيارة الإسعاف لنقله، رفض وقال بأنه الآن في صحة جيدة، فأعيد إلى الحجرة.

بعدها بأيام حررت رسالة لمدير السجن طلبت منه فيها أن يمنحني استثناء، يتمثل في الخروج للفناء قبل المساجين، من أجل القيام بحركات رياضية، والغرض الأساسي هو تقصي الأوضاع، ومحاولة الاتصال بالحارس الذي يرافق عمال البلدية

المكلفين بالنظافة، لأخذ نفايات السجن المودعة بالفناء، فأحيّده وأستولي على سلاحه ثم أخرج، لأن الباب الداخلي والخارجي مفتوحان، لكن ما كنت أجهله هو أن حارسا عسكريا يقف دائما أمام الباب الخارجي للسجن.

خرجت في اليوم الأول وكانت المفاجأة، فبينما كنت أنتظر بفارغ الصبر، الوقت الذي يدخل فيه الحارس صحبة عمال البلدية، وبينما أنا أنظر من فناء الحجرة لوحدي، تفاجأت بشخص يأتي من خلال درب السجن، يفتح الباب الخارجي، ويركب السيارة ويتركه مفتوحا، ولم يكن هناك حراس، لا بالدرب ولا على السطح، ولا يوجد هناك الحارس العسكري؛ وتبين فيما بعد أن الشخص الذي غادر هو مسجون من المنظمة العسكرية السرية؛ أصبت بصعقة في الدماغ، أنا أرى الباب مفتوحا لكن لا يمكنني الوصول إليه، وبدأت عقارب الساعة تتباطأ، فانتبهت لوجود خيط كهربائي مجدول، ينزل من السطح حتى قرب القاعة، تسلقت بواسطته إلى السطح، في الوقت الذي فتحت فيه أبواب الحجرات للنزلاء للخروج إلى الفناء، ومن باب الصدفة كان أول من خرج هو حسين لمشلط، ومقداد جدي، فوجداني متسلقا للجدار، وكدت أن أسقط، فأسند لمشلط كتفه على الجدار، فتسلقت من جديد وقفزت إلى

الدرب، ثم خرجت وأنا أمشي بكل ثقة وهدوء، وكنت أفتعل القيام بالتمارين الرياضية.

من دون أن أطيل التفكير في الوجهة التي آخذها، توجهت نحو المقبرة، لأني كنت أعلم من قدماء الحركة الوطنية أنهم كانوا يقولون بأن الإنسان عندما يهرب يقصد إما المقبرة، أو يوزع الشمة، أو التبغ، من ورائه، حتى لا يمكن للكلاب المدربة على اقتفاء الأثر أن تتعقبه، وقد فر بعض الإخوة، لاسيما الذين كانت لهم القوة التي تؤهلهم لتسلق الجدار، فعبرت المقبرة، ثم الوادي الصغير أو الساقية، فدخلت أول مسكن صادفته، ورغم أني كنت ألبس بذلة رياضية، إلا أني كنت حافي القدمين، فطلبت حذاء، فمنحوني واحداً قديما متهرئاً، لكنه يفي بالغرض، ثم واصلت طريقي عن طريق الحي"لاسيتي" فقصدت منزلا معزولا، به عجوز مع بقرتها، فاحترت ما العمل؟.

بعد استراحة قصيرة، طلبت من العجوز أن تسمح لي بأخذ البقرة كوسيلة تمويه، فوافقت على الفور، ورغم أني كنت في عجلة من أمري، فقد استغربت لأمر هذه العجوز، تضحي ببقرتها من أجل شخص لا تعرفه، فرحمة اللّه عليك يا سيدتي، كنت لي ملاكا في صورة امرأة، وتوجهت نحو"شطابة" خاصة بعد أن خرجت العجوز للمراقبة، فعرفت أني فارّ من السجن.

في هذه الأثناء ثارت ثائرة الجيش والحرس ورجال الأمن والجندرمة، وبدؤوا يحيطون بأحواز المدينة، من أولاد ابراهم إلى "الحي"، حاولت أن أسير بالبقرة فلم استطع، لأني لم أكن أعرف لغة التخاطب معها، فسارت بها إلى خارج الباب ثم عادت، فاستعصى علي دفعها خارج محيط المنزل، فاضطررت لتركها قرب الباب، وسرت بين الحقول والبساتين والشعاب حتى سفح جبل شطاية، حيث وقعت في خندق، ومن شدة التعب استحسنت المكان وبقيت به، بعد أن سترت نفسي بالحشائش، وكأني على علم بما سيحدث لاحقا.

سمعت أصوات محركات آليات عسكرية تأتي من بعيد، وبعد فترة اتضح أنه صوت المدرعات تأتي من ناحية ابن زياد "الروفاك"، وتقترب من المكان الذي أنا به، وما هي إلا دقائق حتى توقفت مدرعة فوق الخندق الذي أختبئ فيه، فشعرت بخوف ما لبث حتى صار أمان أكبر، باعتبار أن الحفرة التي وقعت فيها كانت تحت المدرعة مباشرة، وهي تترقب ظهور الفارين، ومع ذلك، وبما أن أغلب الإخوة الذين تمكنوا من الفرار أخذوا طريق المنظر الجميل للوصول إلى عين سمارة، تمكن الجيش من القضاء على بعضهم، بينما أعيد الباقي إلى السجن، وعندما تيقنوا أن الفارين لم يأخذوا هذا الطريق، صوبوا اهتمامهم إلى الجهات الأخرى.

وعن فراري من سجن الكدية أو السجن المدني، يذكر روجي قودان بأن 28 محبوسا فروا من السجن من بينهم عشرة من بين أخطر المساجين ومن بينهم أحد ملازمي حملاوي، الذي قتل السنة الماضية بمركز المدينة .. وهذا الملازم يدعى كشود علي، صاحب العديد من الأفعال التي تسببت في مقتل العديد من الفرنسيين من بينهم المحافظ " كايول"[1]

العودة إلى الجبل

عندما يئس قادة القوات الفرنسية من العثور على بعض الفارين، وقد بدأ الظلام يخيم على قسنطينة، كانت الساعة تقارب السابعة مساء، فك الحصار الكامل على المدينة، وتيقنت أن أربعة من الفارين قد تلاشوا، إما بواسطة تواطأ السكان، أو التحقوا بالجبل بواسطة وسيلة نقل سريعة، فالعدد القليل الذي نجا لا يتعدى ثلاثة أو أربعة سجناء، محمد كشود ويوسف بادر، والبعض نسيت أسماءهم.

كنت قد اتخذت قراري بالعمل وحدي، فاتجهت نحو شطابة، لأني كنت أعرف الجهة، ورغم هذا فقد بقيت هناك يومين، وذلك لأني خشيت من الاتصال بالأشخاص العاديين، فربما يكون الشخص أحد الحركى أو أحد الوصوليين الذين يبلغون

1- Roger Gaudin, Evasion de 28 détenus de la prison de Constantine, in -La dépêche de Constantin et de l’EstAlgérien,1961

القوات الأمنية عني، من أجل الحصول على المكافآت المرصودة لمن يقدم معلومات عن الفدائيين، خاصة وأن اليوميات أصدرت بيانا بفرار المجرم علي كشود، أحد أعوان حملاوي، الذي يتحمل لوحده ما يزيد عن 200 جريمة.

صادف الإعلان عن تطابق الاسم مع اسم ابن عمي، يسكن هو الآخر بعوينة الفول، فأصبح في حيرة من أمره، وذهب إلى محافظ الشرطة، يستفسر عن سبب التشهير باسمه وهو بريء، لكن المحافظ لم يعطي لمجيئه أي أهمية، وقال له: عد من حيث أتيت، وهذا يعني أنهم كانوا واعين بما يعملون.

بقيت مختبئا في إحدى الشجيرات الشوكية، (قندولة)، أسفل شطابة، مقابل قرية الروفاك، بعد أن هيئت مكانا في وسطها، وكانت هذه الشجرة معزولة، وحيدة، في أسفل الجبل، وكان الجبل بما يحتويه من مغارات مقصد الجيش الفرنسي، فبعد كل عملية موجعة يقوم بتمشيط واسع للمنطقة، حيث أنه كان يعرف كل والملاجئ التي استعملت من قبل، المخابئ كما كان يقوم برمي جثث القتلى اللذين يقضى عليهم بضيعة حي أمزيان، وكذلك بمركز التعذيب بقرية حامه بوزيان، حيث تؤخذ الجثث ليلا لهذه المغارات أو مغارات وادي سقان، لمحو آثار الجرائم التي يرتكبها الجلادون وعلى رأسهم قيدال والشريف لاسورتي، والرائد رودي.

كما تصورت من رد فعل القوات العسكرية، وقع في اليوم التالي، حيث باشر بتمشيط جبل شطابة بقوات كبيرة، وكانت مجموعات من المشاة تسير بالقرب من مخبئي، ولم تلحظ وجودي داخل الشجرة، وبعد عودة الجيش، خرجت وأنا في حالة يرثى لها، فبالإضافة إلى الجوع الذي يقطع أوصالي، لأني لم آكل منذ يومين، كنت أسير حافي القدمين، لأن الحذاء الذي قدم لي تمزق عن آخره.

بعد خروجي من الشجرة بدأت أترقب، فرأيت راعيا يسرح بقطيع من الأغنام، متوسط العمر، فأردت أن أناديه، لكني خشيت منه، وأن النهار ما زال في غير صالحي، إذا ما اضطررت إلى الفرار عند الضرورة، ولذا فكرت أن أبقى حتى المساء، ثم أذهب لأرتوي من عين معروفة لدى المجاهدين، وعندما خيم الظلام قصدت العين بكل حيطة، فربما تكون ملغمة، أو مسممة، أو نصب حولها كمين، فزحفت إليها سمعت أحدهم يناديني" اسمع تقدم نحن إخوتك، نحن مجاهدون"، فعرفت من خلال هذه الطريقة الغريبة علينا بأن مجموعة من الحركى قد نصبوا كمينا لنا، فعدت بسرعة، دون أن أتفوه بكلمة، ولما تيقنوا أني كشفت هويتهم، أوقدوا الشماريخ المضيئة، لكشف من تجرأ ودخل منطقتهم، لكني كنت قد وصلت إلى مخبئي

وخلوتي وسط الأشواك، وخشيت أن تكون شجرتي المعزولة مقصد الخناسين.

بقيت متخندقا بمكاني صباحا كاملا، وبعد الزوال رأيت نفس الراعي، يرتدي قشّابية، وبيده عصى يهش بها على غنمه، تجرأت وفاجأته بوجودي قربه، فطلبت منه بعضا من الطعام، فنظر إلي وأنا حافي القدمين، شاحب الوجه، فعرف بأني المقصود بالعمليات العسكرية التي عزلت قسنطينة على العالم الخارجي، والمبحوث عنه، فسألني: أنت من الفارين؟. ثم أضاف، لا تخف، أبقى هنا وسأوافيك بالطعام حالا، فقلت له جزاك اللّه خيرا.

وحتى لا أدع شيئا للصدفة، فبمجرد أن اختفى الراعي عن ناظري اتبعته واختبأت بالقرب من منزله، دون أن يشعر بي، لأني كنت أخشى أن يشي بي، لاسيما وأن الإدارة العسكرية أصبحت تضاعف قيمة المبلغ المعتبر الذي يخصص لمن يخبر عن مكان المطلوبين، كما فعلت مع حملاوي.

خرج الراعي من المنزل مسرعا حاملا بيد كسرة (خبز يصنع من دقيق القمح)، وباليد الأخرى إناء (وعاء) من اللبن، وكنت من ورائه، فإذا به يصل إلى المكان ولم يجدني، فخرجت له من الجهة الأخرى، فتفهم وضعيتي ومنحني الكسرة واللبن، ومن شدة الجوع والعطش، ظننت أني لم أتذوق مثل هذا النوع من

الخبز طيلة حياتي، ثم طلبت منه أن يصلني بالنظام في أقرب وقت، قبل أن يتمكن العدو من أسري، ولن استطيع البقاء على هذه الحال.

طلب مني أن أنتظر ربط الاتصال إلى يوم الغد ، بعدها سنلتقي بهذا المكان في نفس التوقيت، فقلت نعم، وكنت واثقا من أن هذا الطلب جاء ليعطي الراعي لنفسه وقتا للاتصال بقسم جيش التحرير الوطني، ومعرفة مواقفهم، لأن كل واحد صار يحسب لخطواته ألف حساب حتى لا يترك للحظ أي دور، وهنا يظهر درجة الوعي الثوري للمواطن حتى و إن كان بسيطا ، فهو يحتاط لكل شيء.

بعد ليلة كان مرور الوقت فيها طويلا عليّ، ألأرجل دامية، مليئة بالأشواك، ثياب خفيفة لا تحميني من برد الليل، خاصة في منطقة معزولة، ومعروفة بقرّها و حرّها ، وبحيواناتها البرية من ذئاب وخنازير.

عاد الراعي، وبمجرد أن رآني قام بالإشارة المتفق عليها ، وهي وضع ثم نزع غطاء الرأس الملتصق بالقشابية ، فظهرت له من دون أن يعرف المخبئ ، فقال لي: اتبعني، فتبعته إلى مسكنه، وكنت أعلم أنه سيأخذني إليه بمجرد أن عاد من حيث أتى، دخلت الدار فوجدت ثلاثة أو أربعة مجاهدين وعلى رأسهم عبد المجيد بوحوش، وكم كانت فرحتي بوجود إخوة لي في الكفاح،

مسحت عن وجهي آثار الفرار، رغم أن الأشواك تملأ رجليّ، فقص عليّ، بوحوش، ما وقع من أحداث بالجبال خلال غيابه، والعمل الميداني الذي تطور لمواجهة المخطط الجهنمي للجنرال شال[1]، والنجاح الكبير الذي حققته الأفواج الصغيرة التي تشكلت من الفيالق، والكتائب والفرق، فأصبحت هذه الأفواج مصدر قلق للجيوش الفرنسية ولرجال الأمن، حيث انتقلت العديد من الأفواج للمدن، مدعمة خلايا الفداء[2] مما جعل القيادة العليا للقوات العسكرية تقلد تنظيم الأفواج الصغيرة لجيش التحرير الوطني، فأنشأت خلايا مسلحة، وأسندت مهامها للحركى واللفيف الأجنبي والفرق الخاصة، وتركت لهم حرية المبادرة، لكن السير البطيء والأحمال الثقيلة، جعلت المطاردة مستحيلة.

---

1 - مخطط شال هو الورقة الأخيرة في الإستراتيجية العسكرية الفرنسية، وقد جاء نتيجة لسيطرة جيش التحرير على معظم التراب الوطني، والتفاف الشعب حوله، وكانت الخطة تتمحور حول:

أ. فصل الجزائر عن قواعدها الخلفية ببناء خطوط مكهربة على الحدود الشرقية والغربية.

ب. فصل الجيش عن الشعب، ببناء محتشدات، وتوسيع مساحة الأراضي المحرمة، بقتل جميع أنواع الحياة بها.

ج. دعم عملية التأطير، بتقنية هجومية بواسطة فيالق من المشاة والطيران الحربي.

2 - أنظر جداول تطور العمليات الفدائية التي وقعت بمدينة قسنطينة بين 1959و1962

خرجنا من المسكن، عندما خيم الليل، واتجهنا نحو جبل شطابة، من الجهة الخلفية، فوصلنا إلى المركز،(المغارة)، ومن بين من وجدتهم هناك، أحدهم يدعى طارزان، وهو بدين وطويل القامة، والثاني اسمه بوالشعير، وهو من الفارين من الخدمة العسكرية، وكان رجلا ذكيا، يحتاط من كل شيء.

بقيت بالمركز حوالي أربعة أيام، وكانت الجماعة قد أشفقت عليّ، نظرا لما أصاب قدماي، فبدؤا تباعا ينزعون الأشواك بالتداول، لأنه كان كثيرا، من جهة، وكان العمل سلوى من طرفهم، فرحمة من اللّه عليهم أجمعين، الأحياء منهم والأموات، إذ كلما عشت يوما بين الإخوة زادني ثقافة، ومعرفة بقيمة الرجال في الشدائد، وبتآزرهم وتعاطفهم فعوضوني بذلك حنان ودفئ العائلة.

لم يبقي عبد الحميد بوحوش أمر التحاقي بالمركز سرا، فبمجرد وصولي أرسل البريد إلى مركز القيادة، بالقسم الثالث من الناحية الثانية من المنطقة الثانية، وكان على رأس الناحية الثانية آن ذاك الشيخ سلطان، وهو من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ومعه البطل محمود لبصير، مسؤولا عسكريا، وعبد الكريم مقيدش ومحمد رموش، كمسؤول عن الإيصال والأخبار، والمسؤول السياسي، والجميع من قدماء جيش التحرير الوطني.

عاد المكلف بالبريد، حاملا معه أمر نقلي إلى مقر الناحية الثانية، فلبي الطلب، وتوجهت مع طارزان و بوالشعير إلى جبل بني اصبيح، وبعد استراحة قصيرة، مثلت أمام مسؤول الناحية، الشيخ سلطان، فسألني عن كل ما تعلق بانخراطي في سلك جبهة وجيش التحرير الوطني، وعن فراري من سجن الكدية، فرويت له القصة كاملة، وكيف عدت إلى قسنطينة بعد قضاء وقت مستقطع من حياتي وأنا أتنقل بين السجون التسعة، فصارحته بكل الأمور، وكان على دراية بالعديد من الحقائق و الأمور المتعلقة بالعمل الميداني لفدائيي مدينة قسنطينة، وكان هذا اللقاء بمثابة التعرف أكثر على العلاقة بين عمل الفدائي، بمدينة قسنطينة والعمل الجهادي الذي يقوم به الإخوة في الجبال.

وكما هو مطبق على الجميع، بقيت مدة بدون سلاح، ومن دون رتبة عسكرية، فبدأت من جديد، كنت أقوم بتنفيذ أوامر القيادة، قبل أن أعمل مع مجموعة الكتاب من أمثال: محفوظ دقدق، و بودرميم، غير أن قادة المنطقة الخامسة، أحيطوا علما بمكان وجودي، فطلبوني من جماعة المنطقة الثانية للعودة إلى قسنطينة، التي كانت في حاجة إلى من يعيد زخم الفداء إلى المدينة، خاصة بعد الضربات الموجعة التي وجهت للمنطقة الخامسة، حيث تم تفكيك تنظيم الفداء بها، بين شهري جانفي

وجوان 1960 ، إلا أن قدرة التنظيم على التأقلم مع الأحداث، سمح لهم بإعادة المنطقة إلى ما كانت عليه قبل جانفي .

تعلل مسؤول المنطقة الثانية أنه في حاجة إلى الإطارات، وقال في رده: إن السجين قد فر وقصدنا نحن، فلا يمكن أن نسلمه لكم، لكن هذه الرسالة كانت نتائجها في صالحي، فعندما وصلت رسالة بوتميرة، التي اعتبرت كتزكية من قائد المنطقة الخامسة، وشهادة على قدراتي القتالية، وفي إطار إعادة هيكلة المنطقة الثانية، تمت ترقية عمار النجار مسؤولا للأخبار والاتصال، في القسم الثاني الذي كان على رأسه عبد الكريم مقيدش، ليعوض بمحمد بومحراث، والقائد العسكري موسى مشنوعي، فبقيت بالناحية الثانية عوضا عن الناحية الثالثة، وتمت ترقيتي إلى رتبة عريف، فعريف أول، ثم مسؤولا عن كتيبتين من الجيش لظروف استثنائية خاصة، في رتبة ضابط أول، انتقلت من بني اصبيح[1] إلى التلاغمة، رفقة مسؤول القرية عمار بوضرسة، أحد طلائع الثورة، وهو من عائلة كان معظم أفرادها مرافقين ليوسف زيغود، لأن أصولهم من السمندو.[2]

---

1 - بني اصبيح، جبل يقع شمال السطارة، وهو من المحطات التي كانت تتمركز بها قوات المنطقة الثانية في بعض الأحيان.

2-السمندو، أو مدينة زيغود يوسف، هي إحدى بلديات ولاية قسنطينة تقع في الشّمال الشّرقي من عاصمة الولاية تبعد عنها بـ 25 كلم.

ولم يكن هذا الانتقال سهلا، فالمدة تتطلب منك اثنا عشر ساعة، مع سير حثيث لا يتوقف إلا عند الحاجة، ولا توجد مراكز إيواء معروفة إلا محطة روفاك، تحت الشطابة، ومحطة ثانية قبل وصولنا إلى وادي سقان، وزاوية بن الحملاوي، التي كانت مركزا في أغلب الأحيان.

حصار السطارة[1]:

بما أن مدينة السطّارة تحتل مكانة إستراتيجية هامة، وكانت تشكل خطرا دائما لمدينة الميلية، فقد تعرضت عدة مرات لتمشيط القوات العسكرية، كما كانت هدفا لطائرات الجيش الفرنسي، أخبرنا بأن القوات المشتركة ستقوم بمسح شامل لمنطقة السطارة، لكن الجماعة كانت تظن أن بإمكاننا التنقل إلى حجر مفروش، التابع إداريا لبلدية عين قشرة، إن سلط قواته على بني اصبيح، وإن كان يقصد حجر مفروش سنلتجئ إلى بني اصبيح، لكن المفاجأة أن التمشيط شمل الجهة كلها، ولن يتأتى ذلك إلا بتسخير قوات هائلة، قد تصل إلى 50 ألف عسكري مدعمة بالمروحيات، كما فعل في بقية المناطق التي مستها العمليات التي تدخل في المخططات العسكرية

1 - السطّارة: مركز دائرة جنوب شرق الميلية، تقع في الجنوب الشرقي لولاية جيجل وتبعد عنها بحوالي 68 كلم و72 كلم عن ولاية سكيكدة، كانت المعبر الرئيسي للفرق المتنقلة نحو "حجر مفروش"، عين قشرة، القل أو سكيكدة.

الكبرى، وخاصة بعد الرهان على القوة، في القضاء على الثوار في الجبال، وعلى التجمعات السكنية التي تدعمهم، وهو ما يسمى بمخطط الجنرال شال.[1]

كنت أحمل حول رقبتي منظار ميدان، وهو للمسؤول العسكري للناحية محمود لبصير، سلمه لي لمتابعة تحركات الجيش، لكن الجيش قد تنقل ليلا من الميلية إلى أولاد محمد، وكانت هناك ثكنة كبيرة وهامة، إضافة إلى كون معظم

---

1 - كان الهدف من برنامج الجنرال شال هو: المحافظة على مراكز التأطير.

- تكليف الطيران بمراقبة الأرض في النهار مراقبة مستمرة .

- القيام قسنطينة وغرب قسنطينة، بقيادة الجنرال "فور" وهي عمليات يومية اتخذت شكل تكتل كبير للقوات العسكرية، وما دامت هذه الفرق تفتقر إلى التنسيق، فقد وقعت فريسة بين الفرق الصغيرة لجيش التحرير الوطني، فقتل منها 213 جنديا، بينما استشهد 17 مجاهدا.و الأحجار الكريمة «Pierres précieuses » التي غطت الولاية الثانية، ونظرا لصعوبة المنطقة فقد جزئت إلى أنواع من الأحجار الكريمة بعمليات عسكرية كبرى تجمع فيها أغلب القوات الموجودة في الجزائر.

- تركز هذه الأعمال بمنطقة معينة من المناطق التي يسيطر عليها جيش التحرير الوطني، ثم الانتقال بتلك القوى لمنطقة أخرى.

- ونلخص هذه العمليات في:عملية الضباب، وطبقت أحداثها بين وادي الصومام وجيجل، قامت بها قوات المنطقتين شمال منها الفيروز، الياقوت، الزمرد:«Turquoise. Émeraudes. topaze » في مناطق ضيقة من شهر نوفمبر 1959إلى ماي1961، ودامت سنتين كاملتين، وبفشلها، بدأ الجنرال دوغول البحث عن وسيلة أخرى للخروج من الحرب بطريقة مشرفة.

سكان القبيلة قد انقلبوا على جيش التحرير الوطني، رغم أنهم كانوا في البداية ممن احتضنوا طلائع الثوار، وحسب ما يرويه كبار القرية، فالسبب في هذا يعود إلى عدم احترام القبيلة لأمر جبهة التحرير الوطني، الذي ينص على عدم إقامة الأعراس والأفراح جهرة، لكن القبيلة لم تمتثل للأمر، مما جعل فرقة من الجيش تدخل عليهم، وأرادوا توبيخهم، وهم في حرمة العرش، وعادات القبيلة، فاعتبروا الأمر إهانة، وأصبحت القرية بمثابة عقبة في طريق جيش التحرير الوطني، بسبب خطأ بسيط وقع فيه بعض المجاهدين، حيث أنه كان يكفي في مثل هذه الحالات التنبيه إلى الموضوع باللين، خاصة في بداية الثورة، لكن الجيش الفرنسي اغتنم الفرصة، وشيد هناك ثكنة هامة اتخذها منطلقا لعملياته الكبرى.

مع طلوع الفجر بقليل، انطلقت القوات العسكرية من الميلية ومن أولاد محمد، ثم من الوراء من عين قشرة، و في خلال لحظات أصبحت قمة الجبل مطوقة من الأرض عن طريق الإنزال من الطائرات العمودية ذات المروحتين، البيبنان « bibanane» أو المروحيات الهجومية "سيكور سكي" المزودة برشاش 30مم، وهما من سلاح الحلف الأطلسي[1] ومن صنع أمريكي.

---

1 - كان هذا الحلف يضم 14 بلدا، معظمها يطل على المحيط الأطلسي، ومن بين الطائرات التابعة للحلف والتي استعملها الجيش الفرنسي:T6- T28 -B26 -B29

كنا نتنقل من مكان إلى آخر، فنجد أن جميع السبل قد سدت، فنعيد الكرة من جهة أخرى، ومن بين من فقدناهم في هذه المواجهات ممرض الفوج الذي أصابه رصاص سيكورسكي، فسقط شهيدا، أخفيناه بين شجيرات صغيرة، واحتمينا في مكان آمن قريب، وبعد أن غيرت الحوامة وجهتها رجعنا من أجل دفن الشهيد، فوجدنا أن الذئب قد أكل جزء منه.

من صفات عمي محمود، رحمه الله أنه كان شجاعا، يحمل سلاحا صنع حديثا بورشة الأسلحة سانت ايتيان، « MAS.56 » تمكن من افتكاكها من يد أحد الجنود بعد هجوم جريء على ثكنة دوار بويوسف، القريب من وادي العثمانية، توجه عمي محمود نحو مكان محدد، صحبة بعض الجنود، ولم أتمكن أنا من اللحاق به، من كثرة المطبات و الوهاد، فالتفت إليّ مداعبا وقال: الحق بي يا محمد فأنت لا تزال طفلا، لو يلقوا عليك القبض فسوف تأتي بهم إلينا راكبا مروحية .

والحوامات البينان، وسيكورسكي، ومن الآليات الدبابات شيرمان والعربات نصف مجنزرة "هالف طراك" وشاحنات GMC ومدافع الميدان، والمدافع الرشاشة: ذات العجلات، ف.م بار.

رجعت مروحية القناصة سيكورسكي، وهاجمت المكان الذي كنت به، لكننا احتمينا بالصخور، ورغم هذا فقد أصبت في الكوع إثر سقوطي وارتطامي بالصخور، ولم أشعر بالإصابة إلا بعد أن برد الدم وقلت نسبة الأدرينالين في دمي.

التحق بي عدد من المجاهدين وتمكنوا من الخروج من الطوق المضروب علينا، فسمعنا طلقات متفرقة وكثيفة، فعرفنا أن عمي محمود لبصير هو من اشتبك مع جيش الحصار، وتمكن من الإفلات هو الآخر، وكنت أراقب تحركات الجيش الفرنسي بواسطة منظار الميدان، وكان عددنا قد بلغ ثمانية أفراد، كنا مسلحين، ما عدا أحمد بوفندوس، وهو من المجاهدين الأوائل، كان قد ضيع سلاحه في إحدى المعارك، فعوقب ببقائه من دون سلاح حربي، و لكن كانت له بندقية صيد .

خيم الليل، وبدأنا ننزح الواحد تلو الآخر، من جبل بني اصبيح، وكان أولنا المجاهد بوالشعير، لأنه ابن المنطقة و من قدماء جيش التحرير الوطني، من جهة، ولأن له تجربة واسعة، بحكم أنه أدي الخدمة العسكرية الإجبارية، وهذا ما جعلني أثق فيه وكلفته بالقيادة العسكرية للمجموعة، فاختار لنا طريقا للتسلل بين الفرق العسكرية[1]، إذ كنا نسمع حديثهم،

1 - تتميّز خطط جيش التحرير الوطني، باعتمادها على التوجه العكسي للأفواج عند قيام فيالق الجيش الفرنسي بالتمشيط، وكذا في بناء المستشفيات والمخابئ: مثل

فاستغربنا من جرأة وشجاعة بوالشعير، بينما بقي عمي محمود على رأس الفوج الثاني الذي اختار فك الحصار بالقوة وعن طريق الاشتباكات، فاستشهد من استشهد ونجا الباقي ومنهم عمي محمود.

بعد تمكننا من الافلات من الحصار الذي قضى على عدد من المجاهدين، خرجنا نحو ضيعة بني يزارالمهجورة[1]، لنستريح بها ثم نتوجه نحو قرية "حارك جنان" وهي قريبة بين بني هارون والقرارم، ولم نكن نظن أن قوات شال قد نصبت لنا كمينا بالضيعة، فبمجرد اقترابنا منها وهمما باتخاذ الطريق العلوي، فتح الجحيم علينا من نيران المدافع الرشاشة، فانبطحنا أرضا، وبدأنا نزحف، فصمت السلاح، وبعد مدة من البحث عن أماكن وجودنا أعاودوا الرمي، فرددنا عليهم بالمثل، وبعد مواصلة الزحف، خرجنا من دائرة الحصار، وتفقدنا عدد الأفراد، فاستغربنا لأمرين:

مستشفى بومديني ومستشفى أولاد يحي، بل إن تمركز جيش جيجل وجيش الميلية، وجيش ميلة بمنطقة تسالة المقابلة للتجمع العسكري الفرنسي بأولاد عسكر، ورغم القنبلة المستمرة بواسطة الطائرات، وبأعداد تفوق في بعض الأحيان 120 طائرة، إلا أن القوة الضاربة للجيش بقيت بمنطقة بني عيشه "بوسبع"، حسب ما يذكره المجاهدين.

1 - بني يزار، ضيعة هجرها أهلها والتحقوا بالجبل، ومن بينهم عدد من الأشاوس منهم الشهيد بن يزار الذي سقط في السد المكهرب خط شال، أثناء قيامه بدورية نحو الشرق لجلب السلاح، رحمه الله.

-توقف النيران بمجرد أن رددنا عليهم، رغم وجود أسلحة متطورة بين أيديهم.

-رغم المفاجأة التي واجهنا بها العدو، لم يصب ولا واحد في صفوفنا، هل كان الجيش نائما، وعندما شعر الحارس بوجودنا، أطلق الرصاص في الهواء، لكن استعملنا السلاح أيضا، وهذا كان كافيا لاستعمال كل ما يملكه من سلاح وعتاد لمواجهتنا، لكن أحجم عن ذلك.

وهنا تذكرت الحادثة التي وقعت لي عندما كنت ذات مرة برفقة المجاهدين: محفوظ دقدق، ومحمود بورديم، في طريقنا إلى المركز، قرب المكان المدعو "المائدة" وكنا نمشي على مسار نهر جاف، وكان الزمن صيفا، وبمجرد أن خرجنا من الواد قاصدين المركز، وكنت في مقدمة الزملاء، أحمل بندقية ألمانية الصنع "موزر" بين يديّا، فإذا بي أجد نفسي وجها لوجه مع الجندي الكشاف الذي يسبق المقدمة، فعندما التقت أعيننا أزاح وجهه عن وجهي وغير مسار طريقه، وكأنه لم يشاهد شيئا، مما جعلني أغير وجهتي أنا أيضا[1]، لأخبر زميليّ بأن قوات شال

---

1 - يذكر المجاهد محمد الشريف بوتسطة، الذي كان قائد المنطقة الأولى برتبة رائد، في سنة 1961 والمجاهد علي بوالعسل،أنهم تلقوا من ضابط فرنسي من أصول جزائرية، كان أخوه أيضا ضابطا بالجيش الفرنسي بناحية قسنطينة، طلبا يرجوهم فيه أن يبلغوا قيادة المنطقة الأولى بعدم إطلاق النار على جنوده عندما يخرجون إلى

على بعد خطوات منا ، فاختبأنا وسط شجيرات الدفلى و الخنج. لكني أصبت في رجلي من جديد ، كما وقع لي في معركة بني اصبيح، لكنني تأكدت حينها أن الجيش يتفادى الصدام مع المجاهدين.

كنا نسير جنب جبل "غار الضبع" المعروف، وكانت الطريق ضيقة، فسرنا الواحد وراء الآخر، قريبين من بعضنا ، حتى نتمكن من إنقاذ من ينزلق أو يتعرض للخطر ، ونظرا لهذا التآزر فقد وصلنا إلى حمام بني هارون، فاقترح بوالشعير أن نقضي الليل هناك، سألته عن وجود قرى أو مشات قريبة ، فرد بالنفي، وقال عندنا مخبأ جيد ، فصعدنا إلى مغارة في قمة جبل بني هارون، أي فوق النفق القديم الذي نعبر من خلاله إلى منطقة الميلية ، دخلنا المغارة فوجدناها مناسبة جدا للإقامة بها حتى نستريح، فبقينا ليلتنا ، وبقينا بها اليوم الثاني حتى المساء.

توجهنا إلى قرية "حارك جلال" فاستقبلنا أهل القرية ، وحضروا لنا الطعام، وكان من بينهم البطل رابح خدروشي[1] ،المدعو البارا ،لأنه كان يرتدي لباس رجال

الجبال، لأنهم لن يطلقوا النار على أي مجاهد ، وقد لاحظ فيما بعد أن فرق هذا الضابط تتحاشى الصدام مع المجاهدين.

1 - الشهيد رابح خدروشي، ينحدر من قرية بني خطاب، التحق مبكرا بجيش التحري الوطني، كان ضباطا شجاعا و فكاهيا قديرا. لمزيد من الاطلاع أنظر

المضلات، وهو من تلامذة معهد ابن باديس، حضر بيوم قبلنا، ففرح لملاقاتي فرحا شديدا، خاصة انه كان يعلم اني كنت رفيق قائده واخيه حسين زعموش، وهو من أعز أصدقائه، خاض معه أعنف المعارك فاحتفظ له بذكريات لا تمحيها الأيام، وهو الذي خلفه كمسئول عسكري، كيف هو، وكيف تحمل السجن، وهل لازال على جديته المعهودة... لكنه استغرب كيف لم يتمكن من الفرار معي، فقلت له: لولا دعمه لي وارتقائي على كتفه لما تمكنت أنا من الفرار قبيل أن يتفطن العدو للعملية، لم نكن نعلم ونحن على مائدة العشاء أن فرقة من الحركى قد طوقت القرية، فكيف علموا بوجودنا؟... اللّٰه أعلم.

قام خدروش رحمه اللّٰه، ليودعنا، لأنه كان قاصدا دوار بني خطاب، مقر سكن العائلة، دنا مني وقال لي وهو يبتسم: أنا لم أزر العائلة مدة طويلة، وقد نجوت من الموت هذه الأيام في قرية أولاد الكاسح، حيث كنت في منزل فأحاط بي العدو من كل جهة، فاشتبكت معه، وتمكنت من الخروج بأعجوبة والحمد للّٰه، ثم قال لي، إلى الغد إن شاء اللّٰه، وكانت آخر كلمة سمعتها من فمه.

منظومة الفداء لناحية ميلة. أطلق اسم الشهيد على ناحية أولاد يحي بإضافة اسمه لها لتصبح تدعى أولاد يحيى خدروشي وهي بلدية تابعة إقليميا لدائرة الميلية

بعد خروجه بوقت قصير سمعنا طلقات نارية، خرجنا من المنزل مسرعين وقصدنا غار الضبع البعيد عنا،وصلناعند الصبح، كانت الغيوم كثيفة، فبقينا هناك حتى الزوال، وكان علينا العودة لتفقد حالة خدروشي، لكننا واجهنا عاصفة ورياحا عاتية، وضباب في عز النهار، فانفصلت عن المجموعة عن غير قصد، وبدأت أنادي على بعض الأسماء، لكن لم يرد أحد .

لم أكن أسمع إلا زمجرة الرياح، ولا أرى إلا المكان الذي أضع فيه رجلي بين الصخور الناتئة، الشيء الذي أرهقني، فاسترحت قليلا وأنا أدعو اللّه أن يزيل هذا الضباب، وبقدرة قادر وجدت نفسي جالسا قرب ثكنة عسكرية، فاستلقيت على ظهري وأنا أدعو اللّه لعودة الضباب مرة أخرى. وكنت أتألم من الجرح الذي أصابني في رجلي.

عند وصولنا إلى دشرة قريبة من عين الكرمة [1]، استعنت بامرأة لها دراية في التعامل مع مثل هذه الحالات، ومن الصدف أنها كانت عمتي علجية زوجة عمي علي بن صالح، انتقلت إلى هذه الناحية بعد أن فقدت زوجها، وهو ذلك الشخص الذي كان يتفرج عليّ وأنا أتبادل اللكمات مع ابن صاحب المقهى بعوينة الفول، المقهى الذي كان مركزا للخلية الأولى التي كان

1 - عين الكرمة، أو مسعود بو جريو، من أقدم بلديات قسنطينة، تقع في الشمال الغربي من الولاية.

يقودها عمر زعموش، المدعو علي، و عواطي مصطفى رحمة الله عليهما.

التحقت بزملائي، بعد شفائي وأنا ببني اصبيح، وكان ناقل هذا الخبر هو عمار بوضرسه، مسؤول قرية التلاغمة، طلب مني الذهاب إلى الناحية، للترقية، لأني بقيت بدون ترقية منذ أن استشهد رابح خدروشي بعد عودته من حارك جلال، مما جعلني أرافقه، فسرنا من بني صبيح على الساعة الخامسة مساءا تقريبا، ووصلنا إلى ناحية واد سقان[1]على الساعة الخامسة صباحا، أي مسيرة 12 ساعة متواصلة، وما كان يعيقنا في هذه المسيرة هو وجود التحصينات التي شيدت في إطار عزل جيش التحرير الوطني عن محيطه، أو ما يسمى التأطير[2]، ثم أن أثلام الحرث أعاقت المسيرة، نظرا للتعرجات الكثيرة بها، بالإضافة إلى ضوء القمر المنير الذي يسمح لأبراج المراقبة بكشف كل حركة محتملة.

عندما وصلنا وادي سقان اختبأنا في مكان غير محصن، وعندما طلع النهار دخلنا مشته دمبر أو دنبر، بها مركز محصن

---

1 - واد سقان هي إحدى بلديات التلاغمة بولاية ميله، .تحتوي على واحدة من أكبر زوايا الجزائر، وهي زاوية التلاغمة التي يرجع عهد تأسيسها إلى نهاية القرن التاسع عشر

2 - التأطير :عملية تهدف إلى تقسيم الجزائر إلى مناطق عسكرية صغيرة، متقاربة، تكون نقاط ارتكاز لمراقبة ومتابعة الثوار، وفصلهم عن محيطهم الطبيعي.

للمجاهدين، دخلنا دارا يعرفها بوضرسه، فأخذنا قسطا من الراحة، بعد أن كلفنا أصحاب الدار بالحراسة، وبعد الزوال لبسنا القشاشب[1] مثل ما هو معمول به هناك، وخرجنا أمام المنزل نتمتع بمنظر طبيعي، فلاحظنا مروحية تحوم فوق أشخاص كانوا متوجهين إلى قرية التلاغمة، من دون أن تتحرك، وأمرت صاحب قشابية بنزعها، فقلت لعمار، ما هذا؟ فأجاب بأنهم يطلبون منه تقديم بطاقة التعريف، ونزع القشابية حتى يتأكدوا بأنه لا يخفي سلاحا تحتها، ضحكت مع عمار ثم قلت له إذن بعثموني هنا للقضاء عليّ.

من بين المجاهدين الذين سايروا الأحداث، رغم أنهم دخلوا معارك عنيفة وخرجوا منها سالمين، المجاهد عمار النجار[2]، قام بربط اتصال مع اثنين من المجندين الجزائريين بثكنة لقرارم، فأقنعهم بالالتحاق بجيش التحرير، فالتحقا بسلاحيهما الأول كان يحمل مسدس رشاش من نوع "ماط49"، والثاني يحمل بندقية "ماص 56" من النوع المتوسط، وهي من أحدث ما أنتجته

1 - القشّابية، لباس تقليدي يصنع من الصوف أو من الوبر، وهذا أجودها، يقي الإنسان من البرد والمطر، استعمل على نطاق واسع أثناء الحرب التحريرية.

2 - عمار النجار، ينحدر من قرية لقرارم، ولاية ميله، من خريجي جامعة الزيتونة، ومن مناضلي حركة انتصار الحريات الديمقراطية، التحق، كبيرا في السن، بجبهة التحرير الوطني حوالي سنة 1958، وكان مسئولا عن الاتصالات والأخبار، وكان المجاهد كشود نائبا له.

مصانع "سانت إتيان" بفرنسا آنذاك، فاستحوذ عمي عمار على البندقية، و كان امتلاكه لها يعتبره ترقية، تحصل عليها بمجهوده الخاص، وهذا ما جعله يتباهى بها ، فكان يسير حاملا البندقية على كتفه، وكأنه يعيش فترة سلم، عوض أن تكون بين يديه استعدادا لكل طارئ.

لاحظ القائد العسكري، رابح خدروشي (البارا) من قبل، كيف يتعامل عمار النجار ببندقيته واستغرب طريقة حمله للسلاح، فنبهه، وقال له: يا شيخنا..عندما تكون معنا بندقية مثل هذه، يجب أن تكون بقبضة استعدادية دائما لكل طارئ لاسيما عندما تكون في طريقنا، فأنت تضع البندقية فوق كتفك، فكيف تعمل لو وقعنا في كمين؟ هل يكون لك الوقت لنزعها عن كتفك ثم تصويبها نحو العدو؟.

لم يكترث عمي عمار بهذه النصائح مما أدى بخدروشي أن يضعه موضع اختبار، فاتفق معي ذات مرة ونحن في طريقنا نحو بلدة التلاغمة، أن يضع له خطة تقتضي اختباء خدروشي في مكان ما، بينما أقوم أنا باصطحابه عبر نفس الطريق، وعندما ينادينا برفع الأيدي أنبطح أنا أرضا، وسنرى كيف يتصرف عمار بالسلاح.

كنت أسير نحو خدروشي وأنا في المقدمة، ولما وصلنا قرب صخرة كان وراءها البارا، صاح علينا باللغة الفرنسية« tète

les mains sur la » فانبطحت أرضا، وأنا أنتظر رد فعل الشيخ عمي عمار، مسك بندقيته جيدا وهي على كتفه، وأخذ يجري أمامنا من الخوف، فخرج خدروشي من مخبئه وصاح عليه: يا الشيخ؛ لا تخف هذا أنا، فلما سمع نداء خدروشي التفت إلى الوراء فوجد البارا يضحك من كل أعماقه، وقال له: هكذا تتعامل مع العدو في حالة مثل هذه الظروف ؟

لكن ما جعل الضحك ينتقل إلى هستيريا، هو أن الشيخ عمار، لما أيقن بأن الفاعل هو خدروشي، نزع البندقية من على كتفه، ثم انبطح أرضا وصاح في وجهه، كيف تفعل هذا بي يا سي رابح؟ ها أنا قد قتلتك، فجلس على الصخرة وهو يلتوي من شدة الضحك، وقال له: كيف تقتلني وأنت تجري أمامي كالأرنب، ممسكا ببندقيتك على كتفك حتى لا تسقط منك، وكان بإمكاني إسقاطك بكل سهولة ومن دون عناء، ثم قال له بلغة المسؤول: أنت لا تصلح لمثل هذه البندقية ولذا فاستعد لأن أعوضك عنها ببندقية صيد، فرد عليه عمي عمار بقوله: لم تكن أنت من منحني هذه البندقية، فقد حصلت عليها بمجهودي أنا، لقد غنمتها بوسائلي الخاصة، ولما لاحظ خدروشي أن الشيخ اغتاظ، وكنا نحترمه لكبر سنه، ولثقافته العالية، وقليلا ما ينزعج من المزاح، فقط لأنه لما سمع من المسؤول العسكري إمكانية نزع أغلى شيء عنده، امتعض وعارض الاقتراح، لأنه

ضابط بنفس رتبة البارا، الذي فهم ما يدور في خلد الشيخ النجار، فغير مجرى الحديث، وأصبح يتكلم عن أهداف المهمة المكلفين بها.

وباعتبار أن الشيخ النجار كان مكلفا بالاتصال والأخبار، في انتظار تكليفه بمهام أخرى، فكان عليه أن يقرأ تعليمة وردت إلينا من قيادة الولاية عن طريق السلم الإداري، وكانت التعليمة تفيد بضرورة إحصاء تعداد قوات العدو المتمركزين بالناحية، ورتبهم، وتحركاتهم، والأوقات التي يتناولون فيها الفطور.. وفي الفقرة الأخيرة منها وردت عبارة، بما معناه، أننا نذكر جميع الجنود بمختلف رتبهم بأن يتحلون بالصبر والانضباط والطاعة.

قرأ عمار الرسالة وناولني إياها وطلب مني أن أعلق عليها، ورغم أن التعليمة كانت واضحة، إلا أنني أثرت نقطة إحصاء الأفراد وتقصي المعلومات من داخل المعسكرات والثكنات، صعبة وتتطلب التنسيق مع المجندين الجزائريين وبعض الحركى، ورجال الأمن الذين يتعاطفون معنا.

ومن أجل قراءة ما بين السطور والتدقيق في جمل الرسالة، سلمها لي، وبعد ما أخذت الرسالة وتمعّنت فيها سألني: ماذا لاحظت؟ فقلت: لاشيء سوى أن المعلومات تتطلب وقتا ومعرفة واتصالات، ومن الصعب علينا تقديم هذه المعلومات، فقال: نعم

هذا صحيح، ثم أضاف خطا أحمرا بقلمه المتعدد الألوان، وهذه الجملة هي الطاعة العمياء، ثم نظر في وجهي وقال: معنى هذا أنه لو طلب منا أن نلتحق بصفوف الحركى أو القومية (الخونة) علينا أن نقبل ولا نرفض، فقلت له كيف نعمل ونحن جنود نطبق، فرد علي بقوله سنسجل اعتراضناعلى هذه الجملة في الاجتماع المقبل، فهمت ماذا يعني فقلت له: وإن قالوا لك لابد من تطبيقها، إنها أمر عسكري، رد علي بحزم وهو يقول: في هذه الحالة سوف أتمرد، فانفجرت ضاحكا، لأن الشيخ لم ينسى أسلوب الحزب الذي كان ينتمي إليه، وكيف كانت المناقشة تدور فيه.

كانت الرسالة بمثابة امتحان لنا، وكانت الظروف تتطلب منا التصعيد من العمل، فالريف مازال يلعب نفس الدور الذي كان يقوم به قبل بداية الحرب، وهو تموين وتمويل كل تحرك ضد القوات الأجنبية، و هنا يعود لاعتبارات خاصة منها أن المنطقة معزولة، لكنها غنية بتجارها، ثم وجود أكبر ثكنة عسكرية، يوجد بها عدد لا بأس به من المجندين الجزائريين في الخدمة العسكرية الإجبارية.

بعد استعادة شبه رتبتي وتمت ترقيتي لرتبة عضو ناحية بدون ترسيم[1]، لأن قيادة جيش التحرير الوطني كانت قد أوقفت العمل بتنظيم الفرق والكتائب والفيالق، كلفت بتامين حدود الولاية الثانية مع حدود الولاية الأولى، بسبب ان مجموعة كبيرة من جيش الحدود كانت متركزة بمدينة عين مليلة المتاخمة لحدود الولاية الثانية وهي تتربص الفرصة لتدخل بالقوة و ليكن اتجاهها قسنطينة، وهذه المجموعة كانت تحت قيادة أحد ضباط الولاية الثانية الذي خرج عن المجموعة وآزر قيادة الأركان العامة بالحدود، وهو المجاهد المرحوم العربي بلرجم المدعو العربي الميلي، كان أول ما تبادر إلى ذهني هو ربط الصلة مع أعيان التلاغمة، والمناضلين الذين خفت حدة نشاطهم، للتدارس معهم عن إمكانية المساعدة التي يمكنهم تقديمها، لكن ستكون في بداية الأمر فردية، إلا في حالة الضرورة المسموح بها

1 - تقلد العديد من الضباط السامين رتبة رئيس فيلق، مثل محمد كشود و محمد الشريف بوتسطة، رغم أن تركيبة الفيلق لم تكن موجودة، وأن هذا التصنيف لم يدون على قائمة الإطارات السامية للولاية الثانية، الموجودة بالمصادر التي عندنا، ربما لكونها احترقت ضمن الوثائق التي كانت موجهة لمركز الأرشيف بقسنطينة عندما تقرر جمع وثائق الثورة، فبقيت الولاية الثانية بدون وثائقها الرسمية، مع أنها كانت أكثر استقرارا وانضباطا، تمتلك أرشيفا منظما قام على تدوينه منذ بداية سنة 1955 كل من عمار لطرش، ولخضر جودي بوالطمين ...

لمصلحة العمل في حد ذاته، وكان الاتصال في البداية ليلا مع عمار بوضرسة، ليطلعني على الأماكن المنظمة مع أصحابها.

والملاحظ أن معظم السكان قد تأثروا بفكر الزاوية "زاوية بن الحملاوي"، التي كانت منارة إشعاع فكري، ومؤسسة تعليمية وتربوية، ومركز إطعام وإيواء، ومنطلق قافلة الحجاج إلى البقاع المقدسة، لكن الضغط الذي مارسته القوات العسكرية، لما علمت أن هذه الزوايا هي دار الجهاد بالدرجة الأولى، وبعد فرار صاحبها من التفتيش المستمر، ومن المضايقة الدائمة للمريدين، توقفت عن دور التبليغ والإطعام والإيواء، وكانت زاوية بلحملاوي تحتضننا عند الضرورة، على غرار المراكز الأخرى.

كنا عندما ندخل بيت من بيوت القرية يقصون علينا قصصا خيالية، منها تنبئهم بالأمور التي ستحدث قبل وقوعها، وهذا ما وقع لنا عند أحدهم يدعي معرفة الغيب، فقلت له مباشرة: أنت من اليوم مجند معنا، حتى تقينا من كل هذه المتاعب ومن تجنب الاصطدام بالعدو ومواجهته بغثة، فخاف الرجل وبدأ يغير من لهجته وكلامه، وأضاف: هذه الأمور لا تحدث معي دائما، فقلت له إذن أترك هذه الاعتقادات والمغالطات وعش حياتك عادية.

انتشر صدى هذه التهديدات، وسمعوا بأن المسؤول الجديد يرفض هذه الأعمال بمن فيهم المرابط امعمر، الذي كان يتخذ

من داره مركزا للشعوذة، والذي أصبح بعد الاستقلال مقاولا ناجحا، فتوقفوا عن ممارستها خشية من معاقبتهم.

التقينا ببعض المناضلين الذين كانت لهم تجارة في القرية، وآخرون ممن راهنوا على نجاح الثورة، فأخبرونا بأن العساكر في التلاغمة يتلهفون لمعرفة وصول بعض الفدائيين الفارين من قسنطينة، وذكروا اسم كشود علي، الذي كان رفيق حملاوي ومريم بوعتورة في معركة قسنطينة، وقد كلفوا معاونيهم، بالبحث عنه، وكان البعض منهم يقدم المعلومات إلى بعض مناضلينا، كما يقدمها للعساكر، وكانوا يريدون أن ينالوا رضا الطرفين، وهذا الخبر ألزمني بأن أغير اسمي، فاخترت اسم عبد اللّه، ثم أخبرت القيادة بذلك، فوافقت على ذلك ضمانا لسلامتي..تداول عند العامة أن اسمي عبد اللّه، وأصلي من مدينة سطيف، ووصل هذا الاسم إلى الإدارة والقيادة الفرنسية، بل وللمعمرين، وكانوا يظنون أني كبير السن، ذو شنبات أي شوارب طويلة، أسمر اللون، حاد العينين، وكانت هذه الأوصاف التي دارت في مخيلة الجميع، وقد قدمتها ابنة معمر، زوجة ضابط الثكنة، قضينا عليه هناك، بعد ما اتصلنا بها، خشية أن يصيبها ما أصاب زوجها، فقالت هكذا يصورونك عساكرنا عندما يأتون للأكل، لأنها كانت تملك مطعما بطريق عين مليلة، في مخرج القرية الجنوبي الشرقي.

من بين معارف عمار بوضرسة، إمام مسجد، قرر أن يقدمني إليه، فدق الباب ثلاث مرات ثم اثنتين، حسب ما هو متفق عليه، ففتح الباب، لكن بمجرد أن دخلنا المنزل وقف باهتا ينظر إلى وجهي، فقدمني عمار بأني عبد الله، أحد المسؤولين في زيارة إلى قريتنا، فلم يرد الشيخ، ومكث ينظر لي بنظرة استغراب فيها علامة تعجب، ثم نادى على زوجته وقال لها، هذا السيد عمار بوضرسة، فدخلت المرأة فوجدتني مع السيد عمار، رحبت بنا، ثم بادرها الشيخ الإمام بقوله: هل لاحظت شيئا على هذا الضيف العزيز، فقالت:لا؛ فواصل كلامه: كيف قصصت عليك الرؤيا التي رأيتها في منامي بالأمس، وقصصت لك أني التقيت شخصا يتحلى بهذه الأوصاف، حيث قال لي:لا تخف، إن شاء الله ستنالون الاستقلال على يديّ.

والحقيقة أن مدينة التلاغمة معروف عليها صعوبة العيش بالنسبة للفرق المسلحة، فقد مر عليها العديد من المسئولين وسقطوا جميعا في ساحة الوغى، وكان آخرهم رابح خدروشي، والسبب ربما لا يعود للمتعاونين مع فرق الأمن الفرنسي، الذين لم نتمكن من معرفتهم، بقدر ما يعود لطبيعة الأرض، فهي عارية من الغطاء النباتي، ومن التضاريس التي يمكن أن تكون وعاء يحتمي بها الإنسان، ماعدا جبل فلتان، والذي هو بنفسه عار، ما فيه إلا المغارات التي نقصدها عندما نشعر بأن القوات

العسكرية تنوي القيام بتمشيط الناحية، مما يؤدي بنا إلى تسلق الجبل، ثم نتقاسم المأوى مع عظام الشهداء الذين كانوا يأتون بها من الثكنات القريبة بعد الإعدامات السرية التي كانوا يقومون بها، وما دامت الناحية فلاحية بامتياز، كانت السنابل التي تصعد عالية ننتقل بينها بكل راحة.

كان عمار بوضرسة من أقدم العاملين بالمنطقة ونظرا لشجاعته وذكائه فلم يصبه مكروه، لكنه كان يسير دائما لوحده، وكان من حسن الصدف بالنسبة له هو قدومي إلى جانبه، ورغم أنني استحسنت المكان، فقد كان تطلعي دائما هو كيف لي أن أعيش حياة المدينة التي ألفتها؟ وكيف أدخل إلى المدينة السجن، التي وضعت تحت الرقابة الأمنية والعسكرية، وهو الشيء الذي لم يحصل مع زملائي من قبل، لأنهم كانوا يعيشون في مخابئ ومراكز المناضلين، وعند اكتشافهم سواء من طرف الخونة أو الجيش صدفة يقضى عليهم، لأنه لم تكن لهم فرص للنجاة.

في يوم فاتحت صديقي وزميلي في الكفاح عمار، والذي يعود له الفضل في كيفية بقائي طيلة المدة التي عشتها هناك، بفضل حنكته ودهائه، كيف لا وهو من طلائع جيش التحرير الوطني (1955)، والحقيقة أني أحسنتُ التعامل معه بأن منحته كل المسؤولية ليتصرف حسب ما يراه ملائما، فاستحسن هو هذا

التصرف، ووجدت راحتي في التسيير والتوجيه، ولهذا سألته قائلا: ياسي[1]عمار هل كانت لكم فرصة لدخول قرية التلاغمة؟ فتفاجأ من هذا السؤال وقال لي: كيف تفكر في التلاغمة وهي ثكنة كبرى، والناس كلهم يتعارفون فيما بينهم، فقلت إذن لم تفكروا في ذلك أصلا؟ فرد عليّ:لا ، أبدا ، فقلت نريد أن نلتقي بالمناضلين المتحمسين"

سألت عن أبرز الشخصيات ببلدية التلاغمة، فقالا لي: عائلة مبارك لافي المدعو (الكرفة)، وعائلة محمد جادلي، وعائلة بلكبابي، وكذلك عائلة شادي، والشريف بلقاسة، فسألتهم عن شخصيات تجارية مستعدة للمساهمة ماديا في دفع تغطية بعض المطالب، فردوا بنعم، وأضافوا أسماء بعضهم، مثل لافي مبارك، إبراهيم لعرامي، والمدعو خالي، وعن سؤالي حول سكن كل منهم حددوا لي مقراتهم.

1 - كلمة "سي": هي اختصار لكلمة السيد عند العامة.



بمركز اتصال، من اليمين: محمد كشود المدعو عبد الله،
بوسالم محمود و احمد بن عتيق عند صاحب المنزل عبد الله شادي .

فعن محمد جادلي قيل لي يسكن في شبه فيلا بطرف المدينة، فيها مرآب واسع يأوي حافلاته، وعنده طفل واحد اسمه رشيد، وله أراض واسعة للفلاحة، وكان لأخيه مخبزة والمحطة الوحيدة بالمدينة للبنزين، وعن ابن الكبابي قيل لي بأنه يسكن لوحده بمنزل مريح، أما عن عمي إبراهيم فيشتغل سائقا لسيارة أجرة داخل المدينة، أما سكناه فتوجد في أولاد اعرامة، وكذلك بالنسبة لمبارك لافي، الذي له محل تجاري يبيع فيه الملابس الجديدة.

طلبت منهما استقبالنا في زاوية ابن الحملاوي، ولما التقيت بهما، أردت جس نبيضهما، فقلت كيف ترون لو نتجرأ وندخل

قرية التلاغمة؟ فرد علي، من باب المزاح نعم، يا سي عبد الله ولم لا ، أدخلك في سيارتي، وكان سائق سيارة أجرة رد خالي إبراهيم لعرامي، وكانا يظنان أني أمزح معهما فطلبت منهم الاتصال بهذه الشخصيات ويعرضون عليهم إن كانوا يريدون الاتصال بسي عبد الله، على أن يكون الاتصال بيننا هو محمد جادلي، والذي كانت توجه له التهم على أساس أن الجيش يثق به ويحترمه، وهذا ما جعلهم يسمحون له بالمرور بكل حرية في الحواجز.

اتصل لافي مبارك بمحمد جادلي وعرض عليه الفكرة فاستحسنها مباشرة، على الرغم من كبر سنه، فاستدرجاه إلى زاوية بلحملاوي حيث كان الموعد، فوجدني مع عمار بوضرسة في انتظاره، رحبت به، ثم فاتحته في القضية الجزائرية وكيف يراها، فأبدى برأيه في الموضوع بصدق وعن حسن نية فقال: الجزائر في طريقها للاستقلال، طال الزمن أم قصر، والفضل يعود لجيش التحرير الوطني، فقلت له: وأنت ما هي إمكانية مساعدة هذا الجيش؟ فرد على الفور: بما تأمرون، فقلت له: هل يمكنك استقبالنا في دارك ؟ فاندهش ثم أجاب: نعم..أنتم تعرفون وضعية التلاغمة، إنها ملغمة كلها بعساكر العدو، فقلت: لا عليك، لو جئناك إلى المنزل هل تستضيفنا؟ فقال: أهلا وسهلا، فقلت شكرا على قبول ملاقاتي، سأنظر في القضية ثم

نخبرك بوقت الزيارة. غير أنه لم يكن واثقا من الزيارة مثل سابقيه لعرامي، و لايڤ، الذين كانا يريان أنه اختبار لمدى وفائهما للنظام.

بعد وقت قصير فاتحت من جديد سي عمار في قضية اجتياز الظروف الشديدة الصعوبة، التي تتعرض لها الناحية، بل الولاية كلها، ومع استمرار الجهاد وازدياد الضغط على الجبهة، فيجب وجود حلول ملائمة، فمثلا وعوض أن نتقاسم المغارات مع جثث وعظام الشهداء، نلتجئ إلى هؤلاء الأعيان، أو بعضهم، إذا ما عبروا عن صدق نواياهم، ونبقى في المدينة طيلة دوام حملات التمشيط، لأن الجيش الفرنسي متيقن بأن جيش التحرير الوطني لن يغامر ويدخل المدينة، التي يكتشف أمر الغريب فيها بمجرد دخوله،هذا إن أمكنهم الدخول.

صمت عمار قليلا وفكر مليا ثم قال: وكيف الدخول؟ ثم أنا معروف جدا، ومعظم من يسكن خارج المدينة يدخلها إما للتجارة أو لقضاء حاجته، اعتبرت رد السي عمار موافقة مبدئية على الخطة، وما ينقصها إلا وسائل التنفيذ.

ففكرت مليا في طريقة الدخول، وكان الحل دائما يميل جهة عمي إبراهيم لعرامي سائق سيارة الأجرة، فهو موضع ثقة بالنسبة لفرق التفتيش بالحاجز، لأنه يوجد حاجز واحد لدخول المدينة من جهة ضيعة (لاروي) أما من الجهات الأخرى فإن

الدخول إليها صعب طبيعيا وحراسة، فقلت في نفسي يمكن أن ندخل مع إبراهيم لعرامي في سيارته، أو نبعث لعمي محمد جادلي ليدخلنا في سيارته الصغيرة والمعروف بها وهي بقوة حصانين« deux cheveux »أما بالنسبة لبوضرسة، فما دام معروفا لدى العامة، فقد اقترحت عليه لبس ملاية، (عباية) فقبل الاقتراح.

كان شتاء سنة 1961 باردا بسبب تساقط ثلوج كثيفة، حاصرتنا ونحن عند أحد المناضلين، كان قد استقبلنا وأكرمنا، وعندما هممنا بالمغادرة وجدنا الثلوج قد غطت كل السبل، والليل قد أظلم، فقررنا المبيت عنده، لكن، وفي الصباح الباكر كانت لنا مفاجأة، حيث جاء شخص مبعوث من طرف أحد المجندين الذين كنا قد ربطنا معه الاتصال من قبل، فأخبر صاحب الدار بأن معلومات وصلت مسامع الجيش الفرنسي بأنك تأوي مجاهدين في بيتك، فلم يكد يخرج من المنزل حتى غادرناه باتجاه قبيلة "أولاد يعقوب"، وبالضبط كنا قاصدين ضيعة "فرحات عباس" الذي كان يمتلكها هناك، وكانت مأوى لنا عند الحاجة.

خرجنا مسرعين واتجهنا نحو الساقية لطمس آثار أقدامنا، جاء الجيش إلى المنزل الذي كنا به، غير أن صاحب الدار كان قد احتاط لكل شيء، وطمس كل الدلائل التي تعبر عن مرورنا، فسأل صاحب الدار هل من زوار قصدوك أمس؟ فرد

بالنفي، لكن السؤال الذي بقي من دون جواب هو: كيف وصلت الأخبار إلى الجيش الفرنسي؟ ومن أوصلها؟ لكن النتيجة الحتمية لمثل هذه الأفعال هي سبب استشهاد كل من مر على المدينة الصغيرة من قادة.

ورغم أننا لم نترك آثار أقدامنا، لأننا كنا نسير وسط ساقية، فقد كانت فرق الجيش تتبع خطانا وكأنها تعرف وجهتنا، لكن بقينا نسير على هذه الحالة حتى وصلنا إلى ضيعة أحد مناضلينا، فدخلنا لنستريح، وخاصة بعد ما أصاب عمار من برد وتعب، حيث وجد نفسه لا يستطيع أن يحرك رجليه، لفقدانه للطاقة والحرارة التي امتصها الثلج بسرعة، فقمت بتدليك رجليه، كنت جالسا على ركبتي من دون حراك، ثم احسست بدوري ببرودة في ركبتي، فمكثت جامد الرجلين بدوري لولا تدخل صاحبة المنزل التي جاءت لنا بزيت الزيتون ساخن، و ادلكتنا حتى سار من جديد دمنا في عروقنا وإلا لما تمكنا من مغادرة الضيعة وبالتالي يقبض علينا "العسكر".

في هذا الوقت القصير الذي استجمعنا فيه طاقتنا وقوتنا، جاء صاحب الدار الذي كان في الحراسة بالخارج ليخبرنا بأن فرقة من الجيش تتبعنا، وهم في طريقهم إلينا، فخرجنا مسرعين نحو الساقية لمواصلة طريقنا.

بعد سير حثيث في برد قارس، وسط الماء والثلج الذي يصل في بعض الأماكن إلى الركبة، وصلنا إلى قرية "أولاد يعقوب"، ودخلنا إلى دار فرحات عباس فأكرمونا، وقبل أن نسترح جاء أحد الشباب وأخبرنا بأن القوات الفرنسية دخلت الدوار، وهم في طريقهم نحو منزلنا، فحاولنا أن نخرج مسرعين، لكن صاحبة الدار تقدمت وقالت لنا: لا تخرجوا، فلن يكتشف أمركم أحد، انتظروا أن آتيكم بكرسي تصعدون عليه للفراغ الموجود بين السقف والقرميد، عبر مدخل صغير في الزاوية، وبالفعل امتثلنا لقرارها، وإذا بالعساكر يملئون الدار ويسألون صاحبها: هل من زاركم اليوم؟ فردوا عليه بالنفي، وقال صاحب الدار: هاهو المنزل أمامكم إن أردتم التفتيش، فوقف الضابط قليلا ثم غادر المنزل.

بعد خروج الفرقة المطاردة، ومراقبة تحركه عن بعد، وبعد أن يئس من العثور على المجاهدين، شوهدت شاحنة تأتي لتحمله، فطلب منا أصحاب الدار النزول، لكن لم نتمكن من تناول الطعام، لأننا كنا نعتقد بأن فيه وشاية وراءنا، وقد يعود إلى الدوار من أجل تمشيطه، فقررنا أن نخرج في الحال ونقصد واد سقّان لنقصد مخبئنا المحصن بزاوية ابن الحملاوي.

لم تكن الطريق آمنة ولا المسافة قصيرة، ولا الجو ملائما لقطع أشواط ومسافات وسط ثلج كثيف وجوع زاده البرد

مغصا، لكن الحراسة بالزاوية كانت منضبطة، لأنه وبعد وصولنا، دخل أحد المريدين ليخبرنا بأن قائد وادي سقان قد وصل مشارف الزاوية مع فرقة من عساكره، فصعدنا كما فعلنا في دار فرحات عباس بدوار أولاد يعقوب، ودخلنا بين السقف والقرميد، وبعد دخول القائد تبين أنه جاء لصيد الحمام الموجود بكثرة بالزاوية، وصادف أن أصاب حمامة سقطت على قرميد إحدى غرف الزاوية، فطلب الإذن بالصعود من المكان الذي صعدنا نحن منه ليأخذ حمامته، فظننا أن الساعة قد حانت، ولكن المريد طلب منه أن ينتظر حتى يأتيه بها.

كاد عمار أن يكشفنا، لأنه أصيب بالسعال ولم يتمكن من التحكم في حنجرته التي أصبحت تدغدغ حلقه وحباله الصوتية، مما اضطرني أن أضع له منديلي في فمه، وبعد وقت قصير خرج الضابط وعساكره، ونزلنا من المخبئ السري الذي كان الفضل في طريقة استعماله للسيدة القيمة على الزاوية .

فكما هو مبين في هذا السير الإجباري التي أملته الظروف، وسط جو لم نكن نتمناه، وخيانة الإخوة وظلمهم لنا، وظلم ذوي القربى أشد وطأة، عرفنا كيف يكون المؤمن بعدالة قضيته، وبإخلاصه للمبادئ العامة التي جاء بها النظام، وكيف يضحي العام والخاص من أجل نصرة الحق. وهذا ما جعلني ورفيقي عمار بوضرسة نفكر من جديد في استحداث مجموعة من الملاجئ

والمخابئ والمراكز داخل المدينة للجوء إليها عند الحاجة، بدلا من المطاردات البعيدة في ظروف لا يتمكن الإنسان من معرفة عواقبها.

الفصل السابع

في المدينة من جديد

350

كانت التلاغمة الحد الفاصل مع الولاية الأولى، على الحدود مع عين المليلة وغيرها من القرى، الأمر الذي جعلني في صراع دائم مع جيش هذه الولاية وعلى رأس الناحية كان المجاهد المرحوم عبد الحميد قواسمية الذي خضنا أنا وإياه مناقشات عديدة، بسبب الحصول على الذخيرة والملابس العسكرية من المجندين هناك، وكنا نعقد اجتماعات قريبا من قرية "بيرطو"، التابعة جغرافيا للولاية الأولى، وكثيرا ما كنا نختلف عن تطبيق خط التماس بين الولايتين، والذي هو محدد بخط السكة الحديدية، وهم يعتمدون على أن نصف الثكنة يمتد إلى ما وراء السكة، أما نحن، فإننا نبني حجتنا على أن مدينة التلاغمة تابعة جغرافيا إلى الولاية الثانية، ولذا فكل ما يوجد في هذه القرية يتبعها عمليا، مما جعلني أترك الرجال يعملون ويجمعون ما يمكن جمعه، لكن فيما بعد اتفقنا على تقاسم ما نغنمه من الجيش الفرنسي بهذا المكان.

بعد أن استقراري بمحيط المدينة، رأيت أنها تنعم بهدوء أمني، فرغم أن المقاطعة كانت تصنف كمقاطعة خطرة "مقاطعة الموت" إلا أنها لم تسجل أعمالا ميدانية، لأن محيطها كان مكشوفا، عاريا من الحواجز والعقبات، ولم يكن التنقل ممكنا في النهار إلا إذا كانت المحاصيل الزراعية وافرة، داخل الحقول، فلو يتم اكتشاف أحد منا لن يفلت، لأنه لا يستطيع أن

يجد مكانا يحتمي فيه، كما هو الحال في الجبال، بالإضافة إلى استخدام المروحيات والدبابات لملاحقاته، ولم يبقى أمام المجاهد إلا أن يثبتَ خلف صخرة، ويحمي نفسه بعدد الرصاصات التي يحملها، ثم إما أن يسقط شهيدا، أو يلقى عليه القبض حيا، وهذا غير محبب لدى المجاهد لأنه يعرف نوع العذاب الذي كان يطبقه خريجو مدرسة جان دارك المتخصصة في الاستنطاق بالتعذيب.

ورغم أنها عرفت معارك واشتباكات قوية، كما هو الحال بالنسبة لمعركة الموزينة، بالقرب من مدخل وادي سقان، التي قضي بها على جماعة كانت تستريح بأحد المنازل، بعد أن كبدوا العدو العديد من القتلى والجرحى.

وكذلك الكمين الذي نصبناه بعد قرية أعرامة، أي في مكان قريب من جبل فلتان، وقد اخترنا المكان والزمان، (عند المغرب)، وبعد أن كبدنا الجيش الفرنسي خسائر معتبرة التجأنا إلى "الكاف الأحمر" جنوب مناجم الجبل.

كما نسجل معركة أولاد الكاسح التي ذكرناها، وكانت تحت قيادة الشهيد رابح خدروشي، المدعو البارا، ومعركة بمدخل عين اسمارة، بالشمال الشرقي من جبل فلتان، بقيادة الشهيد البطل محمود لبصير، ولم ينج إلا مجاهد واحد كان معه .

لقد تمكنت من إقناع زميلي عمار بوضرسة، بالدخول إلى مدينة التلاغمة في الأوقات الضرورية، للتخفيف على المناضلين الذين تحملونا، رغم كل الأخطار التي يتعرضون إليها، من جهة، والتقليل من مخاطر التنقل بين بني اصبيح وحجر مفروش والتلاغمة، المسافة التي كنا نقطعها لأسباب أو أخرى، وحتى يطمئن عماربوضرسة، فتحت باب المبادرة بعدما طلبت من المرحوم "مبارك لايف" أن يأتيني بملابس مدنية جديدة، فلبى الطلب، ثم بعثته إلى إبراهيم لعرامي"المدعو خالي"، لموافاتي وأنا بزاوية بلحملاوي، فأخبرتهما بأني عازم على دخول المدينة، فقالا لي متى؟ فقلت اليوم، فاندهشا، لأنهما كانا يظنان أني أمزح، فدخول الـتالتلاغمة يتطلب تحضيرات خاصة، ثم أني لم أظهر لهم حماسا وإصرارا على طلبي.

كان "خالي"- وهو يكنى بهذا اللقب لان كلمة خالي لازمة في كلامه كلما خاطب احدهم قال له يا خالي- متعودا على وضع الشمّة في أنفه، وعندما سمع القرار، وبطريقة لا إرادية أخرج قرن الشمة[1] من جيبه وحركه قليلا، ثم فتحه، وأدخل

---

1 - قرن الشمة هو وعاء يصنع من قرن الثور بطريقة فنية، وتوضع له سدّادة من لحى الفلين، وخيط من الجلد في منتصف السدادة، يسمح بفتح القرن عند الحاجة، و يعبأ التجويف بالسّعوط المصنوع من أوراق التبغ، بعد تجفيفه و طحنه، ويحفظ بصفة دائمة في الجيب.

أصبعيه، الإبهام والسبابة، وأخذ كمية بينهما، ثم استنشقها، والتفت إليّ وقال وهو يخاطبني:

- يا خالي هل أنت مجد في قرارك هذا؟

- نعم.. لابد من خلق جو مخالف لما كانت عليه المدينة، سنجعلها مثل مدينة العلمة المجاورة.

- وإلى أين تذهب في القرية وكل واحد معروف عند جيرانه؟ بل وحتى أقاربه معروفون أيضا.

- سأخبركم بعدما تُدخِلوني.

- لكن هناك حاجز عسكري في مدخل المدينة.

- بكل مداخل المدن حواجز عسكرية، ومع هذا فكل الفدائيين يقومون بواجبهم بها...أوصيك بما يجب فعله عند الحاجة، عندما تتوقف أمام الحاجز ضع السيارة في حالة تأهب قصوى للانطلاق, فاذا ما أوقفوك وسألوك عني، قل إنّه قريبي جئت به من قسنطينة، وهو ذاهب إلى مدينة سطيف، وفي حالة ما إذا طلبوا مني أوراقي الثبوتيه فعليك أن تضغط على دواسة السرعة، واترك الباقي عليّ، إياك أن تفقد قوتك المعنوية.

أمليت على"خالي"هذه التوجيهات البسيطة اعتمادا على تجاربي السابقة مع حملاوي، وكيف كنا ننتقل داخل مدينة قسنطينة عند الضرورة، ورغم أن فاجأتهما بالقرار الذي لم يكن منتظرا، هما اللذان لم يتعودا على مثل هذه الأعمال، فقد

خافا من العواقب، ومع هذا خشيا التصريح لي بمكنونهما الذي لم يخفَى علي... فتبادلا نظرات فيها علامات استفهام كثيرة، وبعد ثوان قليلة اتفقا على ضرورة التضحية وعدم الرجوع إلى الوراء.

قررت أن أتريث قليلا في الدخول، حتى نتمكن من تجنب أشخاص قد يتعرفون علينا، ثم توكلنا على الله، فصعد "الكرفة" مع "خالي" من الأمام، وجلست أنا بالكرسي الخلفي مرتديا قشابية، وهو لباس مستعمل عند سكان الجهة، لاسيما في أوقات البرد، وكنت أخفي تحتها سلاح ماط 49.

وصلنا أمام الحاجز، فنظر كل من لافي وخالي إلى العساكر وألقيا عليهم التحية، وكانا معروفين عندهم، فردوا عليهما التحية، ودخلنا بكل أمان، على أساس أن "خالي" يقوم بعمله اليومي، باعتباره سائق سيارة أجرة، وبعد أن قطعنا مسافة قصيرة طلبت منهما أن يعرفاني على دار محمد جادلي، فأوصلاني أمام مدخلها الرئيسي ومدخلها الثانوي عن طريق المستودع، ثم طلبت منهما أيضا أن يرشداني إلى منازل أخرى لمناضلين حتى أخلط عليهما الأمر، ثم قلت لهما أتركاني هنا، قرب مسكن لم أكن أنوي دخوله، وطلبت منهما أن لا يأتيا للبحث عني في الغد، وسأبعث لهما في الوقت المحدد ليأتيان للمكان الذي سيحمله شخص يعرفانه.

لم أكن أقصد غير دار محمد جادلي، فبمجرد أن تواريا عن نظري حتى قصدت العنوان الذي حدداه لي، فتسلقت على الحائط ودخلت إلى المستودع، وفضلت أن أدخل حافلة وأقضي ليلتي بها احتياطا، وتصورت في حالة ما إذا ألقي القبض على أحدهما، وكشف بأني في هذا المنزل مثلا، لا يمكن أن يدخل الجيش إلى المستودع قبل أن يتفقدوا مكان نزول الضيف، فأكون قد تمكنت من الانفلات والاتصال بمخبئ ثان.

طلع الفجر، فجاء محمد جادلي على عادته يتفقد الحافلة، وكان حريصا على تفقدها يوميا قبل أن يسلمها للسائق، ولما لاحظت أنه كان يتجول لوحده داخل المستودع الفسيح، وأنا أراقبه من داخل الحافلة إلى أن قصدها وفتح الباب الأمامي فوجدني جالسا فوق الكرسي، شعرت بالأمان.

تفاجأ عمي محمد عندما وجدني أمامه دون سابق موعد، تفاجأ كيف دخلت، لكني قطعت دهشته بإلقاء التحية، فردها علي وهو لم يصدق بعد ما يرى، لأنه طلب مني أن أخبره عندما أقرر زيارته، لكنه لم يكن متيقنا بأني سأغامر وأزوره بمنزله، ثم أنه ما زال يشوبه الخوف، لأن سكان التلاغمة لم يكونوا يثقون به، باعتباره حسب رأيهم أنه كان صديق بعض الضباط في التلاغمة، أما أنا فبسبب ذلك كان إصراري على الاتصال به، وبعد مدة قصيرة تبادلنا فيها الحديث، طلب مني الدخول إلى

الدار، وصاح في أهله "الطريق"[1] ففسحوا لنا المكان فدخلت مع عمي محمد إلى البهو، قبل أن يطلب مني السماح بتهيئة مائدة الفطور، فقلت له: لا، شكرا، وكان هذا من باب الاحتياط، وهنا تقطب جبينه فظهرت عليه تجاعيد الكبر، لأنه ظن أني أنوي به شرّا.

انزعجت العائلة من عدم خروج الزوج والأب لأخذ فطور الصباح له ولمن معه، فتقدمت إحدى بناته نحو الباب، وبدأت تصطنع السعال، كإشارة على جاهزية فطور الصباح، فأعاد الكرّة بضرورة الخروج، لأن العائلة جهّزت الفطور، فرفضت الطلب، مما سبب لهم إزعاجا كبيرا، فاتصلوا بابنه الوحيد، رشيد، الذي يبلغ من العمر حوالي 21 سنة، فجاء إلينا ليتبين الأمر، وعند دخوله البهو وجدني جالسا قبالة أبيه والرشاش إلى جانبي، فأمرته بالجلوس، وبدأت الكلام معه بهدوء بعد ما لاحظت عليه الخوف والاضطراب، بعدها طلب مني العذر ليخرج من أجل إحضار الفطور، فرفضت وقلت له: لا؛ ابقى معنا.

طالت مدة الكلام، مما زاد في حيرة العائلة، لاسيما وأن رشيد، الذي جاء منقذا، لم يخرج ، فهم الأب أني محتاط وأخشى أن يخبر أحدهما العدو بوجودي، فبادرني محمد

1 - عندما يأمر صاحب الدار أهله بكلمة "الطريق" تعني فسح الطريق أمام ضيف من غير المحارم للدخول إلى بيت الضيوف.

بالكلام قائلا: احتجز أحدنا واترك الثاني يأتينا بالفطور، ففكرت قليلا وقبلت الاقتراح، فقال الأب لابنه: أخرج أنت يا رشيد وأتينا بالفطور، فقال الابن لأبيه : أخرج أنت وأنا أبقى مع ضيفك هنا.

وهذا دليل على ترابط العائلة وتماسكها، كما تبين المحبة القصوى بين الأب وابنه، فهيهات لنا هذا اليوم، كنت أتابع المشهد، كيف كان الأب يريد أن يحرر ابنه ويبقى هومحتجزا، كما كان يظن، وكيف كان الابن يريد أن يحرر أباه ويبقى هو معي، ربما لخطة في رأسه تقضي باغتنام الفرصة ومقاومتي، فقلت للابن:

- اخرج أنت واترك أباك معي، لكن ليكن في علمك أنه لو تجرأت وقمت بأي تصرف خاطئ فستكون الرصاصة الأولى في رأس أبيك، فقال محمد:

ألهذا الحد تظن بنا؟

فقلت: لا، وإلاّ لماذا أنا هنا؟ ولكن باب الاحتياط يتطلب أن نتصرف بهذا المنطق.

خرج رشيد وجاءنا بالفطور، وبقيت أنا ومحمد نتبادل أطراف الحديث، وبدأت ثقتهم بي تعود، وخاصة بعد أن طلبت من رشيد أن يذهب ويتصل بالكرفة، ويطلب منه القدوم، فجاء معه، وكان يعرف محمد جادلي، فاعتذرنا منه، وأظهرت له رضائي

عن الاستقبال الحسن، واحتججنا بالخروج من المدينة لأمر مستعجل، على أن أعود في فرصة ثانية.

توطدت علاقتي بعمي محمد جادلي وعائلته خاصة بعدما اصبت يوما ينزلة برد حادة، وكان علي مراجعه الطبيب ولم يكن هناك طبيب, وقد اصبت بحمى شديدة فاقترح علي ان ياخذني لطبيب بمدينة ميلة يعرفه، لم أكن لأرفض فأنا كنت في شبه غيبوبة، انتقلنا هناك، بسيارته وكلما مر على حاجز عسكري قام بتحيتهم ليردوا عليه، فقام بحملي إلى طبيب فرنسي أعطاني العلاج، اشتراه لي جادلي في طريق العودة، وكلما تذكرت أن الحمى جعلتني اخاطر واتنقل بحواجز العدو الذي كان يبحث عني بشكل هستيري، أضحك.

نتيجة لتكرار دخول وخروج الكرفة ومحمد جادلي من المدينة يوميا، بسبب مهنتهما، وبوسائل عديدة، فقد تكررت عملية التسلل داخل التلاغمة، وأصبحت لنا مراكز عديدة داخل المدينة، وكنت أدخل مع الكرفة يرافقنا، تارة عمار بوضرسه الذي كان يدخل المدينة متخفيا في ملاءة، فألفنا حياة المدينة من جديد، وما كان يستهويني، وكنت شغوفا وولوعا به منذ صغري، هو مشاهدة الأفلام الجديدة، مثل ما كنت أفعله مع الشهيد حملاوي، فطلبت من الكرفة رأيه في إمكانية الدخول لمشاهدة فيلم، فقال أنتما معروفان، وأكبر زبائن هذه القاعة هم

من محيط المدينة، وقد يشاهدونكم، فقلت ندخل بعد إطفاء الأنوار، ونخرج قبل النهاية، فقال على بركة الله.



مجموعة من الثوار بالمنطقة الثانية من اليمين الى اليسار: محفوظ دقدق، ابراهيم بودفار، كشود محمد و محمود بودرميم.

لكن ما نسيناه هو تغيير مكبة الشريط، وإضافة الجزء التالي إلى آلة العرض، إذا كان الفيلم طويلا، وبالتالي تشعل الإنارة لدقائق، حيث تركب الأسطوانة الثانية، ثم ينقل الشريط الذي تم عرضه إلى مكبة ثانية ليكون جاهزا للعرض في الحصة التالية، وهذا ما وقع معنا، ففي هذه المدة، ونحن جلوس إلى جانب بعضنا، توقف الشريط وأشعلت الأنوار، فإذا بالشاب الجالس في الصف الذي يقع أمامنا، وهو يتمطط ليأخذ قسطا من الأوكسجين، استمال رأسه نحو الخلف، فإذا به أمامنا

مباشرة، فلم يصدق نفسه، ثم التفت للتحقق مما رآه، فتيقن أننا من استضافهم في منزله، فمال على صديقه الذي كان إلى جانبه، وتمتم له في أذنه، يخبره بأنه سينصرف لأنه يحس بالتعب، ثم قام مغادرا، فالتفت الثاني، كي يوقفه فوقع نظره علينا وعلم هويتنا، فنادى عليه كي ينتظره فهو أحس بالتعب فجاة فوقعنا في حرج، مما جعل باقي اصحابهم يلتفتون ليروا سبب انصرافهما فوقع نظرهم علينا فابتدؤوا بالخروج الواحد تلو الاخر.

وخوفا من تسرب الجميع من قاعة السينما ونبقى وحدنا، وقد نتعرض إلى ما لا يحمد عقباه، قمنا بدورنا، وكانت أضواء القاعة قد أطفئت، وغادرنا ونحن نضحك على طيش الشباب الذي كاد أن يقضي علينا.

توجهنا نحو متجر الحلويات الشرقية EPICIER الذي يمتلكه التونسي، وكنا قد أخطرناه بإمكانية المبيت عنده، وقبل العرض، عند عودتنا قصدنا المتجر لكن وقبل أن ندق الباب، حسب الإشارة المتفق عليها، تريثنا قليلا، لأن الظلام بالمكان كان دامسا، والمصباح الموجود فوق الباب تالفا، ولم نكن نرى شيئا، وبرهة وجدنا أنفسنا وجها لوجه مع دورية من العساكر لم نرها من بعيد، فقال القائد للكرفة مساء الخير، (لأنه يعرفه)، ماذا تفعل في هذا الوقت المتأخر؟ فرد عليه: كنا نتفرج على فيلم

لم يعجبنا فخرجنا قبل انتهاء العرض، فقال له الضابط: ومن معكم هذا لم نره من قبل، فقال له إنه ابن خالتي، قدم من مدينة سطيف ليبقى معنا يوم أو يومين قبل الرحيل، أنا كنت مرتديا القشابية كالعادة، وكنت مستعدا لإطلاق النار عند الضرورة، فكنت أحمل معي مسدسا من نوع ماك 50[1]، لكن، والفضل يعود للكرفة، حيث استطاع أن يتحكم في برودة أعصابه، ويقنعه بأن الأمور هادئة، وبعد ذهاب الدورية، طرقنا باب المحل، فتح الباب، فدخلت بينما ذهب الكرفة و بوضرسة إلى منزليهما خارج المدينة.

اغتنمنا فرصة وجودنا داخل المدينة وبدأنا بالاتصالات بالمجندين الجزائريين في إطار الخدمة العسكرية، فربطنا معهم الاتصال [2]، وأصبحنا على اطلاع مسبقا بما سوف يجري، خاصة من خلال المعلومات التي تفيدنا بها زوجة أحد الضباط الجزائريين اسمه "بكيري"، والذي أصبح فيما بعد ضابط

---

1 - ماك 50 أو المسدس الفرنسي، من منتجات مصانع الأسلحة بشاطلرو،نموذج 1950، رصاصاته مطابقة لرصاصات ماط 1949

2 - كان الجيش يعبر عن تمنكه من ربط علاقات أو اتصالات بالمجندين أو بعناصر من الفرق الأجنبية أنهم ربطوا معه الخيط، وهذا الرباط هو ما ساعد على التحاق الآلاف من المجندين الجزائريين، ومن عساكر اللفيف الأجنبي ، بل ومن المجندين الفرنسيين الشباب بالفرق في الجبال، فمنهم من واصل عمله مع جبهة أو جيش التحرير الوطني ومنهم من سلم لبلده عن طريق الهلال الأحمر الجزائري والصليب الأحمر الدولي.

بالجيش الوطني الشعبي، كما تمكنا من"ربط الخيط" مع عسكري فرنسي مجند في إطار الخدمة العسكرية، كان ساخطا على ما يجري بالجزائر من ممارسات ومن فضائع لا تشرف الإدارة العسكرية، بعد عودته لفرنسا أصبح رئيسا لبلدية، و كان يبعث لي دوما التحية مع زملائه الجزائريين الذين كانوا معه ومن بينهم المرحوم برشيشي.

لقد تعرضنا في المرات العديدة للحصار ولكن تمكنا من الإفلات منه بطريقة أو بأخرى، وكنا نشتم فيه رائحة الخيانة، وهذا ما كان يزيدنا حيطة وحذرا في تنقلاتنا وفي سكوننا، كما برهنت لنا مرة أخرى بأن حبل الخونة طويل، مما زاد في إصرارنا على تحريك الساكن، والقيام بأعمال ميدانية متقطعة، ومتنوعة، وفي أماكن مختلفة.

كان عمل المسبلين بالأهمية بمكان، فهم عيوننا وآذاننا، والهواء الذي نستنشقه، كما كانوا الممونين والممولين لفرق جيش التحرير الوطني، كما كانت الحراسة الوقائية، والمراقبة المستمرة لتحركات الجيش الفرنسي، لكنهم كانوا دائما عرضة لكل التوقعات من الجيش الفرنسي الذي استطاع أن يشتري الضمائر الميتة من بني جلدتهم، والغريب أن الخونة كانوا يعملون في سرية تامة، حيث لم نتمكن من الكشف على

هويتهم حتى 1962 ، لكن، وما دام الله يمهل ولا يهمل، فقد يأتي يوم ينكشف فيه المستور.

كان هؤلاء الحراس بالقرى كثيرا ما يصيبهم الذعر عندما يرون القوات العسكرية الفرنسية تتحرك نحو القرية، ونحن مقيمون بها أو مستريحون لتناول الطعام، فكثير ما يدخل الحارس وهو في حالة غير عادية، صارخا - أسرعوا.. أسرعوا..العسكر وصل، ولو أن العساكر قد تكون بعيدة، بل حتى ولو لم يتأكد من كونها تقصد منزلنا، أوهي عابرة فقط، مما يؤدي في الكثير من الأحيان إلى التلملم والتسرع، في اتخاذ الاحتياطات الأمنية، ومن بينها أن البعض يغادر المنزل مباشرة، يخشى من التطويق، فيكشف عن مكانه للعدو الذي ربما لم يكن يعلم عن وجودنا بهذه المراكز، فكنت في هذه الحالة أتصرف بحكمة، وآمر كل الجنود أن يستعدوا، مع البقاء في أماكنهم قبل أن أنتهي من الاستفسار عن مختلف جوانب هذا التحرك، كم عدد الجنود؟ من أين أتوا؟ أي اتجاه يقصدون؟

وكم من مرة تجنبنا عواقب التسرع، لكن، وفي العديد من المرات أيضا وقعنا في مواجهات مسلحة ولم نكن في حاجة إلى ذلك، لأن مفهوم الحرب والمواجهة لا يعني القيام دائما بمعارك وهجمات وكمائن، لا فائدة ترجى من ورائها، وإنما كنا نقوم بهذه الأعمال لأسباب أهما :

- التأكيد على وجود جيش التحرير الوطني بكل الجهات من الوطن.

- التأكيد على أن جيش التحرير يضرب متى شاء وأينما شاء، وكنا ندعو الصحافة الدولية لتغطية بعض الأحداث، وتقديم شهادات حية عن المعارك.

- فك الحصار العسكري على نواحي ومناطق تكون عرضة لتمشيط مكثف.

- الثأر من الجيش الفرنسي بعد كل مجازر يقوم بها ضد المدنيين العزل، لنظهر له أنه في غير مأمن أينما كان.

- تصفية غلاة الاستعمار والخونة حيثما كانوا...

- ومن الاحتياطات التي نتخذها هي أننا نختار الزمان الذي نواجه فيه العدو، وغالبا ما يكون بعد الزوال وهو الوقت المفضل لدينا، لأننا سنحتمي بالظلام إذا حوصرنا، ونمنع تدخل المروحيات والدبابات ليلا، ولهذه الأسباب كنت أتمتع ببرودة الأعصاب في مثل هذه المواقف، وهي الصفة الأساسية التي ورثتها عن مدرسة خلايا الفداء.

قبل وقف إطلاق النار كنا نمر بمرحلة عصيبة، ولولا فضل الله علينا، وحنكة قيادة جبهة التحرير الوطني، بدبلوماسيتها النشطة، والتي تمكنت من تدويل القضية والتفاف العديد من الدول الشقيقة والصديقة حولها، والتعاطف معها، مما أجبر

القوات السياسية والعسكرية الفرنسية على تبني الطرح الأخير المتمثل في الحل السياسي، من أجل إنقاذ شرف فرنسا، وحمايتها من العمل العسكري الذي انتقل إلى عاصمة الدولة الفرنسية نفسها.

وكان لقدرة جيش التحرير الوطني، على التحمل والمواجهة، الأثر البالغ، بعد فرض خطة ملائمة للمواجهة الظرفية، فقد حوصرت المداشر والقرى، ووسعت المناطق المحرمة، وطوقت المدن بعد عسكرة كل شيء بها، وما زاد الطين بله هو ما سمعنا وأن"الإخوة" الخمسة1 المسجونين بفرنسا، قد أعلنوا عن إضراب عن الطعام، بينما كان الوفد الجزائري في معركة المفاوضات، وكان رد الفعل من طرف بعض القيادات معنا أمثال عبد الكريم مقيدش، وعمار النجار، ومحمد رموش، وسي صالح بوحبل، وكان قد سبق لهم أن ناضلوا في مختلف التشكيلات السياسية للحركة الوطنية، فقد انتقدوا تصرف الاخوة القادة بهذا الشكل في هذه الظروف، وقالوا أنهم بدؤوا من الآن التحضير لتولي زمام السلطة، في الوقت الذي كان عليهم التركيز على ما يمليه الفريق المفاوض من بنود في نص الاتفاقية التي ستتوج هذه المفاوضات.



بأحد مراكز جيش التحرير الوطني بالناحية الثانية المنطقة الثانية من الولاية الثانية، من اليمين الى اليسار: بوعكاز، صاحب المركز(المنزل) بضواحي التلاغمة، محمد كشود (المدعو سي عبد الله)، المرحوم محمود لبصير قائد عسكري للناحية الثانية.

بحكم موقعنا كقادة لنواحي عسكرية، كنا نسمع من زملائنا المحافظين السياسيين أخبارا عن مجمل المحادثات السياسية مع الطرف الفرنسي، رغم اقتناعنا بأن هذا الطرف لا يرضخ إلا لقوة الحديد والنار، وهذا ما عبر عنه فرحات عباس عندما قال : توجد خلافات عميقة بيننا وبين الحكومة الفرنسية، وقد اتضح من خلال نتائج مفاوضات "مولان" أنها أعمق مما كنا نعتقد.

وبما أن الجنرال دوغول قد راهن ومنذ البداية على العمل العسكري، وأراد من خلال القضاء على الثورة تضخيم جيشه

من أجل انتصار كبير متخذا شعار: راهن بالجملة تربح بالجملة «miser gros gagner gros» لكن فشله العسكري أرغمه على استعمال البطاقة الخامسة التي لم يكشف عنها قبل فشل مخطط شال، والمظاهرات الشعبية التي أفشلت كل الحلول السياسية، وانتقال الهجمات إلى فرنسا نفسها، والخسائر الاقتصادية التي أفرغت الخزينة الفرنسية وكل هذا أجبر القيادة السياسية على العودة إلى طاولة التفاوض.

بعد جهود مضنية من الدبلوماسية الجزائرية، صادق المجلس الوطني للثورة الجزائرية على مسودة الاتفاقية التي خطط لها بمدينة ليروس، من11إلى19 فيفري 1962، ومنها المبادئ الأساسية التي تمسكت بها جبهة التحرير الوطني والتي تتمحور حول: استرجاع السيادة الكاملة - وحدة الشعب الجزائري - وحدة التراب الوطني والاستقلال التام، وبعدها تمت المصادقة على نتائج المفاوضات التي أجريت بمدينة أيفيان بين 07 و18 مارس 1962 والإعلان عن وقف إطلاق النار بصفة نهائية يوم 19مارس1962 في منتصف النهار، وإقرار مرحلة انتقالية يتبعها إجراء استفتاء تقرير المصير.

اعتبرنا وقف إطلاق النار انتصار الحق على الباطل، وانتصارا للدبلوماسية الجزائرية في شبابها، وانتصارا على الأرض، لأن الشعب قرر مصيره، وأنه تيقن أن ثقل الضريبة التي دفعها حررته

من التبعية والحرمان والجهل، وأن سنين المعتقلات والسجون كونت رجالا ، لكن ...

في هذه المدة، مدة المفاوضات التي لم تمنع العمل الحربي، كنت أتنقل بين القلعتين: مركز القسم الثاني من الناحية الثانية من المنطقة الثانية للولاية الثانية، أي 222، إلى غاية مدينة التلاغمة والتي تعد السكة الحديدية الفاصل بين حدود الولاية الأولى والولاية الثانية ، وجبل بني صبيح.

وقد كنت في هذا الوقت بالضبط بصحبة مجاهد اسمه " لحبيب بن مستورة" وهو من وادي تليلات، فر من الجيش الفرنسي والتحق بالجبل، كنت معه بزاوية بن الحملاوي، وإذا بفرقة من الجيش الفرنسي، وعلى رأسها ضابط، جاءت إلى الزاوية، قبل خمس دقائق من دخول وقف القتال حيز تطبيق، لكننا صعدنا إلى سقف أحد البيوت، وانتهت الأمور بسلام.

بعد وقف إطلاق النار بالاضافة الى كوني مسؤولا عسكريا بالجهة أيضا بصفة نهائية ، بدأت الأوامر تصلنا تباعا من القيادة وبصفة متتالية، وباعتباري كنت مكلفا بالاستعلامات والأخبار، فقد أوكل إلي جمع الناس وأخطب فيهم، وأحاول أن أوضح لهم أن وقف إطلاق النار لا يعني الاستقلال، بل هو مرحلة تسبق عملية الاستفتاء الشعبي حول استرجاع السيادة الوطنية،

والآن علينا أن نحظر أنفسنا والقيام بتوعية الشعب من أجل الاستفتاء حول الاستقلال التام .

كما وصلتنا تعليمة من القيادة مفادها ضرورة احترام وقف إطلاق النار بكل جدية وانضباط، والعمل على تطبيق "العفو الشامل" أي عفا اللّه عما سلف، فلا يحاسب أحد عما فعله قبل اليوم.

كما طفت إلى السطح المفارقات والخلافات التي برزت بين إخوة الأمس في مؤتمر طرابلس الذي دار بين 27 ماي و05 جوان 1962 حيث توقفت أشغال المؤتمر قبل انتهاء جدول أعماله، دون أن تستأنف المحادثات، أغلق باب النقاش وحان الوقت للقتال بين الإخوة وقد عرفت هذه المرحلة بحرب الولايات.

والسبب الذي كان وراء هذه الخلافات المشؤومة لا يعدو كونه يدور حول الزعامة، وقد تناقل مجريات هذه الأحداث من حضروا المؤتمر ومن بينهم محمود البصير، المسؤول العسكري بالناحية الثانية، الذي يذكر أن الإخوة الذين خرجوا من السجن جاءوا بنية الاستيلاء على الحكم، واغتنموا الفرصة على أساس الخلافات التي كانت مطروحة مابين قادة أركان جيش التحرير الوطني في الحدود وعلى رأسهم بوخروبة محمد المدعو "هواري بومدين" مع الحكومة المؤقتة، كما قدم لنا عمر بوداود، وعلي كافي، اللذان كانا بمكتب تسيير المؤتمر، بالإضافة إلى رئيس

المكتب وهو محمد الصديق بن يحي، شهادتهم عن سير الأشغال، فقالوا أن المساجين الخمسة، وبعد خروجهم كانت لهم أول مبادرة وهي طلب اجتماع المجلس الوطني للثورة لمناقشة بعض النقاط.

بعد أخذ ورد حول شرعية هذه المبادرة التي تهدف لعقد مؤتمر، والتي تحدد النصوص وجوب توفر طلب ثلثي أعضاء المجلس أو من الحكومة المؤقتة، ولحل المشكل تبنت الحكومة المؤقتة الطرح، وطلبت اجتماعا طارئا فاكتسب الاجتماع شرعيته وحدد موضوعه بدراسة بندين لا ثالث لهما:

1 - إعداد برنامج سياسي يحدد ملامح بناء الجزائر الجديدة

2 - انتخاب قيادة لمكتب سياسي جديد.

كانت الوثيقة التي طرحت على المؤتمرين هي وثيقة الحمامات التي كان قد أعدها بعض الإطارات بتونس، وبعد المصادقة عليها أصبحت الوثيقة تحمل اسم ميثاق طرابلس، ناقش ممثلو الولايات الذين بلغ عددهم 52 عضوا، وممثل عن منطقة الجزائر الحرة (ZAA) وممثلون عن فدراليات: فرنسا، تونس، والمغرب، وهيئة الأركان العامة، وأعضاء الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية [1]

---

1 - شريف عاشور، قاموس الثورة الجزائرية 1954 -1962، الجزائر، دار القصبة، 2007، ص 226 /227

فبالنسبة للبند الأول لم يكن هناك خلاف بين مواده رغم أنه لم يكن يحمل شعار "النظام الاشتراكي" إذ يذكر كل من حضر المؤتمر أن الصيغة التي حددتها جبهة التحرير الوطني في وثيقة الحمامات، وحتى السابع والعشرين من ماي هي "الجمهورية الديمقراطية الشعبية" و تغيير اسم جبهة التحرير الوطني باسم حزب جبهة التحرير الوطني، وتسيير البلاد من خلاله وحده، ثم تغيير اسم جيش التحرير الوطني باسم الجيش الوطني الشعبي، وتم الإتفاق على مواد هذا البند كاملة وبالإجماع، رغم إدراج النهج الاشتراكي إلى وثيقة الحمامات.

أما الخلاف فقد حصل بالفعل عند مناقشة اختيار قيادة مكتب سياسي يتولى زمام الحكم، ويدخل محل الحكومة المؤقتة ليتولى هيكلة وبناء الدولة الجزائرية، وكان الطاهر الزبيري، قائد الولاية الأولى، قد طالب بحقه في الانتخابات بتوكيل من الأعضاء الثلاثة لمجلسه الولائي، لكن بن خدة، رئيس الحكومة المؤقتة للجمهورية الجزائرية، اعترض على ذلك، لغياب تفويضات كتابية، كما تنص عليه المادة 32 من قانون جبهة التحرير الوطني، وعلى إثر ذلك انحاز بن بلة، نائب رئيس الحكومة المؤقتة، إلى الطاهر الزبيري، لتحدث مناوشات تؤدي إلى تعليق أعمال الجلسة في منتصف الليل في الخامس جوان 1962، فعلقت الأعمال وفتح باب الجحيم على جيش الولايات،

لكن صرخة الشعب المنادية بـ"سبع سنين بركات" حركت ضمائر البعض، وتخلى بن خدة على الحكم طواعية.

التقيت ذات مرة بن يوسف بن خدة رئيس الحكومة المؤقتة سابقا، وكنت آنذاك مدير المنح بوزارة المجاهدين حيث طلب مني استقباله، وكان مبعوثا من قبل عبد اللّه بن طوبال وصالح بوبنيدر، فاغتنمت الفرصة لأطرح عليه أسئلة في الموضوع، فأجابني بكل صراحة قائلا: اسمع يا بني، لقد كنا نعرف أن بن بلة على استعداد أن يتحالف مع أي كان، ولا يهتم بأي عائق يحول دون إمكانية وصوله إلى سدة الحكم، وخاصة بعد أن ضمّ إلى صفه قائد الأركان، فما كان علينا إلا أن نترك له الحكم وهذا ما وقع.

لاشك أن بذور الخلاف كانت موجودة من قبل، ولا شك أن البعض لم يكن راضيا على تسيير الحكومة المؤقتة، وهذا شيء طبيعي، فكل من لم يجد غرضه يعبر عنه بعدم الرضى، واتهام المسئولين القائمين على تنظيم وسير الحكومة المؤقتة بغير القادرين على تلبية رغبة كل مطامح الحضور، غير ما هناك أن بعض الجماعة لم تكن واعية، فلم تأخذ بعين الاعتبار سبع سنوات ونصف من الكفاح المرير، بالإضافة إلى العوائق التي بدأت تظهر على الأرض، مثل المنظمة العسكرية السرية، وما تقوم به من أعمال إجرامية، وأن الوضع أصبح غير مؤتمن تماما،

فقد كانت تتبع الأرض المحروقة، كل هذه الأوصاف لم يأخذها بعين الاعتبار هؤلاء المتسلطين الذين حاولوا ركوب القطار وقيادته وحدهم، عوض الانتقال السلمي وترتيب الأمور في إطار الحكومة المؤقتة الشرعية التي أشرفت على المفاوضات، والتي اكتسبت تجربة في القيادة وخبرة في تأطير دبلوماسية قوية، وحققت نصرا على الصعيدين الداخلي والخارجي.

في خضم هذه الأمور، وبما أن قيادة الولاية الثانية انقسمت على نفسها: إثنان منهم أيدا بن بلة و بومدين، وهما رابح بن لوصيف المدعو"الأمة"، والعربي بن رجم المدعو "العربي الميلي" وتمكنا من جلب كثير من قادة الجنود منهم من كانوا أبطالا أمثال حسين زعموش المدعو "لمشلط".

أما الباقي من القيادة ومنهم: صالح بوبنيدر، وعبد المجيد كحل الرأس، والطاهر بودربالة، المدعو"الطاهر العنابي"، فبقوا أوفياء للحكومة المؤقتة، وفيما يخصني لم تكن تهمني السياسة، لكنني كنت وفيا للخط الشرعي، أي مع رئيس الولاية، على الرغم من محاولة جذبي إلى صفوف لمشلط، فلم أشاطره الرأي، لاسيما عندما تحجج بأن هؤلاء المسؤولين يحتقرون المجاهدين القدامى، وضرب لي المثل بنفسه، لأنه بعد خروجه من السجن عينوه تحت مسؤولية أحد الأشخاص، فاعتبر ذلك نقصا من قيمته، كما ضرب لي مثلا بوضعيتي حيث قال

لي: أنظر لوضعيتك، رغم أنك قدمت ما قدمت من تضحيات بمدينة قسنطينة، وفررت من سجن العدو، وانظر المسؤولية التي كلفوك بها فهي عبارة عن لاشيء.

لم أولي أهمية لمثل هذه الحجج، لأنني كنت مقتنعا أني نجوت بحياتي من تنفيذ حكم الإعدام في حقي من طرف العدالة الفرنسية، ولم يتمكنوا مني، وهذا كاف، لأني قدمت ما يمكنني تقديمه، وكانت يوم خرجت للجهاد أسعى لنيل أحدى الحسنتين إما النصر، وقد انتصرنا أو الشهادة وهذا قضاء وقدر. وما المجاهد والفدائي إلا مشروع شهيد لم يكتمل.



عيد الاستقلال، محمد كشود بالتلاغمة، بالناحية الثانية

ومن بين الذين دخلوا من تونس صديقي ومسؤولي الأول في النضال، حسن كلو المعروف باسم اسديرة أو الألماني، وكان مبعوثا من طرف قيادة الأركان من أجل محاولة إقناع الضباط الذين يعرفونهم، والعاملين في الداخل، للالتحاق بصفوف قيادة الأركان، كما حصل بالنسبة للشاذلي بن جديد، الذي دخل مصحوبا بالهاشمي هجريس، وقايد أحمد، ومحمد العربي بوهروم، وهو أحد مناضلي قسنطينة، من حي الجزارين برحبة الصوف، بمعية ابن الشيخ إسماعيل بوعلاق أحد مناضلي جمعية العلماء المسلمين، وقد وجدتهم وهم معتقلين بالميلية، عندما تنقلت للمركز بجبل بني صبيح، بالقرب من السطارة.

وبما أني كنت أعرف البعض منهم مثل بوعلاق وبوهروم، باعتبارهما زميليّ بمدرسة التربية والتعليم بحي الأربعين شريفا، فحاولت أن أتحدث إليهما، وكانا بدورهما ينتظران أن أتدخل في حقهم، فوعدتهم "أن الأمور البعيدة ستبقى مستبعدة" أي أنهم لا يخشون القتل لاسيما وهما كانا مكلفين، وأن الفرج قريب إن شاء الله، والحقيقة هي أنني لم أكن أعرف التهم التي نسبت إليهم، فهم من قيادات جيش التحرير الوطني.

مكث الشاذلي بن جديد ورفاقه مدة بالسجن، وكادت قيادة الولاية الثانية أن تنفذ فيهم حكم الإعدام، حتى أرسلت قيادة الأركان محمد عطايلية المدعو"الروج"، وحسب شهادته فقد

ترجى إخوانه بإطلاق سراح المسجونين، وخوفا من استفحال الأمور، خاصة وأن جيش الحدود قد تمركز بهذه الولاية، تقرر الإفراج عنهم.

غير أن صديقي وزميلي أحسن كلو، تمكن من الإفلات عندما ألقي عليهم القبض، و كانت المهمة التي كلف بها تقتضي أن يدخل مدينة قسنطينة، من أجل إقناع مناضلي المنطقة الخامسة بضرورة إتباع جماعة بن بله، ضد الحكومة المؤقتة، فتوجه مباشرة نحو محل أبي، فسأله عني فقال له إنه في الجبل، وهو في منطقة التلاغمة، لكن تعرف أنهم يتنقلون على الدوام، فقرر كلو أن يتنقل سرا مع مرافقين له، غير أنهم لم يقصدوا المدينة، بل تنقلوا عبر الدواوير المحيطة بها، غير أني كنت في مهمة ببني اصبيح، حيث التقيت بالإخوة المذكورين سابقا، بدؤا يسألون عن محمد كشود أو سي عبد الله.

كان حسن كلو أشقر الشعر، أزرق العينين، كأنه من الدول الجرمانية، وجماعته كانوا مسلحين، وكان يبحث عني بشغف، وسط القرى والمداشر، فبلغ أعضاء جبهة التحرير هناك ان رجلا اوروبيا يحمل رشاشا يتكلم العربية بطلاقة ومعه اثنين نعتقد انهما من الحركى(خائنيين) يبحثون عن السي عبد الله، فظن أعضاء الجيش المناوبين أنهم من أعضاء المنظمة السرية يبحثون عني للقضاء عليّ، وحدّدوا مكان الثلاثة وطوقوا المكان

ثم حاصروهم وامروهم بالقاء الأسلحة، ورفع أيديهم فوق رؤوسهم والتقدم إليهم، إلا أن كلو وصاحبيه اعتبروا ذلك اهانة رفضوا هذا الأمر واعتبروا ذلك إهانة، وبعد أخذ ورد، تم تبادل إطلاق النار بينهم، فسقط أحسن كلو بنيران صديقة، ولم أكن أعلم انه صديقي وزميلي حسن كلو، الذي افتقدته منذ ذهابي إلى فرنسا الا لما ذهبت الى والدي وسألني هل التقيت اسديرة؟ فاجبته بالنفي فاخبرني أنه ذهب للبحث عني في تلاغمة، والسؤال عني، فعلمت حينها أنه هو من سقط بنيران اخواننا، أصابني حزن شديد لكني كنت مؤمنا بأنه أجل وقضاء وقدر فرحمة اللّٰه عليك .

وبهذا تكون الخلافات قد انتقلت من الحدود التونسية والمغربية إلى الولايات الداخلية، وبدأت بعض تصفيات الحسابات القديمة، وتعاظمت هذه التجاوزات حتى بلغت التصفيات الجسدية، وخاصة للرجال الذين كانوا يعرفون الكثير عن بعض "الأشخاص" رغم التعليمات التي وصلتنا والتي توصي بعدم القيام بمتابعة الرجال، ومحاسبتهم بدلا عن المحاكم المختصة.

نتيجة لشغور مناصب القرار بالإدارة الجزائرية، نتيجة فرار المعمرين الفرنسيين، ولم يكن النظام قد حضر لهذا الأمر، بينما كانت فرنسا قد وضعت مخططها منذ المشروع الذي أعده جاك سوستال، و أيف لاكوسط، وآخرهم دوغول، والذي

يهدف إلى خلق قوة ثالثة واستغلالها لتكون بديلا عن الوطنيين في تسيير الشؤون الإدارية بعد الاستقلال، فأرادت جبهة التحرير الوطني أن تؤسس لقيادات الحكم المحلي، فأمرت الولايات بتعيين كل من ترى فيهم الكفاءة، على رأس البلديات، وكنت من الذين شملهم هذا التعيين على رأس بلدية التلاغمة، مع الإبقاء على مسؤوليتي العسكرية على رأس قيادة جيش انتدب من الولاية إلى مدينة التلاغمة لحماية حدود الولاية الثانية، وخاصة لمنع تسرب الفرق الموجودة بعين مليلة، وكانوا خليطا من جند الولاية الأولى والولاية الثانية، بينما أصبح الجيش الذي أشرف عليه يقارب الفيلق، وكانت جيدة التسليح، بفضل السلاح الذي أدخل من المغرب بعد الإعلان عن وقف إطلاق النار، كما قيل لي، كما أخبروني بأن فرحات عباس ينوي الذهاب إلى سطيف، وقد يأخذ طريق التلاغمة، ولهذا لابد أن نكون حذرين، والحقيقة أن فرحات عباس كان آنذاك في زيارة إلى مدينة عين البيضاء، حيث ألقى بها كلمة بالنادي الذي كان يتبعه.

نظمنا المكاتب وأشرفنا عليها، وكانت بقايا الإدارة الفرنسية على علم بذلك، فتركوا لنا المجال، لأنهم كانوا يعرفون أن الأمر محسوما منذ اتفاقيات إيفيان.

حاولت الفرقة المرابطة بعين مليلة أن تزحف على قسنطينة، ولم يكن قادتها على علم بالقوة الرابضة في التلاغمة تحت

قيادتي، وكانت الأخبار تصلني تباعا عن حركات وسكنات هذه القوة، فلم نتفاجأ لتحركها نحونا، مما جعلني أنضم المقاومة عن المدينة، فدعمت قوة جوانب مدخل المدينة، وحتى فوق سطوح بعض المنازل، وتركت له الطريق مفتوحا حتي يظن أن عبور المدينة آمن، لكن بعد وصوله إلى مدخل المدينة وبالضبط أمام مطعم الفرنسية "السيدة ديريدو" وجد جيش عين مليلة حواجز من السلاسل المشوكة، فتوقفت العربة الأولى التي تحمل جيشا منظما مدجج بالسلاح، فتقدمت إلى قائدهم وقلت له إلى أين؟ فقال ذاهب إلى قسنطينة، فقلت وهل لديك رخصة تسريح بذلك ؟ فأعطاني تسريح غير معترف به من قبلنا، تأسفت وقلت له: لا يمكنك أن تسلك هذا الطريق، فاغتاظ نوعا ما، وحاول أن يفهمني بأن معه جيش مدجج بالسلاح، وأني بهذا العدد الصغير لا يمكن لي إيقافه، فقلت له: إنك مخطئ في حساباتك، فأنت محاصر من كل جهة، وحتى إن حاولت أن تعود من حيث أتيت لا تستطيع، ثم أومأت له بأن يرفع رأسه إلى سطوح المنازل، فلاحظ الرشاشات الثقيلة منصوبة ومتجهة نحوه، فلان في حديثه، ثم قال لي: إذن سأعود من حيث أتيت، فقلت لا، ليس قبل أن تترك السلاح الذي معك هنا، والحقيقة أني كنت أضغط عليه فقط، لكننا تفاوضنا وتوصلنا إلى أننا أبناء

جيش واحد، وإخوة في الجهاد فكيف نقاتل بعضنا البعض، فسلمنا على بعضنا ثم عاد من حيث أتى إلى عين مليلة.

كان بعض المسؤولين من قادة المنطقة أمثال صالح بوحبل، وأحمد بلعابد، وأحمد لعور، وكلهم أعضاء بالمنطقة الثانية يقيمون في أكثر الفترات عندي، فقد كانوا يعتبرون أنفسهم معي أنهم تحت حماية أفضل من جهات أخرى، لكنهم كانوا قد اختاروا أماكن خاصة لاجتماعاتهم بعيدة عن المدينة، ربما كانت بمدينة قسنطينة.

بدأنا عملية التوعية للشعب من أجل التصويت بالإجماع على الاستقلال، فحضرت الوسائل والإمكانات، مثل الشاحنات التي تنقل المصوتين إلى مراكز الاقتراع، وأعطيت الأوامر للسيد جادلي، صاحب محطة البنزين لأن يتوقف عن بيع البنزين للعامة حتى نتفادى نقصا منه في الوقت المناسب، لأننا كنا نخشى أن تتمكن منظمة الجيش السري من توقيف توزيعه، فاحتطنا لذلك.

صوّت الشعب يوم أول جويلية، وتم الفرز في 02 جويلية، وتم الإعلان من قبل دوغول على أن الجزائر أصبحت مستقلة بذاتها داخليا وخارجيا، وهذا من خلال الرسالة التي وجهها لعبد الرحمان فارس رئيس اللجنة التنفيذية المؤقتة التي كان مقرها بالصخر الأسود ببومرداس، وقد كان لإنشاء هذه اللجنة خلفية

واضحة من الجنرال دوغول حيث أنه لم يعترف أمام الحكومة المؤقتة التي تفاوضت معه، ولكن كان اعترافه أمام الهيئة المؤقتة التي تم الاتفاق على تأسيسها للإشراف على الاستفتاء.

وذات يوم وأنا في مكتبي الخاص بقيادة الجيش، أي في مكان مكتب رئيس المخابرات الخامس الفرنسي والذي تركه مجهزا، جاء الحارس يخبرني بأن جيش عين مليلة داخل علينا، و معهم عمي أحمد بالعابد عضو المنطقة الثانية للولاية الثانية، فخرجت لهم، وكنت أظن أن عمي أحمد أسيرا عندهم، فحالته كانت مزرية نوعا ما فأمرني أن أسلم لهم الجيش كله، وكان في حالة تعسة، وهذا دليل على أنه قد تعرض لمضايقات.

طبقت الأمره، وتوليت مهام رئيس البلدية، لكن الضابط الذي تولى مكاني في قيادة مكتب الثكنة الموجودة بالزمالة، عاد وطلب مني إحضار الخبز لمجموعة جيشه، والذي كان عددا لا بأس به، مع العلم أن المخبزة الوحيدة العاملة هي مخبزة عيسى جادلي، فقلت له: هاهي المخبزة وهذا صاحبها، وأنا ليس لي أي دخل في أموركم، فأنتم مسؤولون وعليكم بالقيام بمسؤولياتكم.

لم يرق له هذا الرد، فانتظر يومين ليأمر الجنود الذين معه بالقبض علي وأنا خارج مقر البلدية، وكان من بينهم جنود كانوا في وقت سابق تحت إمرتي بانتظار إشارة مني لكي

ينتقموا لي، أومأت لهم برأسي أن يبقوا هادئين وطائعين للقيادة الجديدة ما دامت الأوضاع حرجة.

لكني وفي قرار نفسي كنت مستغربا من تصرفات إخوتنا وزملاؤنا وقادتنا بهذه الطريقة التي لا تستجيب لأوامر القيادة العليا أو للقوانين التي فرضها منطق الجهاد.

أخذوني إلى زنزانة كان الجيش الفرنسي يستخدمها لنفس الغرض، وضعوني هناك من دون أكل ولا ماء لمدة يومين، ثم جاءني ضابط وفتح معي استجوابا بدأ بقوله: هل تعلم لماذا أنت هنا؟ فقلت له لا.

فقال لي: لقد جاءتنا معلومات تفيد أنك وجماعة كنتم تحضرون لمهاجمة ثكنتنا هذه بالهاون، استغربت وتعجبت، ومن كثرة تعجبي ضحكت، فاغتاظ الضابط وقال لي: ما أضحكك؟ فقلت هل أنتم مجاهدون حقيقة؟ فتبسم بنوع من السخرية، ثم رد علي: نحن نعلم أنكم جماعة الداخل تبثون الإشاعة على أننا من الجنود الذين انضموا بعد وقف القتال، كما فعلتم أنتم مع جماعة 19 مارس، فقلت له كيف تتهموننا بأننا نحضر لمهاجمتكم ونحن وضعنا تحت تصرفكم الأفراد والعتاد، ومن أين لنا بالهاون؟

تركني وخرج، ثم جاء أحد الجنود فدخل علي وفي يده قطعة من الخبز وفيها شيئا ما للتقوت به، غير أنه وفي اليوم التالي

وجدت معاملة خاصة معي، إذ دخل حسين لمشلط الزنزانة، وكان قد رقي لقائد ناحية سكيكدة بكاملها، والتي تدعى آنذاك « sous groupement » وكان أول ما قاله لي: هل أعجبك ما أنت فيه؟ فلم أرد عليه، لأني فكرت في أمرين هما:

- أنهم يحاولون الضغط علي بعملهم هذا حتى أركب قطار قيادة الأركان، والانتقام من وقوفي في وجه القوة التي كانت تحاول اختراق المدينة والتوجه نحو مدينة قسنطينة

- أو جاء ينظر حالي، لكن يظهر أن الحقيقة غير هذا، فقد تبين أنه التقى أحد مسؤولي الجيش الوطني الشعبي، كما أصبح يسمى، وهو محمد رموش الذي ذهب ليلتقي بالوالي الذي تم تنصيبه بقسنطينة وهو المدعو"أضاباش" وأخبره بأني في قبضة جيش الحدود، باعتباري رئيس بلدية وهو والي، فقال له ما هي التهم الموجهة إليه؟ فقال له رموش ليست هناك تهم، لقد كان مسؤولا عن الجيش ثم سلمه لهم بأمر، ثم أوقفوه فرد عليه الوالي بقوله: "عندما تريد أن تقتل كلبك قل قد أصابه السعار".

التقى حسين لمشلط بعمار بوقريعة، وهو قائد المجموعة التي كنت قد سلمتها لهم بأمر، فجاء مسرعا ولم يكن يدري بأني المعني بالأمر، فأطلق سراحي من الزنزانة وعدت إلى منصبي كرئيس بلدية، لكن بعد ألم شديد، فظلم ذوي القربى أشد وطأة، أيعقل أن أجازى بهذا بعد أن أفنيت شبابي بالسجون

والجبال، وكان دعائي دائما "حسبي اللّه ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم".

بعد هذا لم تطل مدة حكمي لرئاسة البلدية كثيرا، فقد استدعيت لتقلد منصب ضابط في الشرطة القضائية، كمرحلة انتقالية، حتى أجد مخرجا لي من دائرة لم أكن راض عنها، وفي يوم 10 أكتوبر 1962 التحقت بوزارة المجاهدين وذوي حقوق الشهداء، فكانت لي مدرسة جديدة تعلمت بها أبجدية التسيير الإداري، وعرفت ما قاساه الشعب من مآسي، وحجم الكارثة التي خلفها ليل استعماري طويل وبغيض.

أحمد اللّه الذي أعانني على إتمام مساري السياسي والاداري منذ توقيف القتال سنة 1962 الى غاية احالتي على التقاعد الفعلي.

و اللّه ولي التوفيق

الملاحق

شهداء ثورة نوفمبر بولاية قسنطينة

(المنطقة الخامسة من الولاية الثانية)

ملاحظة:

- لم ندرج على هذا الجدول قائمة ضحايا الاستعمار من المواطنين من غير المصنفين على قوائم جبهة التحرير أو جيش التحرير الوطني.

- أخذت الأرقام اعتمادا على أرشيف منظمة لمجاهدين بقسنطينة الذي يشكل جزء من أرشيف المتحف الوطني للمجاهد.

البلدية	عدد الشهداء	الانتماء	
		جيش التحرير	جبهة التحرير
ابن زياد	143	79	64
أولاد رحمون	42	12	30
بوجريو مسعود	112	42	70
حامه بوزيان	81	38	43
الخروب	215	78	137
ديدوش مراد	330	134	196

زيغود يوسف	585	273	321
عين اسماره	63	23	40
عين عبيد	390	118	272
قسنطينة	444	241	203
المجموع:	2405	1038	1367

جدول العمل الميداني بمدينة قسنطينة 1959

التاريخ	الزمن	المنفذ	المكان	السلاح	اسم المنفذ فيه أو نتائج العملية
20 جانفي	X	فدائي	عين الباي	عبوة	تعطل تزويد المدينة لمدة 3أيام
1 فيفري	18.30	فدائي	مدينة ق	قنبلة	مقتل وجرح عدد من العساكر
2 فيفري	07.00	فدائي	حي مرسيليا	مسدس	مقتل دركي
2 فيفري	X	فدائي	الكلم 7	م.رشاش	أطلاق النار على سيارة عسكرية
20 فيفري	18.30	فدائي	جبل الوحش		أعدم الخائن بطاط عبد الحميد
21 فيفري	X	فدائي	شارع فرنسا	قنبلة	إلقاء قنبلة داخل شاحنة عسكرية أسفر انفجارها على جرح 2
4 مارس	19.10	مجموعة.ف	سيدي مبروك	م.رشاش	مقتل كافو لكمتان ضابط شرطة
5 مارس	19.00	فدائي	labrasserie	قنبلة	جرح ثلاثة أشخاص
22 مارس	19.00	فدائي	الحانه	قنبلة	أسفر عن 5 جرحى
31 مارس	16.00	فدائي	سيدي مبروك	م.رشا	مقتل رقيب لوران ايميل وجرح 2
1 أفريل	17.00	علي بسباس	فوبور لامي	سلاح ن	مقتلمجاهدو14عسكريا وجرح 14
أفريل	X	مجموعة	جبل الوحش	أسلحة ن	مقتل نقيب وملازم واستشهاد 4 م
19 أفريل	9.30	فدائي	سيدي جليس	قنبلة	مقتل 04 وجرح 39
20 ماي	X	فدائي	فورلامي	قنبلة	فدائي يمتطي دراجته يلقي قنبلة على دورية عسكرية تجهل نتائجها

جوان	10.30	خلية فدائية	عين اسمارة	م.رشاش	مقتل ضابط من سلاح الطيران
جويلية	14.00	مجموعة من المجاهدين	عين اسمارة	أسلحة	مقتل6عساكرمن.بينهم.الحركي حنصالي
7/ 25	10.30	مجموعة ف	وسط المدينة	قنابل حا	حرق وتفجير ثلاثة مخازن
9 / 21	8.30	فدائي	أولاد ابراهم	مسدس	إعدام فريح عمار
10 /26	8.30	فدائي	نهج دامريمون	قنبلة	إعدام ضابط صف

ملاحظة: رغم أن مدينة قسنطينة كانت غائبة يوم 1 نوفمبر 54 فإنها، كما سنقدمه على هذه الجداول، بقيت في حراك دائم، فكلما سقط فدائي خلفه آخر، وكلما كشف أعضاء خلية فدائية خلفتها أخرى، وكما سنلاحظ أن المعمل الميداني بدأ بالخونة وغلاة المعمرين، ورجال الأمن ثم ، وبعد عسكرة كل المرافق الحيوية، استهدف الحركى والضباط ، ثم الحانات و ودور السينما، والساحات المفتوحة، بل والثكنات في بعض الأوقات.

جدول العمل الميداني بمدينة قسنطينة 1960

التاريخ	الزمن	المنفذ	المكان	السلاح	اسم المنفذ فيه أو نتائج العملية
01/07	ليلا	حملاوي مريمش	جورج كليمانصو اشتباك	رشاشات	حصار ليلي أسفر عن مقتل رابح مريمش و7 عساكر
01/ 07	12.00	فدائي	حي عوينت الفول	رشاش	أصابة 4 جنود كانوا يقومون بعملية إحصاء
01/08	13.00	حملاوي طرودي	سيدي مبروك	أسلحة نا	أسر حملاوي
01 /02	07.15	فدائي	سيدي مبروك	قنبلة	12 جريحا
02/ 09	09.00	فدائي	مقابل الكازينو	قنبلة	جرح 13 عسكريا و33 من المدنيين وشرطيين
02 /11	07.30	حملاوي	وادي الرمال اشتباك	أسلحة نارية	استشهاد عاشور رحماني، ومحمد مولاي، فرار حملاوي وقتيلين من العساكر
02 /14	18.25	فدائي	السكة الحديدية	لغم	مقتل شخص وإصابة 15 آخر
15 - 02	13.45	م فدائيين	حي ساباطي اشتباك	أسلحة نارية	استشهاد بن عباس الطاهر و السعيد قليل، ومقتل دركيين و3 عساكر، وأكثر من 15 جريحا
04/ 09	17.00	فدائي	سيدي راشد	دفع بالأيدي	رمى أحد الفدائيين المعمر أندري بيلنسي من على القنطرة
4 / 15	17.10	فدائي	حانة بولدرون	قنبلة	10 جرحى
4 / 27	24.10	مجموعة م فدائيين	حي سان جان - لور دو رولان	أسلحة نا معركة	استشهاد عبد الحميد كغوش، ومقتل 3 جنود وجرح 12 والسيدة مكتاوي مع

					طفلها
26 ماي	21.00	فدائي	ساحة لابريش	قنبلة	جرح عسكريين ومدنيين
6/ 08	21.10	إلقاء القبض على مجموعة من المناضلين على إثر تنفيذ عملية في حق بن خروي			
6 / 09	07.45	مجموعة ف	نهج كارمان	معركة الدبابات	إستشهاد حملاوي و م بوعتورة وجرح م كشود و بورغود ومقتل ضابطين وإصابة 14 عسكريا
6 / 14	09.30	مجموعة ف	مقابل الكازينو	قنبلة	الاحتفال باستقلال فرنسا أسفر عن مقتل 03 و7جرحى
06/17	01.50	وشاية	نهج فيو	تطويق المدينة	تفكيك خلية عمار قيقاية.فضيلة سعدان. رواق السعيد. جرح مليكة بن الشيخ. 06 عساكر قتلى و10ج
29 - 07	X	مرابط ع	سيدي مبروك	مسدس	مقتل بن جلول
7سبتمبر	9.30	فدائي	جورج كليمانصو	خنجر	مقتل ضابط
9 /08	صباحا	فدائي	بولدروم	لغم	11 جريحا
9/ 21	12.30	فدائي	المدينة	سكين	إعدام ضابط الصف بالناصر
9/22	20.20	فدائي	حافة أدمون	قنبلة	جرح26 شخصا منهم 04 عساكر
02 10/	13.50	فدائي	حانة	قنبلة	4 جرحى
/07 10	20.00	فدائي	رول دورولان	قنبلة	03 جرحى

08 10/	15.00	فدائي	ملعب كرة الحديد	قنبلة	جرح 5 أشخاص
10 / 8	19.20	فدائي	شارع ابن خلدون	قنبلة	قتيلا و4 جرحى
/09 10	14.10	فدائي	نهج بيجو	قنبلة	10 جرحى
11/03	X[1]	فدائي	جورج كليمانصو	قنبلة	خلف الانفجار 12جريحا
/29 11	06.00	12م	بدار الوصفان	اشتباك	استشهاد 11 مجاهدا ونجا مسعود لطرش، لم تعرف نتائجها.
/11 12	انطلقت مظاهرات شعبية كبيرة ردا على مظاهرات 10 ديسمبر التي نظمها المعمرون وكانت موازية لمثيلاتها بالجزائر.				
12/22	18.00	فدائي	داخل صيدلية ن سادي كارنو	قنبلة	خسائر مادية
/25 12	22.00	فدائي	حانة قوتان	قنبلة	خلفت جريح([2])

ملاحظة:عندما نذكر أن منفذ العملية فدائي فهذا يعني أننا أمام اثنين أو ثلاثة من الفدائيين منهم منفذ العملية وحارسه وحامل أو حاملة السلاح المستعمل في العملية.

1 - الوقت غير محدد.

2 - أخذت هذه الإحصائيات نقلا عن الملتقى الجهوي لحزب جبهة التحرير الوطني، المنظمة الوطنية للمجاهدين، بولاية جيجل، ملخص الأعمال الميدانية للولاية الثانية، في 1959/ 1962ج 1و2. و مجلة المقاومة، ومجلة المجاهد.

جدول العمل الميداني بمدينة قسنطينة 1961

السداسي الأول

التاريخ	الزمن	المنفذ	المكان	نوع السلاح	اسم المنفذ فيه أو نتائج العملية
02/04	11.30	فدائي	ساحة لوكلار، المقهى	قنبلة	خسائر مادية
02/04	X	فدائي	مقهى سيمون	قنبلة	قتيل وخمسة جرحى
02/10	9.50	فدائي	نهج انجلترا	مسدس	تنفيذ حكم الإعدام في خائن
02/11	19.15	فدائي	نهج سيفوني	قنبلة	مقتل شخص وإصابة 14 آخر بج
02/20	11.35	فدائي	شارع آقله	مسدس	إعدام م البلدي أوعمر محمد
02/23	19.15	فدائي	ج كليمانصو، الجامع الكبير	مسدس رشاش	إعدام الباشاغه بن الشيخ الفقون. جرح في ظهره
02/25	12.00	فدائي	100نهج كومب	مسدس	إعدام الخائن علي بوروينه
3 /10	14.30	فدائي	نهج كومب	مسدس	إعدام الخائن عبد الوهاب بوعنان
3/11	20.30	فدائي	نهج رولان.مقهى الديك المقدام	قنبلة	لم تنفجر القنبلة لكنها أحدثت هلعا
03/12	19.40	فدائي	ساحة بوزو	قنبلة	11جريحا كلهم لاعبي كرة القدم وخسائر مادية
03/14	12.50	فدائي	نهج باريغو	مسدس	إعدام الخائن محمد بن مسعود
3/16	10.35	فدائي	ساحة نيقريي، نهج زيفاقو	مسدس	إعدام المستشار البلدي احمد الشريف بن عاشور
3/25	9.15	فدائي	بالمدينة	مسدس	إعدام عمر كربوب سائق عبد العالي لخضري.
3/25	15.35	فدائي	نهج دامريمون، حانة الورشي	قنبلة	جرح عسكريان و 7 مدنيين

4/02	20.35	فدائي	ساحة لابراش	قنبلة	جرح 33 شخصا
4/09	17.00	فدائي	سيدي مبروك – شارع سلفاتي	مسدس	إعدام الخائن عبد القادر بن غزال
4/10	17.40	فدائي	لابراش/ لاموريسيار	قنبلة	جرح شخص واحد
4/14	21.30	بدأت منظمة الجيش السريoas بتنفيذ عمليات الإبادة، وضعت قنبلتين ناسفتين الأولى بالقنطرة والثانية بتقاطع شارعي الولاية /جاندارك			
4/17	10/10	وضع قنبلة بلاستيكية تحت سيارة الأمين العام بأناطول دو فرانس أمام النزل			
4/21	21.15	إتفجاربجدار منزل علي بجاوي، 20 نهج السرجان غليز أسفرت عن خسائر مادية. منظمةoas			
4/21	21.15	فدائي	مجاز سكة الحديد	مسدس	إعدام العريف الأول عابد خذير
4/22	10.40	فدائي	حانة لافانطا	قنبلة	خلف الانفجار عدة جرحى
4/29	X	فدائي	فيكتورهيجو، محل هنري	قنبلة	خسائر مادية
4/29	12.00	فدائي	نهج بيان ڧ.	مسدس	إعدام المستشار البلدي بن لبجاوي والترجمان الشرعي حمو
4/30	X	فدائي	نهج باربان	قنبلة	خلف الإنفجار 30جريحا
2 ماي	13.15	فدائي	سان جان	مسدس	إعدام حارس السجن إيميل جلبار من ط مكي سيعيدي
5 /08	نهارا	فدائي	ملعب الكرة الحديدية	قنبلة	أسفرت عن قتيل و11جريحا
5/ 09	X	انفجار القنبلة بلاستيكية الخامسة عشر، منظمةoas			
5 / 13	13.10	فدائي	ناحية فيفري	مسدس	إعدام عبد القادر بن موهوب
5 / 17	X	فدائي	ممر الحمري جيل فافر	مسدس	إعدام عبد الرحمان العمري
5 / 19	06.15	فدائي	أولاد براهم	مسدس	إعدام علي محماش
5 / 19	11.20	فدائي	وسط المدينة	مسدس	إعدام أحد الجنود بالمدينة
5 /22	10.20	فدائي	زاوية فيردان/ بيان ڧ	مسدس	محاولة إعدام أحد العساكر
5 / 22	17.10	فدائ	نهج بيريغو	مسدس	إعدام عبد الحميد بن تليس بعد4

					محاولات
5 / 23	10.00	فدائي	نهج باربان	مسدس	إعدام دركي
5 / 25	11.00	فدائي	جورج كليمانصو	مسدس	استهداف ملازم في الجيش
5 / 25	16.00	فدائي	نهج بيان في	مسدس	إعدام أحد الجنود
5 / 25	16.30	فدائي	نهج لويس مورال - قريبا من جسر القنطرة	مسدس	إعدام عريف في سلاح الجو
1جوان	X	فدائي	بوسط المدينة	مسدس	إعدام المخازني أحمد عزبه
6 /05	12.00	فدائي	نهج بيانفي	مسدس	إعدام خضره خذير
6 /05	19.15	فدائي	نهج بيريغو	مسدس	إعدام محمد بلخروفي
6 / 07	14.15	فدائي	نهج جرمان	مسدس	إعدام علاوة بلخروفي
6 / 07	17.30	فدائي	نهج كليمانصو	مسدس	إعدام نقيب في الجيش الفرنسي
6 / 08	07.56	فدائي	نهج كومب	مسدس	إعدام ملازم
6 / 08	16.30	فدائي	نهج جرمان	مسدس	إعدام عبد القادر عباس
6 / 12	00.00	فدائي	نهج بريغو	مسدس	إعدام النقيب بري جاك
6 / 17	05.30	فدائي	حانة ومطعم القلب ساحة بيلبود	قنبلة	أسفر الانفجار عن 01 جريح
6 / 17	07.30	فدائي	مقهى لابورس	قنبلة	16 جريحا من بينهم 05 عساكر
6 / 17	11.30	فدائي	نهج بيان في رقم 56	مسدس	إعدام المعمر فاسيد شارل.
6 / 18	X	فدائي	نهج كومب	مسدس	إعدام المعمر كوتيتلويس عضو منظمةoas
6 / 21	18.00	فدائي	سيدي مبروك	مسدس	إعدام خلوفي محمد
6 / 22	07.00	فدائي	سان جان، مدرسة قمبيطه	مسدس	إعدام لساني رجاء نادية
6 / 22	12.00	فدائي	المدينة	مسدس	إعدام مسؤول اليد الحمراء
6 / 25	15.00	فدائي	ساحة سمار	مسدس	إعدامعسكري من الفيلق الثاني للمضليين

27 / 6	07.30	فدائي	المنظر الجميل الحدائق	مسدس	إعدام المستشار العام لوشلي شير

جدول العمل الميداني بمدينة قسنطينة 1961

السداسي الثاني

3 جويلية	23.00	انفجار قنبلة بلاستيكية بمدخل عمارة بنهج قيومار أسفرت عن خسائر مادية منظمة oas			
7/ 05	7.30	بأمر من جبهة التحرير الوطني، مظاهرات التجار، عمت المدينة طيلة اليوم			
7 / 05		عيون الطاهر رئيس خلية، يعدم خليفة نتوتي بحي فبورلامي. بمساعدة موسى عمار.			
7 / 06	01.00	عبوتان من البلاستيك الأولى بسان جان نهج هونريمارتان. والثانية بحديقة قامبيطه أسفرتا عن خسائر مادية			
7 /07	22.30	انفجار قنبلة بنهج إميل بركاتز أسفرت عن خسائر مادية، منظمة oas			
7 / 09	X	فدائي	ملعب الكرة الحديدية	قنبلة	أسفر الانفجار عن جريح
7 / 11	16.15	فدائي	مقهى أجاكس	قنبلة	خلفت ثلاثة جرحى من بينهم عسكري
7 / 11	16.15		طريق باتنة	مسدس	إعدام كابران في الجيش
7 / 13	22.30	فدائي	محل التبان القديمة	قنبلة	خسائر مادية
7 / 14	X	قنبلة بلاستيكية بحي المحاربين أمام محل شعبان ليروم أسفرت عن خسائر مادية منظمة oas			
7 / 15	X	قام محمد بن ريب ومساعده عاشور فقير باعدام جوليان بنهج بيان في			
7 / 15	13.00	انفجار عبوة ناسفة بنهج هنري مارتان. منظمة oas			
7 / 15	13.15	انفجار قنبلة ناسفة أمام متجر محمد ابراهيم بنهج نيون			
7 / 15	23.20	انفجار عبوة ناسفة بسان جون أمام محل الطاهر بوسمين بزاوية شارع فيكتور هيجو أسفرت عن خسائر مادية منظمة oas			
7 / 16	08.00	قرب مسكن أحمد بورغود، بنهج بلاندان ،تفجير عبوة ناسفة من طرف منظمة oas			
7 / 16	X	فدائي	باب السق.ساحة لوكلاير	مسدس	بومزو يعدم بن عمر الشريف
7 / 18	5.55		بيان في/أولاد ابراهم	مسدس	إعدام المعمر جولان أوجان

7 / 18	16.30	فدائي	نهج كليمانصو	مسدس	إعدام شرطي
7 / 19	مسح شامل للمدينة من طرف رجال الأمن والجيش بقوة تزيد عن 1500رجل أسفرت عن اكتشاف عدة خلايا واعتقلت عدد من أعضائها				
7 / 21	22.30	فدائي	نهج كليمانصو	مسدس	إعدام الشرطي بومشيش صالح
7 / 21	X	مسعود موسى		مسدس	إعدام محمد مخلوفي
7 / 21	X	انفجار عبوة ناسفة بنهج فيكتور هيجو ،رقم 29 بسان جان			
7 / 21	X	فدائي		مسدس	إعدام المعمر أديره طيون
7 / 23	X	فدائي	زاوية كليمانصو/جرمان	مسدس	إعدام نسيم ديني
7 / 25	22.30	oas	عبوتان ناسفتان 1.نهج فيليكس، أمام متجر تونسي بحي القنطرة		
7 /25	X	oas	انفجارعبوتان بنهجي السيدات وسان جان أسفرت عن خسائر مادية		
7 /26	06.00	فدائي	أمام سينما سيرتا	مسدس	إعدام عبد الرزاق ميهوب
7 / 26	15.00	فدائي	نهج أنجلترا	خنجر	إعدام الشرطي جينو رولان
7 / 26	09.00	م ف	هجوم على ثكنة الزيتون	أسلحة ن	مقتل 6 عساكر وغنم أسلحة
7 / 27	09.00		نهج فرانشي ديسبيري		إعدام المكاس المعمر مريس دايرة
7 / 27	X	فدائي	ساحة كليمانصو	خنجر	إعدام الحركي حسين بن حبيب
7 / 28	X	فدائي	فور لامي – نهج لونيسي	مسدس	إعدام روبير جورج نائب مسؤول الشؤون المدنية
7 / 29	12.00	فدائي	نهج فيو	خنجر	إعدام الحركي علي بن صالح
7 / 29	12.00	فدائي		قنبلة	أسفر انفجار القنبلة التي ألقيت في حفل خيري قتيل و 8 جرحى
7/ 29	X	فدائي	مقهى لابورس	قنبلة	خسائر مادية
7/ 29	X	فدائي	SAS - تامزالي	قنبلة	إصابة حركي
7 / 30	منتصف الليل	م. ف	اقتحام مركز المنظر الجميل	اغنم 15 قنبلة و07 مسدسات رشاشة و25 عبوة ناسفة وعدد من الوثائق الهامة	
7 / 30	X	فدائي	نهج تيار - حانة	قنبلة	خسائر مادية

			الكاثية		
7 / 31	07.00	فدائي	نهج الاخوة دايران	مسدس	جرح الحركي كمال جلول
7 / 31	10.45	فدائي	نهج مورلان	مسدس	محاولة إعدام أحمد ضيف
7 / 31	19.30	فدائي	نهج أولاد ابراهم	مسدس	إعدام محمد فكراوي
7 / 31	19.30	فدائي	غير مذكور	خنجر	إعدام الهامل بن تركي
01أوت	12.00	فدائي	وراء سينما النصر	مسدس	القضاء على اثنين من فرقة اللفيف الأجنبي
8 / 01	X	فدائي	المدينة القديمة	سكين	إعدام الحركي الرقيب بهلولي لعبيدي
8 / 01	10.00	فدائي	ساحة حسن التوري		إعدام ضابط مساعد
8 / 01	بعد تقص للمعلومات تمكنت الفرق العسكرية والأمنية من إلقاء القبض على 08 خلايا للفدائيين، 21 خلية للدعم المالي والمعلوماتي.				
8 / 02	X	فدائي	حانة تول الشرق	قنبلة	قتيل و03 جرحى
8 / 02	X	فدائي	جوانفيل – حي سيبوس	قنبلة	08 جرحى
8 / 03	بحي 13 ماي، اشتبك لخضر معطر المدعو سي عباس ورفيق له مع فرقة عسكرية أسفر عن استشهاد الفدائيين وإصابة العديد من العساكر				
8 / 03	21.30	oas	انفجار عبوة ناسفة بمحل المواد الغذائية بفوبورلامي،المسير من طرف حراشي محمود ، خسائر مادية		
8 / 06	18.15	نابتي محمد	حي القنطرة	قنبلة	18جريحا منفذ العملية
8 / 07	22.50	oas	انفجار قنبلة بحي القنطرة، اسفرت عن خسائر مادية		
8 / 07		فدائي	نهج عبد الله باي	مسدس	إعدام يوسف عبرزي
8 / 07	13.30	فدائي	نهج أنجلترا	مسدس	إعدام المعمر سوفو ريسو
8 / 08	22.50	oas	محطة البنزين شال	قنبلة	خسائر مادية
8 / 10	16.30	فدائي	نهج الفيلق الإفريقي	مسدس	إعدام المردوشي ريكه

11 / 8	فرار 10 مجاهدين من مستشفى قسنطينة				
14 / 8	22.30	oas	نهج فيكتور هيجو	قنبلة ب	خسائر مادية بمحل أحمد سكر
15 / 8	19.48	فدائي	تحت أقواس مسجد الباي	مسدس	إعدام المفتي بن ميهوب
15/ 8	10.15	فدائي	نهج أنجلترا	مسدس	إعدام المعمر بيتال لويس
15 / 8	19.48	فدائي	نهج فيو	مسدس	إعدام المعمر دنان ميار حارس سجن
16 / 8	16.40	فدائي	سان جان	مسدس	إعدام شوي اندري
19 / 8	08.20	فدائي	جورج كليمانصو	خنجر	إعدام حملاوي زعداني
19 / 8	14.10	فدائي	نزل سيرتا. نهج أنجلترا	مسدس	إعدام القبطان جاك لمسيس
19 / 8	22.50	oas	تفجير سيارة بعبوة ناسفة بنهج إميل لوبار ، خسائر مادية		
22 / 8	20.35	فدائي	حي أليير	مسدس	إعدام فرحات بولحراش
22 / 8	X	oas	المنظر الجميل	قنبلة ب	تحت سلم العمارة رقم 24
23/8	X	فدائي	شارع كليمانس	قنبلة	أسفرت عن 03جرحى
23/8	12.20	فدائي	نهج بيان في	مسدس	إعدام المعمر كوبو مارسال
23/8	21.30	oas	أمام محل جزار بسيدي مبروك نهج مارسال بال أسفرت عن خسائر مادية		
24 /8	10.10	فدائي	نهج لو بوتي.	مسدس	إعدام حارس السجن كوش جيليان
24 /8	19.30	فدائي	قرب جسر طريق باتنه	مسدس	إعدام ضابط صف من مكتب التجنيد
24 / 8	22.15	oas	نهج سان جان	عبوة ن	أسف الانفجار عنخسائر مادية
25 / 8	20.30	فدائي	نهج فلورانتان	قنبلة	أسفر الانفجار عن 04 جرحى من العساكر بزاوية دامريمون
25 / 8	22.10	oas	نهج فيكتور هيجو رقم 47	عبوة ن	خسائر مادية بمحل بخار طاهر
25 / 8	19.15	oas	سان جان	عبوة ن	خسائر مادية بمؤسسة ماشا
27 / 8	05.00	فدائي	بنهج نوري - مقهى	عبوة ن	اسفرت عن خسائر مادية

			الرياضيين		
8 / 27	22.00	oas	سيدي مبروك - مخبزة	عبوة ن	جريحان
8 / 27	23.00	oas	نهج مورلان	عبوة ن	
8 / 27	بالليل	جيش	اعتقال عدة خلايا بالمدينة من طرف الجيش الفرنسي منها 28 فدائي وخلايا الدعم		
8 / 29		فدائي	المدينة القديمة	قنبلة	خلف الانفجار 05 جرحى
8 /29	05.00	oas	نهج ساماطي	عبوة ن	تدمير شاحنة
8 /31	16.30	فدائي	مخرج جسر سيدي راشد	مسدس	إعدام الضابط المواصلات السلكية جوليان هونات
8 / 31	22.00	oas	انفجار ثلاث عبوات ناسفة ، واحدة بنهج فراسيولي بمحل جزائري.		
9 / 7	20.30	oas	حي أمزيان انفجار عبوة ناسفة ، دون خسائر		
9/ 07	22.05	oas	طريق باتنة بمؤسسة الأشغال العمومية. اسفرت عن خسائر مادية		
9 / 07	22.50	oas	المنظر الجميل،		
9 / 10	X	فدائي	نهج لويس فيليب– مقهى ريشيليو	قنبلة + مسدس	قتل شخص واحد و جرح آخر و إثر تتبع الفدائي أطلقت المليشيات الرصاص على المواطنين نتج عنها إصابة 06 منهم بجروح
9 / 10	X	oas	انفجار ثلاث عبوات ناسفة ،1 - على 20.00 نهج حريسي الكدية، و 2 - على الساعة 22.15 بنهج باستور و3 - بمحل بيع الجرائدبسان جان على الساعة 22.20 . اسفرت عن خسائر مادية		
9 /11	06.15	فدائي	ساحة لابريش	مسدس	إعدام النقيب موريس ميرول
9 /13		فدائي	نهج بايار الحي	مسدس	إعدام أحد أعضاء المنظة السرية
9 /13	20.00	فدائي	نهج جورج كليمانصو	مسدس +خنجر	إعدام رابح بن ناصر، رميا بالرصاص ثم أجهز عليه بخنجر
9/15	X	فدائي	المدينة القديمة	خنجر	إعدام ابراهيم بليلي
9/17	X	فدائي	شارع لافيجري	مسدس	إعدام مارسال مورينو

9/20	X	فدائي	نهج لويس فيليب	مسدس	إعدام عضو بالمنظمة السرية
9/ 23	14.30	فدائي	نهج لوليافر	خنجر	طعن عسكري وليام داير
9/ 23	20.30	فدائي	نهج أنجلترا	قنبلة	هلع بين فوج الشاحنة العسكرية
9/ 23	21.00	فدائي	المدينة القديمة	قنبلة	رميت في اتجاه دورية عسكرية
9 /26		فدائي	بوزراد	مسدس	إعدام عضو المنظمة السرية
9/ 26	14.30	فدائي	حي المقراني	مسدس	إعدام خائن
9/ 26	X	فدائي	شارع ابن خلدون حاليا	مسدس	إعدام رقيب أولمن رجال الصاعقة
9/ 26	X	فدائي	شارع زنين	مسدس	إعدام المعمر الايطالي عOAS
أكتوبر	X	فدائي	المدينة القديم - حانة الفدات	قنبلة	أسفرانفجارها عن 04 جرحى
10/01	X	فدائي	نهج لافيجري	خنجر	إعدام بورتيبلي
10/01	09.30	فدائي	نهج وادي الذهب	مسدس	إعدام خائن
10/01	14.45	فدائي	تقاطع شارعي بوزراد / رياض الصلح	مسدس	إعدام حركي رميا بالرصاص
10/01	13.00	فدائي	المدينة القديمة	خنجر	إعدام الخائن سبتي
10/01	14.00	فدائي	نهج بيان في	مسدس	إعدام الخائن مكي حملاوي
10/01	20.40	oas	نهج إيزلي –بسان جان	عبوة ن	تخريب مرأب، خسائر مادية
10/01	22.05	oas	حي باردو	عبوة ن	تخريب مدرسة بقلي جرح 03 اسفرت عن خسائر مادية
10/01	00.00	فدائي	المدينة القديمة	مسدس	إعدام الضابط سيار لياكو
10/02	12.00	فدائي	نهج فولتير	مسدس	إعدام لاجودان شاف قيجي
10/02	17.30	فدائي	حي ألبير	خنجر	إعدام الدراجي شوافيه
10/03		فدائي	سينما مارينيان	مسدس	إعدام عضو oas
10/04	10.30	فدائي	نهج لافيجري	مسدس	إعدام روجي عويزارت
10/04	21.00	oas	انفجار3 عبوات ناسفة بعمارة بالمدينة القديمة و مرأب بسان جان ومسكن		

	21.10 22.30		مواطن بنهج فورسيولي، الطابق الأرضي، اسفرت عن خسائر مادية		
10/05	19.30 20.35	oas	انفجار ثلاث عبوات ناسفة، 1 - بفور سيولي و2 بمحل للخضر والفواكه بسان جان و3 22.15بمراب ميكانيكي بالقنطرة، أسفرت عن خسائر مادية		
10/07	16.10	فدائي	سينما سيرتا	قنبلة	خلف انفجارها 2 جريحين
10/07	19.30	فدائي	نهج ايمانيال باتريك	مسدس	إعدام لوفاك فرانسيس ضابط صف
10/08		فدائي	بحي فيلون جوانفيل	مسدس	إعدام السبتي بابوري
10/08	10.00	فدائي	نهج شوفالي	مسدس	إعدام س انطوني ضابط صف
10/08	22.10	oas	شارع موني - سان جان	عبوة ن	خسائر مادية معتبرة
10/09	19.00	فدائي	حي ألبير	خنجر	إعدام الخائن عبود متان
10/10		فدائي	أولاد ابراهم	خنجر	إعدام مسؤول الحي بسيدي مسيد
10/10	منظمة **Oas** تفجر6عبوات ناسفة الأولى على الساعة 21.00 بساحة دار رقم 2 القنطرة، أسفرت عن جرح السيدة بوقره، والثانية بحي دبلان على 21.50، والثالثة على 22.10 بمحل في شارع سطيف، والرابعة على22.50 بنهج فورسيولي بالقنطرة والخامسة على 23.10 بسارع فيكتور هيجو، والسادسة على 01.50 بمراب بسان جان				
10/11	21.15	oas	الدية - شارع ديفيس	عبوة ن	تحطيم سيارة النقيب مورو
10/11		فدائي	محل بالمدينة القديمة	قنبلة	خسائر مادية
10/12	22.00	قام الجيش بحملة تفتيش ومداهمة على الأحياء: الحطابيية، ألبير، أومزيان، نهج بيان في، أولاد ابراهم، عوينة الفول، سيدي مسيد، حي التوت، رمبلي، باردو، السويقه، رحبة الصوف، الطابية والجسر المعلق			
10/12	21.15		حي القنطرة -	قنبلة	العديد من الموتى(98)
10/13	22.10	oas	نهج كوط	عبوة ن	خسائر مادية
10/13	22.50	oas	نهج فورسبولي		خسائر مادية
10/16	19.00 / 22.40	oas	نفذت منظمة OAS تسع عمليات إجرامية ضد محلات ومنازل بالمدينة القديمة، دون استثناء، أسفرت عن خسائر مادية معتبرة		

11/01	م. الليل	oas	انفجار عبوة في نهج ريفيار بعمارة. خسائر مادية		
11/01	19.00 23.00 /	بأمر من النظام قام الشعب بمظاهرات جابت أحياء وشوارع: اولاد براهم، بيان في، الحطابية، باردو، السويقة، القنطرة، ساحلا لافاليت، فبور لامي، المنصورة.			
11/03	15.45	فدائي	نهج قامبيطا	خنجر	إعدام ببروس بيار ضابط صف تابع لفرقة اللفيف الأجنبي
11/09	11.40	فدائي	نهج قامبيطا	خنجر	إعدام أحد الخونة
11/12	X	فدائي	ديدوش مراد	مسدس	إعدام الحركي أوشرن
11/14	X	فدائي	جان جاك روسو	مسدس	إعدام الخائن بن خلف الله
11/17	18.00 / 22.00	oas	تفجير 4 عبوات ناسفة بكل من مقهى لعويسات، جرح العاملون بها، و بنهج أولاد براهم، جرحت أمرأة، وشارع باستور، جرح شخص، باردو والحي السكني بسيدي مبروك ونهج أندريرولان تفجير مخبزة		
11/17	19.50	فدائي	المذبح القديم	خنجر	ذبح خائن واستلام سلاحه
11/18	18.20	فدائي	سينما سيرتا	قنبلة	17 جريحا
11/18	19.25	فدائي	ساحة القصر	مسدس	إعدام الخائن محمد الصالح عميره
11/18	14.00	فدائي	نهج قامبيطا	مسدس	إعدام محمد بابي ضابط
11/18	16.45	فدائي	نهج قامبيطا	مسدس	إعدام الجندي ألار ضابط صف
11/20	15.12	فدائي	قامبيطه	مسدس	إعدام المعمر كارول
11/20	18.30	فدائي	زاوية دامريمون/ موبان	مسدس	إعدام عبد العزيز بن عياد
11/22	16.30 / 22.10	oas	قامت المنظمة السرية بتفجير 4 عبوات ناسفة: الأولى بمختلف أحياء المدينة أسفرت عن خسائر مادية معتبرة		
11/25	13.35	فدائي	حانة بسيدي مبروك	مسدس	03 جرحى
11/25	16.00	فدائي		مسدس	إعدام عمار ناجي
11/25	18.00	فدائي	نهج جوزاف	مسدس	إعدام جان دوبريسل ضابط بفرقة اللفيف الأجنبي
11/25	19.00	فدائي	نهج بوطياح	مسدس	إعدام عضو المنظمة السرية

11/25	20.12	فدائي	حانة الشومينو	قنبلة	هلع وخسائر مادية
11/25	20.30	فدائي	حانة بالمدينة القديمة	قنبلة	تسببت في 11 جريحا
11/26	23.00	3 فدا	بالمدينة القديمة	قنبلة	جرح مدني وعسكريان
11/27	05.00	فدائي	ديدوش مراد	مسدس	إعدام أوسكار راسموس
11/29	06.00/ 24.00	oas	انفجرت ثلاثة عبوات ناسفة الأولى بشارع بيرط على 06.30 والثانية بنهج بلوري على 20.10 والثالثة بنهج فيرنان بباب القنطرة على 24.00 خلفت جريحا وخسائر مادية معتبرة		
11/30	06.30	فدائي	نهج سان جان	مسدس	إعدام بونوا بيار، عسكري
11/30	17.00		بالمدينة القديمة	مسدس	إعدام دوخان جاك
11/30	X	oas	قامت المنظمة بتفجير4عبوات ناسفة:الأولى 06.00بنهج لوري لوكنت والثانية على 21.00بحي الدوم والثالثة في مقهى بساحة فيفريي أما الرابعة فانفجرت على 23.50 بشارع قنمار في سيارة بوليسية، خلفت خسائر مادية معتبرة.		
12/03	09.30	فدائي	ساحة حسن النوري	مسدس	إعدام لومزجو لضابط صف
12/03	09.40	فدائي	نهج قامبيطا	مسدس	إعدام عسكري ،ضابط صف
12/04	09.20	فدائي	سوق الجمعة		إعدام أوندي آرمودون
12/05	20 .50	فدائي	القديس أغسطين	خنجر	إعدام باردا جوليان، عضو المنظمة السرية
12/06	19.20	فدائي	المدينة القديمة	خنجر	إعدام طومان فيرديناند
12/09	X	فدائي	القديس أوغسطين	خنجر	إعدام فرانسوا جاكوميو، عضو المنظمة السرية
12/10	15.30	فدائي	رياض الصلح		إعدام لوفي جاك، عضو هيئة البحث والأمنCRS
11/12	23.10	فدائي	المدينة القديمة	خناجر	هجم فوج من الفدائيين على مجموعة من اللفيف الأجنبي أسفر عن مقتل جندي وإصابة 2 بجروح

12/13	17.45	فدائي	نهج لويس فيليب	خنجر	إعدام شارل أندري عضو م oas
12/14		فدائي	القديس أغسطين		هجم الفدائي على دورية فأصاب ضابط صف بجروح

ملاحظة: هذا العمل الميداني للفدائيين والمجاهدين في عز عمليات التمشيط والمداهمات الليلية لمدينة طالما اعتبرتها فرنسا صندوقا مصفحا لا يمكن فتحه، وحصنا منيعا لا يمكن اقتحامه

جداول العمل الميداني بمدينة قسنطينة1962

التاريخ	الزمن	المنفذ	المكان	السلاح	اسم المنفذ فيه أو نتائج العملية
جانفي		فدائي	نهج بليزار	قنبلة	03 جرحى
01/01		فدائي	سادي كارنو	مسدس	إعدام عضو منظمة oas
01/3	8.35	فدائي	صولي عبد القادر	مسدس	إعدام المعمر فريمو نافيتو
01/03	11.18	فدائي	سادي كارنو	مسدس	إعدام المعمر باريك
01/07	11.55	فدائي	نهج تير -حانة لابيلوط	قنبلة	أضرار مادية
01/07	07.35	فدائي	ساحة 4 سبتمبر	خنجر	إعدام المظلي برناكي فيليب
01/08	15.00	فدائي	حي بوسيجور	مسدس	إعدام خائن
01/08	18.40	فدائي	حي بوسيجور	خنجر	إعدام الخائن مارسال عمران
01/09	11.55	فدائي	أناطول دوفرانس	خنجر	إعدام فرديناند بيريز
01/09	X	فدائي	شارع قامبيطا	خنجر	إعدام لوسينيور بول
01/09	16.20	فدائي	نهج أورليون	مسدس	إعدام العسكري عيسى دحمان
01/11	15.15	فدائي	نهج قامبيطا	مسدس	إعدام المعمر سكندا قلياطو
01/12	15.00	فدائي	نهج تيير	مسدس	إعدام المعمر اسبورينطو
01/13	15.15	فدائي	نهج قامبيطا	مسدس	إعدام ضابط بهيئة الاستعلامات والأمن CRS
01/13	19.30	فدائي	نهج دامريمون	مسدس	إعدام العسكري علوش ايميل
01/13	X	فدائي	نهج قامبيطا	خنجر	إعدام ضابط CRS
01/15	11.00	فدائي	المدينة القديمة	مسدس	إعدام المعمرمارتان أوغيستان
01/16	15.00	فدائي	حانة بنهج دامريمون	قنبلة	أسفر انفجارها عن قتيل وجريح
01/16	15.35	فدائي	لافيجري	مسدس	محاولة إعدام في بريقا أرمون

01/16	X	فدائي	قرب دار البلدية	خنجر	طعن معمر جيت كورني أرنست
01/18	X	فدائي	سوق الخضر	مسدس	إعدام قليدي جيبورجي
01/19	15.58	فدائي	نهج لافيجري	مسدس	إعدام المعمر قلاديس روجي
01/20	X	فداء	مقهى القصر.المحكمة	أسلحة نارية	مقتل شخص وجرح آخر
01/20	19.30	فدائي	نهج فرانسا المدينة ق	خنجر	إصابة عسكري بجروح
01/21	X	فدائي	نهج بيجو	قنبلة	جريح وخسائر مادية
3 فيفري	17.30	مجهول	شعبة تامزالي		العثور على جثة خائن
	19.00	فدائي	نهج دامريمون	مسدس	إعدام سانطاماريا ، حارس السجن
02/17	17.12	فدائي	نهج دامريمون	مسدس	إعدام المعمربول كونتي
02/20	12.20	فدائي	نهج جان جاك روسو	مسدس	إعدام مخازني يدعى صالح مساعدية
02/20	13.15	فدائي	نهج روليروز	مسدس	إعدام المعمر لومباردو أنطوان
02/23	08.20	فدائي	تقاطع سارجان المان/قانسولا	مسدس	إعدام المعمر بانتان جوزاف
02/23	09.00	فدائي	شارع قاريبالدي	مسدس	إعدام المعمر شكروم أندري
02/23	15.30	فدائي	شارع لافيجري	مسدس	إعدام قيني ريزولدي
02/23	11.48	فدائي	بليزار	مسدس	إعدام إطار بمنجم الونزه
02/27	11.15	فدائي	نهج مارشال	مسدس	جرح معمران
02/27		فدائي	المدينة القديمة	مسدس	إعدام بوقرة السودور
مارس	11.25	فدائي	شارع بيجو	مسدس	إعدام قارقوني قليام ضابص صف
03/01		فدائي	زاوية مايو/لوميرسي	مسدس	إعدام بونيوبير
03/02	18.30	فدائي	جانجوراس بشارعي قامبيطا وبيجو	مسدس	إعدام عضو OAS خوريار سيانطار ، فأطلق المعمرون النار على المواطنين قتل 04 وجرح07
03/03		فدائي	نهج تيار	مسدس	إعدام مدير شركة نقل المسافرين

03/04	18.45	فدائي	دو موري، لاسيتي	مسدس	إعدام نوارمحمد بن بوجمعه
03/06	12.00	فدائي	نهج بابي - صاولي	خنجر	إعدام المعمر لامورساج
03/06	11.35	فدائي	نهج لافيجري	مسدس	إعدام الشرطي باربارمارسال
03/06		فدائي	المدينة القديمة	مسدس	إعدام الحركي محمد علوق المدعو لخروبي رقيب أول في الجيش
03/08		فدائي	المدينة القديمة	مسدس	قام موسى شعلال بإعدام حركيين
03/08	15.20	فدائي	نهج سيليشان بورجوان	مسدس	إعدام المعمر كوسطانزو كاسطو
03/08	15.43	فدائي	تقاطع نقريي/ القدي		إعدام الخائن عيساوي بشير
03/08	17.25	فدائي	نهج المرسى	مسدس	إعدام المعمرنيواني
03/08		فدائي	نهج بليزار	مسدس	إعدام ضابط الشرطة أشانزا ميشال
03/11	19.30	فدائي	نهج بليزار	مسدس	إعدام المعمر بيوتو جورج جيروم
03/11	22.30	فدائي	نهج كرمه - المدينة ق	مسدس	جرح معمر وابنه
03/14	14.50	فدائي			إعدام صورنانو ميشال الذي وشى بالمجاهد عمر ريزي مسؤول قسم
03/14	14.50	فدائي			إعدام المعمر تميم أليكاندر

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة العدل

المديرية العامة للشؤون القضائية والقانونية

مديرية الدراسات القانونية والوثائق

المديرية الفرعية للوثائق والمحفوظات

رقم: 59 / 2018

شهادة الوجود بالسجن

*_*_*

إن المديرة الفرعية للوثائق و المحفوظات، الممضية أسفله ، تشهد أن:

السيد (ة): كشود محمد --

المولود (ة): في 1938/08/22 بالميلية **ولاية** قسنطينة --

ابن (ة) : عمار بن بوجمعة و شلوف علجية بنت مسعود --

كان مسجونا : سجن قسنطينة --

تحت رقم : 9293 من 1961/05/06 إلى 1961/09/26 --

القضية الأولى: حكم على المسمى أعلاه من طرف: المحكمة الدائمة للقوات المسلحة ناحية شمال قسنطينة بتاريخ 1960/10/07 بعقوبة عشرون (20) سنة سجن--

لأجل: تكوين جمعية الأشرار --

القضية الثانية: حكم على المسمى أعلاه من طرف : المحكمة الدائمة للقوات المسلحة ناحية غرب قسنطينة بتاريخ 1960/11/03 بعقوبة عشرون (20) سنة سجن --

لأجل: المشاركة في القتل و تكوين جمعية الأشرار --

القضية الثالثة :حكم على المسمى أعلاه من طرف: مجلس قضاء قسنطينة بتاريخ 1961/06/30 بعقوبة ستة (06) أشهر حبس

لأجل : محاولة الفرار --

كان مسجونا من قبل : سجن سطيف من 1960/09/27 إلى 1960/10/03 (إيداع 2509) و سجن قسنطينة من 1960/10/03 إلى 1960/10/18 (إيداع 8202) --

– أعيد إلى سجن سطيف من 1960/10/18 إلى 1961/05/06 (إيداع 2509) تاريخ تحويله إلى سجن قسنطينة ----------

– بدأ تنفيذ العقوبة بتاريخ 1960/06/14 بالسجن المركزي بقسنطينة (سجل هذا الأخير غير موجود على مستوى مصالحنا)

– فر من السجن بتاريخ 1961/09/26 --

– إستفاد من مرسوم العفو --

سلمت هذه الشهادة للإدلاء بها عند الاقتضاء و بما هو مقرر قانونا.

الاسم و اللقب بالأحرف اللاتينية :

Nom :KACHOUD

Prénom :MOHAMED

الجزائر في: 17 أفريل 2018



عن وزير العدل، حافظ الأختام
المديرة الفرعية للوثائق والمحفوظات

ع. بسكري

1

MINISTE DE LA JUSTICE

Direction de l'Administration Pénitentiaire

CERTIFICAT DE PRESENCE et

~~XXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXXX~~

M. (1) *onsieur KECHOUD Mohamed*

né ~~lxx~~ *en 1938 en Algérie*

immatriculé à la sécurité sociale sous le numéro

(2) est actuellement présent à (3) depuis

(2) a été présent ~~à~~ (3) *dans les maisons d'arrêt de FRESNES - NANCY - REMIREMONT*

du . . . . au . . . .

du . . *8 février 1958* . . . . au . . *3 octobre 1958* . . . . . .

du . . . . au . . . .

du . . . . au . . . .

(2) se trouvait auparavant dans un établissement pénitentiaire depuis

L'intéressé a subi son incarcération sous le régime de la détention provisoire du au

Cette détention provisoire (2) a été imputée sur la peine
(2) n'a pas été imputée sur la peine

Au cours de son incarcération, le détenu susvisé est considéré comme ayant effectué un "travail pénal" pendant les périodes suivantes :

du . . . . au . . . .

du . . . . au . . . .

du . . . . au . . . .

du . . . . au . . . .

Fait à Paris, le 27 OCT. 1992

Signature P/Le Chef du Bureau de l'Individualisation et des Régimes de Détention

G. GROLLAUD

DESTINATAIRES

- Caisse d'Assurance Maladie (exclusivement en vue du paiement des prestations de sécurité sociale)

- L'intéressé à sa demande

(1) Etat civil, sans aucune indication de la situation pénale
(2) Rayer les mentions inutiles
(3) Nom de l'établissement

EXTRAIT ETABLI A LA DEMANDE EXPRESSE DE L'INTERESSE

DELIVRE PAR LE DEPOT CENTRAL D'ARCHIVES DE LA JUSTICE MILITAIRE
B. P. 214
36300 LE BLANC

REPUBLIQUE FRANCAISE

EXTRAIT DE JUGEMENT

Nom : KACHOUD **Nom d'usage : /** **Prénom : Mohamed** **Sexe : Masculin** **Né en 1938** **Lieu de Naissance : EL-MILIA (arrondissement et département de CONSTANTINVE)** **Fils de : Amar ben Boudjemaa** **et de : CHENOUF Aldjia** **Domicile : Terrain Sabatier N° 1 (arrondissement et département de CONSTANTINVE)** **Situation de famille : Célibataire** **Nationalité : /** **Profession : Epicier**	**TRIBUNAL PERMANENT DES FORCES ARMÉES DE LA ZONE OUEST CONSTANTINOISE SÉANT À SETIF** **N° d'ordre annuel : 222** **N° d'ordre général : 291** **Date du jugement : trois novembre mil cent soixante**
JUGEMENT CONTRADICTOIRE	**Pour copie certifiée conforme** **le 09 MARS 2018** **L'officier greffier de 1re classe C. CIANEA** **Chef du dépôt central d'archives de la justice militaire** JUSTICE MILITAIRE DEPOT CENTRAL D'ARCHIVES LE BLANC
Détention préventive : du 24 mars 1960 à une date inconnue	
Infractions : « COMPLICITE D'ASSASSINAT – ASSOCIATION DE MALFAITEURS » **Décision : VINGT ANNEES DE RECLUSION CRIMINELLE** **Date des faits : 04 et 05 juin 1960**	
Mentions marginales : - **AMNISTIE par application du décret n° 62-327 du 22 mars 1962 par**	**Le présent jugement est devenu définitif le : 07 novembre 1960** **Et a commencé à recevoir son exécution le : 07 novembre 1960**

الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة

ــدين

ت.ل/ 2408

لـجـنـــة التـصـــديـــق

قـــــرار تـــصـــــديـــق

- بنـــاء على المرسوم رقم 83 - 616 المؤرخ فى 31 اكتوبر 1983 المتعلق بمعـــاشات التقاعد الخاصة بأعضاء القيـــادة السياسيـــة لجبهـــة التحــرير الوطنـــى والحكـــومة .

- بنـــاء على التعليمـــة الوزاريـــة المشتركة مابين الوزارة الأولى و وزارة الماليـــة وكتابة الدولة للشؤون الاجتماعيـــة الصـــادرة بتـــاريـــخ 2 جـــانفـــى 1984

- بنـــاء على قرار لجنة التصديق الصادر بتاريخ 1995/06/04 وباعتبـــار المهـــام أو المسؤوليـــات المارسة خـــلال فتـــرة كفـــاح التحـــرير الوطنـــى عضـو مجلـس منطقـــة

تثبــت صفة عضو القيـــادة السياسية لجبهـــة التـــحرير الوطنى والحكومـــة

السيـــد كشـــود محمـــد

المـــولـــود فى 1938/08/22 بـ قسنطينـــة

ابـــن عمـــر و شنـــوف علجيـــة

للمرحلـــة من 1956 الـــى 1962

العنـــوان الشخصى للمستفيـــد :

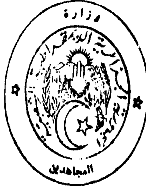
الجـزائـــر

الجـــزائـــر فى : 04 جويلية 1995

رئيـــس اللجـنـــة

وزيـــر المجـــاهديـــن

السـعيـد عـبـــادو



Evasion de 28 détenus de la prison civile de Constantine

Vingt-huit détenus — avec parmi eux une dizaine de dangereux tueurs du F.L.N. — se sont évadés hier matin de la prison civile de Constantine.

Telle est la nouvelle qui s'est répandue très tôt dans la matinée d'hier dans notre ville.

L'un des côtés extraordinaires de cette nouvelle est le fait que c'est l'évasion de deux détenus européens — un condamné de droit commun et un membre de l'O.A.S. arrêté depuis quatre ou cinq jours — qui a permis involontairement celle de 26 détenus musulmans parmi lesquels de dangereux terroristes.

Voici les faits et les circonstances de cette évasion..

Depuis quelques jours, profitant de la liberté qui lui avait été accordée par la direction de la prison de circuler assez facilement dans les locaux, un détenu de droit commun, un ancien légionnaire, réussit à fabriquer une fausse clef permettant d'ouvrir la porte du chemin de ronde, porte s'ouvrant sur la liberté.

Le légionnaire fit profiter de ses préparatifs un Constantinois arrêté il y a quelques jours et accusé d'être un membre de l'O.A.S., M. Hourdeaux Jean-Claude, âgé de 28 ans.

Et hier matin, vers 8 heures, les deux hommes, après avoir franchi facilement le petit mur de la cour intérieure de la prison, se retrouvèrent dans le chemin de ronde dominé par un mur haut d'une dizaine de mètres.

A l'aide de la clef qu'ils avaient fabriquée, le légionnaire et M. Hourdeaux réussirent à ouvrir une porte s'ouvrant sur la façade arrière de la prison et à s'enfuir.

Les enquêteurs pensent qu'une automobile attendait les deux hommes qui disparurent aussitôt.

Derrière eux, cependant, la porte était restée entrouverte. Dans la cour de la prison, la plupart des nombreux détenus allaient et venaient. Certains d'entre eux ne manquèrent pas de s'en apercevoir et, après avoir sauté, eux aussi, un premier mur, prirent le même chemin de fuite que les deux Européens.

C'est ainsi que 26 prisonniers musulmans, dont une dizaine sont de dangereux tueurs du F.L.N., ayant commis chacun plusieurs crimes, réussirent à s'évader et à disparaître.

Seule, l'alerte donnée par un gardien évita qu'un plus grand nombre de détenus ne s'évade de l'établissement pénitentiaire par le même facile chemin.

X Parmi les criminels évadés figure notamment un « lieutenant » du tueur Hamlaoui, qui fut abattu en pleine ville, l'an dernier, après un combat de rues qui mit toute la cité en émoi. Ce « lieutenant » nommé Kechoud Ali est l'auteur de toute une série d'attentats qui firent plusieurs victimes, dont le commissaire Cayol.

Dès que l'évasion fut connue, des opérations de recherches furent entreprises, notamment à l'aide de chiens policiers, mais elles n'ont donné aucun résultat.

Roger GAUDIN.

EXPLO

A Constantine

Hier soir, à 20 h. 20, une charge de plastic a explosé à Constantine, rue Petit, devant un magasin de cycles appartenant à M. Righi Tounsi.

Les dégâts sont importants.

D'autre part, vers 21 heures, une grenade a été lancée en direction de la terrasse d'un immeuble portant le nº 13 de la rue Dianoux, au faubourg d'El-Kantara.

L'engin explosa en l'air, dans les branches d'un arbre, et ne fit ni dégâts ni victimes.

A Philippeville

PHILIPPEVILLE (D.n.c.p.). — Une très forte charge de plastic a explosé dans la soirée de lundi, à Jeanne-d'Arc, station balnéaire située à huit kilomètres de Philippeville.

La déflagration fut entendue d'une manière très sourde à Philippeville et à Stora.

Une villa, sise à proximité du restaurant « La Caravelle », à quelques centaines de mètres de la piscine, venait de sauter.

Elle appartenait à la famille de M. Roth, député-maire de Philippeville. Ses parents venaient de quitter les lieux depuis quelques instants lorsque la déflagration eut lieu.

La villa a été totalement détruite, les murs s'étant écroulés littéralement. Il ne reste plus qu'un amas de matériaux sur l'emplacement où elle s'élevait.

نسخة للمقال الذي نزل بيومية لا ديباش إثر فرار مساجين الكدية

منهم كشود علي ،والمقصود منه كشود محمد

فهرس الموضوعات



مذكرات المجاهد محمد كشود

مذكرات الشاب المكافح الذي لم يتمتع بصغره كبقية أطفال العالم الحر، كان من بين الذين كرسوا حياتهم للجهاد، فكبر بقدر كبر المسؤولية، لأن صغار الثورة يحيون كبارا.

جند وسجن ولم يكن قد بلغ سن الرشد، وهو فرح بهذا السجن لأنه اعتبر دخوله دخول جامعة متخصصة في صنع الرجال، وصنع الأفكار الوطنية.

سي مراد أو سي عبد الله ، هو الاسم المستعار للشاب الذي أصبح ضابطا بالولاية الثانية، ثم رئيسا لبلدية التلاغمة وعمره لا يزيد عن 23 سنة

و إذا كان هذا الشاب قد تربى على يد "النظام" فإن فطامه كان على يد "النظام" أيضا، إذ كان عضوا بالمنظمة الوطنية للمجاهدين منذ 1963 إلى أن بلغ منصب أمين وطني وعضو الفدرالية العالمية لقدماء المحاربين. انتخب عضوا بالمجلس الشعبي

لعهدتين، ثم عين عضوا بالثلث الرئاسي في المجلس الوطني الانتقالي.

وعن تكوينه العلمي فقد عوض ما فاته من تعليم، فقد غادر مقاعد الدراسة من مدرسة التربية والتعليم للشيخ عبد الحميد بن باديس، وعاد للتحصيل بالجامعة، وتحصل على شهادة ليسانس في الأدب العربي، وشهادة الدراسات المعمقة في نفس الاختصاص، ثم التحق بكلية الحقوق حيث تحصل على شهادتي ليسانس وماجستير، وقد انتهى منذ فترة طويلة من مسودة دكتوراه الدولة في الحقوق، لكن مشاغله ألهته عن مناقشتها .

أما المناصب الإدارية التي شغلها فنكتفي بذكر إشرافه على إدارة المجاهدين على مستوى الشرق الجزائري، ثم عين مفتشا مركزيا بوزارة المجاهدين، ثم أمينا عاما لوزارة المجاهدين بين سنة 1989 و1995، وأخيرا عين وزيرا للعلاقات مع البرلمان لعهدتين.

هذا الكتاب

- مذكرات المجاهد محمد كشود الموسوم بعنوان" شموع الذاكرة" من تحقيق الأستاذ الدكتور علي خلاصي.
- العمل جديد وغير مسبوق، يعكس مذكرات فدائي ومجاهد وإطار بالولاية الثانية، ثم إطار سامي بعد استرجاع السيادة الوطنية.
- اعتمد على أقوال وتصريحات صاحب المذكرات بأمانة علمية.
- استعان بمصادر المرحلة وخاصة: المقاومة و المجاهد، ومجلة أول نوفمبر، وجريدة la dépêche de Constantine والعديد من الشهادات الحية منها شهادة أحمد متناني.
- كتب بخط "TimeNewRoman بنط 16، بحجم 21X14
- استعنت بالصور الشخصية لصاحب المذكرات، و صور بعض المصادر المذكورة سابقا، وعدد من الصور المأخوذة عن قوقل وويكي بيديا.

- اطلع السيد محمد كشود على المسودة الأولى والثانية، فعلق عليها وصحح متنها، مادامت تشمل مذكراته وعلاقته بحملاوي وبقية أبطال الفداء، وعدد من المجاهدين.
- ورغم أن المذكرات شخصية، وكل ما جاء فيها من إملاء صاحبها فقد استغرق العمل على المذكرات قرابة سنتين.
- يبلغ عدد الصفحات من دون تركيب نهائي 250 صفحة
- يضم المؤلف مدخل ومقدمة وستة فصول.
- اختتم المؤلف بعدد من الجداول ضمت الأعمال الميدانية التي نفذت بمدينة قسنطينة بين 1959 و1962.

الرجاء ممن لديه ملاحظات عن مذكرات شاهد، وفاعل في الأحداث التاريخية التي يحتويها هذا المؤلف، كتابيا، لأن الاعتماد على الذاكرة لأحداث عاشها المجاهد وكان ينظر لها من زاوية تموقعه، فهو لم يكتب إلا ما قام به وما أمر به ، فالثورة (نظام) متكامل ومؤسسة تضم مرافق اجتماعية واقتصادية وسياسية، وكل ينظر إليها من زاوية خاصة لكنها زاوية تكون ركنا من أركان صرح الثورة المجيدة.